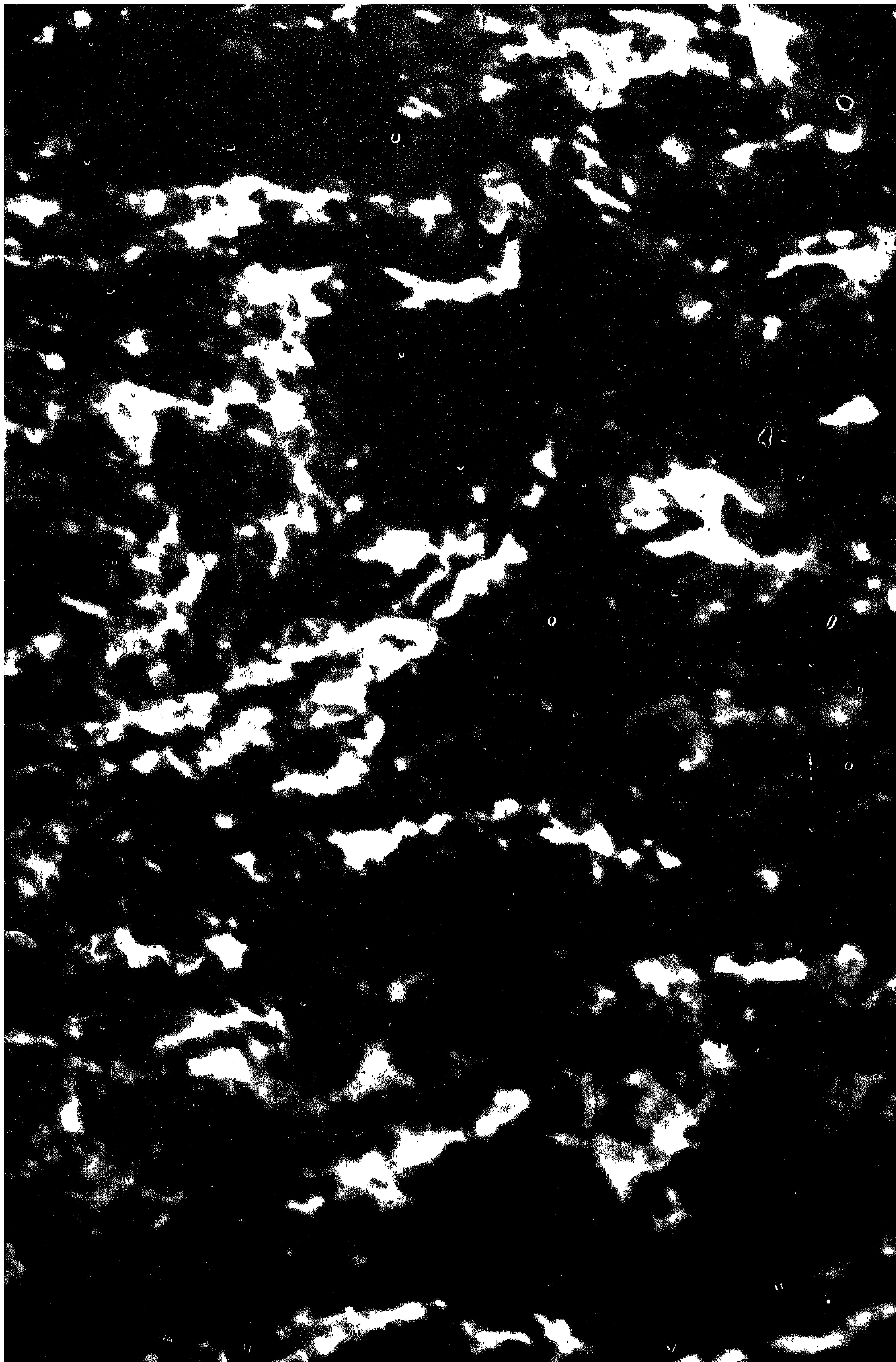
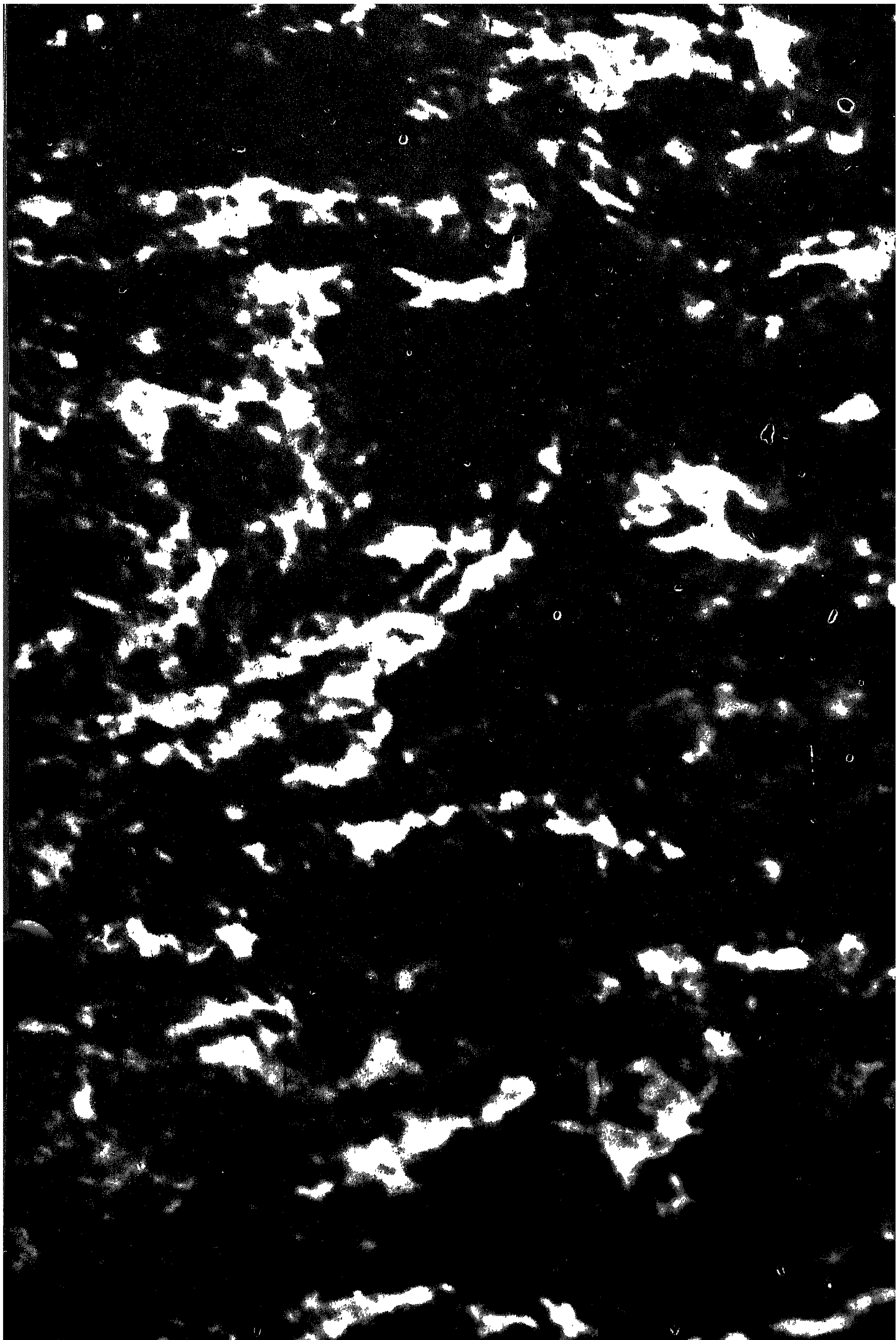






اتفاقية كامب ديفيد الثانية
من كتاب

تطورات السياسة المصرية في الميزان

من ثورة ١٩١٩ إلى ما بعد إزالة آثار العدوان

تاريخ . نقد تحليل

تأليف
عبد الحفيظ يوسف

لمحات عن الرئيس السادات

الجزء الخامس عشر

إهــــداء إلى السيدة جيهان

السلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فعندما أسجل تلك اللمحات الخاطفة للزعيم الراحل محمد أنور السادات أشعر بأنى قد دفعت جانبا من تلك الضريبة التى يلتزم بها كل مواطن نحو هذا الزعيم الجليل الذى كانت حياته كلها عطاء لوطنه، ولـــم يبخل بدمه وروحه فى سبيله .

لقد راعنى يا سيدتى أنى وجدت هذا الجيل بالذات قد حجبت عنه الحقائق كلها قبل أن يشب ويترعرع فلما فتح عينيه وجد نفسه فى فـراغ لم يطرق سمعه إلا إشاعة مغرضة ، أو كلمة حاقدة أو زرية ناقم ، ولقــــد اعتقد بعض الحاقدين أن التاريخ سلعة تباع وتشترى وأنها معروضة فـــى المزاد لا تجد من يلومها أو يقبل عليها .

لذلك فإنى قد آليت على نفسى أن أتصدى لذلك الجهل الــذى سيطر على تلك الأفئدة حتى تظهر الحقائق جلية واضحة ـ (فأما الزبـــد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض).

أما أنت يا سيدتى فلقد عرفت أن زوجك يواجه أعباء تنوء الجبـال بحملها فآليت أن تشاركيه فى محنته وآلامه ، كما شاركتيه فى صفوه وآمـــاله لم يخدعك النصر فيجعلك تستسلمين إلى الدعة والراحة والهدوء والسكينـــة ، ولكنك كنت رائدة للمرأة العربية فى جهادها ونضالها فآزرت زوجك فى رحلاتـه وكنت محل تقدير واحترام جميع الدول التى زرتها ، بل كنت نموذجا عالميـا ، وتطبيقا عمليا لكل مفاهيم المثالية فى الشرق والغرب .

إليك يا سيدتى أهدى هذه اللمحات الخاطفة التى توضح صورة تحليلية لتلك المفاهيم الضالة والعقول الشاردة التى سادت على أذهان الناس من تضليل المضللين وكيد الكائدين . والله أسأل أن يحيطك دائما بسياج من السعادة والعزة والرفاهية والسلام .

بسم اللـــه الرحمـــن الرحـــيم

لمحـــات عن الرئيـــس الســـادات

المقدمــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقـــه النبى الكريم الذى خاطبه ربه بقوله : " وإنك لعلى خلق عظيم " وبعد :

فما كان لى وأنا الذى أنفقت وقتى وجهدى ، وعصارة فكـــرى فى اجلاء الحقيقة ، واظهارها أمام هذا الجيل والاجيال الزاحفة خالية من جميع الشوائب مبرأة من كل نقص أن أرى الباطل يستشرى بين النـــاس وأتركه دون أن احاصره ، وأكشف ستره .

لقد شاءت الاقدار أن تزج بى فى محيط السياسة لاتنـــاول التاريخ السياسى بالتحليل فى هذه المنطقة التى اشتدت فيها العواصف وكثرت الانواء ، واحتجبت الرؤية ، وعميت البصائر ، وأصبح الناس لا يميزون بين الخيط الابيض والخيط الاسود .

كنت اعتقد انى أديت واجبى نحو التاريخ ، وأرضيت ضميـــرى لانى انتهيت من تأليف ثلاثة عشر جزءا من ثورة ١٩١٩ الى الآن ولكـــنى وجدت عصابات الشر تآمرت على وأد هذا التراث واهالة التراب عليـــه .

لذلك فقد أردت بهذا الجزء الذى أتناوله الآن ان انفض ما علق به مـــن غبار وأجلو ما علاه من صدأ راجيا المولى أن يمدنى بتأييد من عنـــده ، وينصرنى على عصابة الكذابين والافاقين والسلام ،،

(عبد الحفيظ يوسف)

عندما تدير عقارب الساعة الى الوراء قليلا !

نجد أن الرئيس السادات هو الثورى الوحيد من بين رجال الثورة الذى دفع ثمن ظهوره على مسرح السياسة سجنا وتشريدا وفقرا دفعه فى معظم الاحيان بأن يحترف أحقر المهن وهو مفصول بعيدا عن أعين البوليس السياسى ، فكان يعمل شيالا ليحصل على لقمة العيش التى يلم بها أوده ، ويحفظ بها حياته ، وبدلا من أن يعتبر أعداوه بأن هذا وسام كبير من الاوسمة التى توضع على صدره عيروه به •

ولقد عرف بعض الشباب ناحيته الوطنية عن طريق مقاومته للمحتل فاتخذوه مستشارا لهم ، ولذلك عندما قبض على قتلة أمين باشا عثمان ورد اسمه على لسانهم أمام المحقق فقبض عليه وأودع فى السجن ثلاثون شهرا •

من هو أمين باشا عثمان الذى اتهم السادات فى قتلـــــه ؟

هو رجل تعلم اللغة الانجليزية فى كلية فكتوريا ، وكان قريب الصلة بالمحتل الانجليزى ولذلك عندما بحث حزب الوفد وهو الذى كان يمثل الاغلبية فى البلاد عن همزة وصل بينه وبين الانجليز ليضمن البقاء فى مقاعد الحكم اذا ما حصل بينه وبين الملك عداء فيفرض الانجليز رئيس الوفد على الملك فرضا كما حصل فى ٤ فبراير وهو التاريخ المعروف الذى هددوا فيه الملك بالخلع واستجاب الملك الى رغبتهم بتعيين النحاس رئيسا للوزارة وذهب السفير البريطانى مايلز لمبسون الى النحاس لتهنئته فى منـــــزله

كرئيس وزراء نوقف هو والنحاس ورفعا أيديهما الى أعلا متشابكين بل حصل أكثر من هذا اذ حمله مؤيدوه النحاس وهتفوا بحياته وحياة المحتل — ولقد دأب المحتل على اثارة الصراع بين الاغلبية التى يرأسها النحاس وبين الاقلية حتى اذا ماكاد فريق ان ينتصر على الفريق الآخر طلبوا الى الملك أن يعزله ليأتى بالفريق المنهزم الى رياسة الوزارة ، وبذلك بدل أن ينظر الشعب الى قضية البلد على أنها قضية بين الشعب والمحتل أصبح ينظر اليها على أنها قضية بين الاغلبية والاقلية وكان المثل السائد عند المحتل (فرق تسد) .

وكان هذا الاسلوب الذى اتخذوه مع الاحزاب بمثابة مصدات للريح الذى يأتى من جهة الشعب فالاحزاب أصبحت هى الموانع والمصدات التى تمنع اى غبار يأتى من ناحية الشعب .

وجد الانجليز فى نفس الوقت أن هذه الطريقة ان لم تدعم بشيء شرعى تلتزم به هذه الاحزاب فان دوام هذه اللعبة التى يلعبونها مع الشعب مستحيل .

لذلك كان سفيرهم الماكر (لمبسون) يعرف ان وسيطه أمين عثمان من الممكن ان يقوم بعمل المستحيل فكان وسيطا لعقد معاهدة ١٩٣٦ التى كانت فيها أربع بنود أبدية تجيز احتلال الانجليز للبلد أبد الآبدين ودهر الداهرين لان هذا الوسيط كان صديقا للاغلبية التى يرأسها النحاس وصديقا كبيرا فى نفس الوقت للانجليز ، وكان هذا النحاس قد ورث هذه الاغلبية من سلفه سعد باشا زغلول علاوة من انه فى كل

أطواره كان يتم عن مجاملاته للوطنية ، لانه أراد ان يضمن كرسى الحكم الى الابد فأراد ان يضم الى رضا الانجليز له بواسطة همزة الوصل التى عثر عليها بين المحتل وبينه ـ رضاء الملك أيضا فكان ان شكل احدى وزاراته عن طريق الانجليز وطبعا كان الملك حانقا عليه لان هذا التشكيل كان رغم أنفه فالتمس طريق الرضاء من الملك بأن طلب منه الملك أن يجلس فقال لا يمكن ان اجلس الا اذا اجيب طلبى فامتعض الملك واعتقد انه يطلب شيئا ضارا به ولكن الملك عاود الامر مرة أخرى فكرر النحاس طلبه فقال الملك وماذا تطلب فقال انا لا أطلب الا أن يعطينى الملك يده لاقبلها . هل رأى القارئ كيف وصل زعيم الاغلبية الى هذا الاذلال ؟

كان الرئيس السادات وهو مفصول شرده الفقر يلازم هذا الزعيم وذلك الوسيط الذى استشرى أمره ، وأصبح كالاخطبوط يكبل المصريين كل يوم بقيود جديدة .

فلقد خطب هذا الوسيط فى حفل كان على رأسه السفير الانجليزى وكان حاضرا فيه النحاس وجميع الاعضاء الذين وقعوا المعاهدة وقال بهذا النص (ان انجلترا تزوجت مصر زواجا كاثوليكيا لا انفصام بعده ، وحتى ان الانجليز اذا بحثوا عن زوجة أخرى فان الزوجة لا تبحث عن زوج آخر وشبه بان انجلترا هى الزوج والزوجات هم المصريون المولعون على المعاهدة ، واستطرد فقال

ومن حسن الحظ ان الزواج فى الغرب الزوجة هى التى تدفع

الدوطه وطالب الاعضاء الذين وقعوا على المعاهدة بأن يدفعوا الدوطة للعريس وهو السفير الانجليزى ، وكان اول الدافعين النحاس خمسين جنيها ودفع بقية الاعضاء كروجات كل على حسب يساره .

هذا هو أمين عثمان الذى اخذ لتلته رأى الرئيس أنور السادات فيه ونبههم الرئيس السادات الى ان هذا الرجل اخطر على الشعب من المحتل نفسه . فهل بعد هذا يجىء الذين يفترون على السادات ويقولون ان كان قد قتل فقد كان سببا فى قتل رجل من قبل ، ولم يعرفوا أن هذا الشخص الذى أخذ رأيه كان يعمل على قتل الشعب كلــه ؟

عرف السادات من تجاربه وهو رجل مخضرم سبا سى محنك أن الشعب المصرى شعب تغلب عليه عواطفه ، وربما دفعته هذه العواطف الى ان يرمى بنفسه فى النار وهو لا يدرى ان كانت هذه النار تدفئه أو تحرقه . والكتاب لا يستطيعون فى كتاباتهم ان يخرجوا عن حدود المجاملة للشعب لان الشعب عندما يطالب بالديمقراطية يكون معنى ذلك ان الحكم يكون فى يده لان الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب . ولكن هل يمكننا ان نتحلل بعض الشىء لمناقشة الديمقراطية ؟ وان كان بعض الذين درسوا النظريات العلمية يتمسكون بها ، ولا يريدون ان يحيدوا عنهــا .

نستطيع ان نقول : " قد تدفع الديمقراطية بأصحابها الى الهاوية

لو نظرنا الى ثورة ايران لوجدنا ان الكتاب جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم ، قد جعلوا من اللاسهم صواريخ مصوبة الى صدر الشـــاه ولم يتذكر احد منهم ان هذا الشاه قد حقق لبلده خيرا ماكانـت تحلم به ، ونقلها من مقر الرغام الى مدار الاجرام — وبعد ان كانت دولة تسير وراء العالم المتخلف جعلها دولة يحسب حسابهـــا ويرهب جانبها وبعد ان سلحها بكل ما عرفته تكنولوجية هــــذا العصر ، واصبحت من أغنى دول المنطقة جاءت الثورة الايرانيــــة بذلك الخوميني الذى اعادها الى ماكانت عليه قبل التخلف فتمزقـت اوصالها ، ونضبت مواردها وضعفت شوكتها واصبحت العراق التى لا يصل عدد سكانها الى نصف سكان ايران تهددها بالفناء والزوال وما ذلك الا بفضل تلك الثورة التى وصفها جميع الكتاب بأنها الديمقراطية بعينها والحرية بعينها — استقبله الشعب الايرانى استقبال الفاتحين المنتصرين وكل همه عندما يجلس فوق عرش الطاووس ان ينتقم من الشاه وهو لا يعرف من طرق الحكم ان يدير قرية صغيرة ،

كيف وصل الخوميني الى الحكم ؟

بدأت القصة بفكرة اختمرت عند الرئيس كارتر كان دالعهــــا الاخلاق أولا والمحافظة على مصالح البلد بن ثانيا امريكا وايران رأى الرئيس كارتر انه الشاه عنده مرض خطير وان هذا المرض سيجعل كل من يهمـــه

مصلحة البلدين ان يفكر فيمن يخلفه ، ووجد ان هناك بوادر ثورة علـــى الدكتاتورية التى يتبعها الشاه فنصحه بالالتزام بحقوق الانسان حـــتى اذا ما انتصرت الثورة وجاء على رأسها احد رؤساء الدين عرف ان الفضل فى تهيئة الجو لوجوده ، هو تلك النصيحة لتستمر المصالح بين البلديـــن قائمة امريكا وايران ـ وكانت رؤيا الرئيس كارتر قائمة على ان نجل الشاه لا يصلح لان يحل محل والده ولا أى وارث له وسارت الامور على هـــذا المنوال وتنازل الشاه قليلا عن دكتاتوريته ولكن الثورة كان ضغطها يشتد شيئا فشيئا حتى عجز الشاه عن مقاومتها وفى النهاية اضطر الشاه الـــى مغادرة بلده ، هو واسرته قاصدا الى مصر ، واستقبله الرئيس السـادات بكل ترحاب .

اخلاقيـــات

رأى بعض رؤساء وملوك المنطقة ان يدفع جانبا من الواجـــب الذى هو مدين به لهذا الشاه فابلغ السادات ان يبلغ الشاه بدعوتــــه عنده ، وكان ان استجاب الشاه لهذه الدعوه الا ان الاقدار كانت بالمرصاد للشاه فأكملت الثورة مسيرتها ووصل الخومينى الى ايران تحت دعاية مـــن الصحافة العالمية لم يحدث لها مثيل من قبل وثارت صحافة الرئيس الداعـــى للشاه وقالت ان بلدنا لا تحتمل شاها واحدا فكيف بها تواجه شاهين ، واضطر الشاه ان يغادر المنطقة كلها الى امريكا ، وقد صرحت اميرة الشاه بانهـــا

لم تحظ من الداعي بوداعه لهم ولا بكلمة واحدة لمواساتهم في أحزانهم

لماذا سافر الشاه الى امريكا
ولم يعد الى مصر ؟

لقد كان الشاه رجلا المعيا عندما رأى من داعيه هــــذا الاعراض سافر الى امريكا ولم يشأ ان يرجع الى صديقه السادات بمصر برغم ما يعرفه عنه بانه رجل لا يتعامل بوجهين فهو ليس من أنصار السياسيين الذين عرفوا السياسة بانها دهاء ونفاق وخداع ومكر ، ولكنه عــــرف السياسة بانها حب واخلاص ووالخ الا انه لو رجع الى مصر ربما سبب ذلك للسادات ما سببه لمضيفه الذي خرج عليه شعبه لان الخوميني كان في طريقه الى طهران ، واعتقد الكتاب في جميع انحاء العالم بان هــذه هي الثورة الحقيقية بجميع ملابساتها وما يبررها ، ولم يدر بخلده هــم ان الشيوعيين تسللوا الى الحرس الاسلامي ، وعندما استقرت الامــــور للخوميني ركبوا هم الموجه ، واصبحوا هم الذين يوجهون القرارات كمــا يريدون ، وهم الذين خلقوا مشكلة الرهائن ولم يتخلوا عنها الا بعـــد ان تسببت في سقوط الرئيس كارتر في الانتخابات وكانت هي السبـــب المباشر ، ولذلك عرف الرئيس كارتر بعد فوات الاوان انه صنع المعـــروف في غير أهله ،

وتعقبت ايران الشاه فى كل مكان يحل فيه ، ولم تتركـــه حتى فى احلك الاوقات ، وهو يعانى من مرض السرطان ، وكان كل همه ان يجد المكان الهادىء الذى يموت فيه مستريحا ، ولكن الخوميـــنى لم يرحمه ، وكان يهدد كل دولة تستضيفه أو يحل بها الشاه بقطـــع العلاقات بينه وبينها وكل رغبته ان تسلمه اى دولة يحل بها حـــتى يذبحه ذبح الشاه ، ولقد استطاع الخومينى ان يخيف هذه الدول كلها حتى تخلت عنه ، وقارب الخومينى ان يصل الى غرضه الذى يمكنه مـــن الانتقام من الشاه كما يشاء .

شهادات جميع الدول الحضاريـــة للسادات رغم أنف اعدائـــــه

عرف كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق انه قد حصلـــت مداولات ومفاوضات بين الدولة التى يقيم بها الشاه وهى كانت آخـــر دولة اطمأن لها الشاه عرف انه تم اتفاق بين الخومينى وبين هذه الدولة على تسليم الشاه ، وطبيعى ان كيسنجر كان من اصدقاء الشاه وعز عليه الا يجد الشاه جنبا يستريح عليه وهو فى حالة مرضه الميئوس منه ودينـنا الاسلامى يقول الحديث الشريف (ارحموا عزيز قوم ذل) ولكن اين الرحمة ان تعرف قلب هذا الخومينى وهو الذى هدم المعبد على من فيه ، وهو الذى حول ايران كلها الى اطلال وخرائب وقتلى وجرحى رأى كيسنجـــر

انه ليس هناك صديق يستطيع ان يحمى الشاه ويقيه من ذلك الخطر الداهم الذى يحيط به سوى الرئيس السادات فاتصل به من امريكا وابلغه بمضمون ما عرفه عن الشاه فكانت اجابة السادات لقد قلت للشاه ولا زلت اقولها (ان مصر هى بلده ويستطيع ان ينزل بها فى اى وقت شاء) وكان ان ذهب كيسنجر الى الشاه ، وطلب اليه مغادرة البلد التى هو فيها فورا للذهاب الى مصر لانها البلد التى يستطيع ان يستريح فيها الى الابد — واعدت فى نفس الوقت الطائرة الخاصة التى نقلته هو واسرته دون ان تعلم ايران بذلك — ولما عرف العالم وعرفت جميع الدول التى كانت تربطها بالشاه صداقة كبيرة ، وهذه الصداقة كانت لا تتعدى الاشفاق عليه دون ان تستطيع ان تفعل شيئا وهو فى اشد حالات اليأس لما علمت هذه الدول ان مصر قامت بهذا الواجب التى كانت هى عاجزة عن القيام به وعلمت ان مصر فتحت له قلبها بهذه الصورة وردت اليه الاطمئنان الذى فقده ، عرفت هذه الدول ان السادات يكشف عن جانب له من الشجاعة والانسانية عجز الكل ان يجاريه فيه ونددت كل جرائدهم بهذا — واضيفت هذه المكرمة الى مكارم السادات التى لا تقل فى قوتها وعظمتها عن حرب اكتوبر ومبادرة السلام .

والقارىء يعرف ان ايران كانت قبل هذه الثورة تتمتع فى جميع انحاء المنطقة بالقوة والجاه والثراء بل كانت اغنى دول المنطقة واشدها بأسا وقوة والآن وبعد هذه الثورة التى لم تلتزم بقانون سماوى ولا بقانون وضعى

أصبحت منزلة المنازل وتفرق شملها ، وتمزقت أوصالها ، وهددتها العراق التي لم يبلغ عدد سكانها نصف سكان ايران ، وما ذلك الا لان هؤلاء الآيات التي جاءت بهم الثورة وصلوا الى الحكم ارتجالا لم يعرفوا كيف يديرونه في الداخل ، ولا في الخارج — وتجاوزوا في بادىء الامر ان ينصبوا اناسا في الحكم ممن كانت لهم دراية بادارته أيام الشاه ، ولكنهم بعد استقرارهم انقلبوا عليهم ، وأعدموهم بل ذهب بهم الامر الى القضاء على الجيش نفسه لانه من صنع الشاه لا على اعتبار انه جيش ايران ، ولذلك كانت هذه فرصة أمام العراق ليقلم اظافر الغول الذي بجواره .

مفهوم الديمقراطية

ان الديمقراطية يفهمها الكثير خطأ أنها هي الفوضى بعينها وان العامه هي التي تحكم الخاصة ، وان رجل الشارع الذي لا يعرف ماله وما عليه هو الذي يقرر مصير بلده ومصير امته ، وان مدير الجامعة يستوى في الرأى مع بائع البطاطا ، وهذا خطأ فادح لا يقره المنطق ولم يقره الشرع والدين لان المولى عز وجل عندما قال في كتابه (وامرهم شورى بينهم) لم يترك الشورى لكل ما هب ودب ممن لا يعرف رأسه من رجليه ، وانما جعل الشورى لاصحاب الرأى وأصحاب الفكر من الطبقة الممتازة المعروفة بدرايتهم وحنكتهم لان الاغلبية اى الغلبية هي التي تحكمها العامة ولقد تسال

تعالى (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) فالاغلبية العامه على ضلال وقد قال تعالى (ولكن اكثرهم لا يعقلون) وقال تعالى (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الكتاب والصحفيين لم يستطيعوا ان يواجهوا الشعوب بهذه الحقيقة لان الانتخابات مردها الى الاغلبية ورواج الكتب والصحافة مردها الى الاغلبية .

ولذلك فانى ادعو العالم أن يبحث عن نظام يدعم بـه رأى الاغلبية المستنيرة ــ الاغلبية التى تعرف ما لها وما عليها ــ الاغلبية المنتقاة من أصحاب العلم والفضل ــ الاغلبية التى لا تسير وراء العواطف ولا تلعب بعقولها الخطب الرنانة والقصائد الطنانة ، لان الاغلبية الجاهلة بدلا من ان تسير نحو النعيم قد تذهب طائفة مختارة الى الجحيم ولو قلنا ان الاغلبية تتكون من الرأى العام كله فان الرأى العام أغلبيته من العامة ، وما دامت الاغلبية من العامة فان هذه العامة هى التى ستقرر المصير وهذا ما يجب الا نعترف به .

هل هناك ظواهر كونية
تدلنا على عظمة السادات؟

اننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى خص العظماء من خلقه بظواهر كونية تظهر عند ولادتهم ، وتظهر عند وفاتهم ، وهذه الظواهر لها صلات بحياتهم وحياة من مستهم هذه الظواهر .

فلقد رأينا من بعض ما رأينا ان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم عند ولادته تصدع ايوان كسرى ، وجفت بحيرة ساوه وانطفأت الشعلة التى

أولادها المجوس ، ولو ربطنا بين هذه الظواهر ومولد النبي لوجدنا ان لها اتصال وثيق بين مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الناس الذين ظهرت عندهم هذه الظواهر لانهم كانوا ضمن من بلغوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وضمن من أثرت عليهم رسالته وغيرت مجرى حياتهم .

ولقد رأينا ان هناك ظواهر اخرى تختص بعظماء التاريخ تميزهم أيضا عن غيرهم من البشر العادين ولها صلات بأعمالهم التي ترتبط بتاريخهم فلقد نشرت مجلة الآثار الامريكية مقالا لاستاذ جامعي يقول " ان هناك تناغما بين الاحداث الكبرى في التاريخ كأن يحدث كسوف الشمس مثلا عند ميلاد شخصية عظيمة ، او عند وفاتها او ان تمطر السماء بصورة غير عادية ، وان هذه حقيقة معروفة ، ولذلك نجد المسرحيين يستعينون بالبرق والرعد عندما يريد تهيئة المتفرج الى حادث جلل يغير مسار المسرحية .

ويؤكد العالم الامريكي د . البرت لافسام (٩٣ عاما) ان والده عندما كان في مصر التقط صورا لابي الهول يوم ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ وهو يوم ميلاد الزعيم الراحل انور السادات فسجل بداية تساقط في الجانب الايسر لابي الهول ، وسجل الا سقوط حجر قتل جملا وثلاثة من السياح وان لديه هذه الصورة ، ولذلك فانه يرى ان تساقط ابي الهول قد تزايد باقتراب اغتيال السادات وساعة اغتياله بالدقيقة والثانية .

وقال : "ان لديه الكثير من الادلة المشابهة على حدوث ما يشبه ذلك في كل دول العالم ، ونظريته هي ان الكون كله يقوم على قانون واحد ونظرية واحدة ، وحكمة واحدة وان الاحداث تسير بعضها الى بعض ، ويدل بعضها على بعض وهذه الظواهر التي حصلت يوم مولد السادات ويوم اغتياله لها ارتباط وثيق بتاريخ مصر وتغيير مجراه .

هذا ولقد أثار بعض المتشيعين لهذه النظرية او الذين يؤمنون بهذه الاحداث ممن شاهدوا اغتيال الرئيس أنور السادات ان الطائرة التي كانت تحلق في الجو وأطلقت الاعلام ما رأحد هذه الاعلام الى الصاري المرفوع ليحنو عليه عدة مرات ، ثم فجأة يضطرب اضطرابا عنيفا ويتمزق ، وهذه ظاهرة حدثت وقت الاغتيال وأمام المنصة التي كان جالسا عليها الرئيس ، ومن أراد ان يحققها تماما فان الفيلم مازال موجودا .

والواقع ان هذه الاحداث كانت تتطلب ان يكون هناك شاعرا من شعرائنا الافذاذ مثل شوقي وحافظ ليصورها تصويرا يظل على الالسنة مدى الدهر ، ولكني اسفت جدا لعدم وجود هذا النوع من الشعراء . ولذلك تحرك عندي شيطان الشعر فقلت بيتا يصح ان يكون مطلعا لقصيدة ارجع الى تكملتها عندما أتفرغ من بحثي هذا او يكملها واحد من الاجيال اللاحقة . أما هذا البيت فهو :

سلوا أبا الهول هل خارت عزيمته
يوم الجريمة أم هل زلزل الهرم .

هل كان السادات له أعداء قبل أن يتبوأ منصب رياسة الجمهورية ؟

لم نسمع أن انسانا ايا كان قد هاجم الرئيس السادات قبل أن يتسلم عمله كرئيس للجمهورية لانه عندما ضم الى الضباط الاحرار ضمه عبد الناصر اليهم لما كان يعرفه عنه من وطنيته التي دفعته الى الفصل والتشريد ولكن عبد الناصر لم يرد ان يشير الى هذا الوسام الذى يتميز به عليهم خشية أن يفاخر به فى يوم ما ورأى الرئيس السادات الا ينبه الى شىء منه حتى لا يثير الحساسية فى نفس زملائه وعبد الناصر بالذات الا ان عبد الناصر التجأ الى احد العرافين فأخبره هذا العراف بأن الذى سيخلفه فى الحكم هو السادات وهذا هو ما أشار اليه الاستاذ موسى صبرى رئيس تحرير الاخبار فى وثائقه التى نشرها فى عهد السادات وقد حفر هذا الخبر فى نفس جمال عبد الناصر حساسية كبيرة عرفها السادات فى اول اجتماع مع عبد الناصر وزملائه عندما أرادوا ان يوزعوا فيه المناصب على بعضهم بان يختار كل منهم الوزارة التى يريدها وقد تكلم امامهم الرئيس أنور السادات ليعبر عن اختياره فقال لهم انا كان عملى كله عمل سياسى ولذلك فأنا لا أريد ان يسند الى عمل تنفيذى وانما اريد ان يكون عملى يتصل بالحياة النيابية فرد عليه ضابط صغير اسمه صلاح سالم لم يرض برده جمال فقال له

(ايه معنى ان عملك كان عملا سياسيا واحنا ما احنا عملنا كله عمـل سياسي وقد طرب جمال لهذا الكلام ووجه كلامه للسادات قائلا له أيوه صحيح ايه العمل السياسي الذى تعمله ونحن لا نعمله ومن هنا عـرف السادات ان المسألة دخلت فى دور حساسية كبير فعمل ترتيبه علـى الا يثير هذه الحساسية مرة أخرى ، وفعلا جمال عمل ترتيبه على ان يبعـده من غرضه فلما شكل مجلس الشعب ابعد عن رياسته وحتى عندما أراد وكيلا للمجلس ، واعتذر هذا وذاك لم يفكر جمال حتى فى اسناد الوكالة الـى السادات برغم ان الرئيس رئيس المجلس كان واحدا من زملائه واستمر السادات بعيـدا عن مواطن الحساسية ، حتى دارت الايام دورتها ودب خلاف بين جمـال ومعظم رجال الثورة ووقعت الواقعة بين جمال وبين الاقطاب من زملائـه مثل كمال الدين حسين والبغدادي وحسن ابراهيم ، وانتهت المأسـاة بحرب ١٩٦٧ التى تعتبر الموت الاول لجمال لان هذه الحرب كانـت المأساة التي كتبها التاريخ بدماء أبناء الوطن – كانت هذه الحرب ان دلت على شيء فانما تدل على الهمجية وسوء التخطيط وفساد القيادة ، وبعـد ان اجتمع الصحفيون من كل انحاء العالم ليوجهوا اسئلة الى الرئيس جمـال عبد الناصر – ماذا تعمل لو ان امريكا وانجلترا ارسلتا اساطيلها الى الخليج ليفتحوه بالقوة فيكون رد عبد الناصر (سيجدون قوة لا قبل لهم بهـا). وينتهى الامر بان تنتهى هذه الحرب فى ست ساعات فقط وتصدر اوامـر للقيادات باخلاء سيناء ، وتضاربت هذه الاوامر حتى ان القيادة فى سيناء

لم تعرف مصادرها بالضبط ولم تخسر مصر فى هذه الحرب ابناءهـا وسلاحها فقط بل ضاعت كرامتها وتمرغت فى الوحل والطين وخرج جمال من هذه الحرب خاسرا بلده وخاسرا صديقه الوحيد المشيرعامر الذى اتخذه درعا فى كل الاوقات عندما تنحى (تنحى عن رياسة الجمهورية) وعندما تنحى احد ألاء الذين جاءوا به الى قيادة الثورة واستمر الصراع بينه وبين المشير قائد القوات المسلحة حتى انتهى كما اذيع رسميا بالانتحار وان كان البعض يرجح ان موته جاء بطريقة اخرى ، وبعد الهزيمة مباشرة لم يستطع عبد الناصر ان يواجه الموقف الا بان يعلن استقالته ويحدد فى هذه الاستقالة ان يكون زكريا محى الدين نائبا عنه — الا ان على صبرى من ناحية اخرى كان يدبر مظاهرة تنادى به رئيسا للجمهورية بدلا من جمال ، ولكن الشعب المصرى الذى تتغلب عليه العواطف دائما دون ان يحسبوا حسابا لما تجره عليهم هذه العواطف من وبال تأثر لما أصاب جمال من هزيمة نكراء فقام بمظاهرة كبرى فى مواجهة المظاهرة التى اصطنعها على صبرى وأيد المظاهرة التى قامت لتأييد عبد الناصر مجلس الشعب حتى ان عضوا بمجلس الشعب من العمال صعد على المنصة بمجلس الشعب ورقص تأييدا لجمال فى الوقت الذى كانت طائرات اسرائيل تحلق فى سماء القاهرة وهذه الظاهرة كانت تدل دلالة قاطعة على اننا كنا نمارس

ديمقراطية هزلية .

فى هذا الوقت بالذات كان الرئيس أنور السادات رئيسا لمجلس الشعب وكان فى وسعه ان يوجه مجلس الشعب الى وجهة اخرى منتهزا هذه النكسه ليأتى بشخص آخر غير جمال ولكنه أراد فى هذه المناسبة ان يثبت لجمال انه ليس بروتس وانما هو الصديق الذى يلف بجانب صديقه فى الازمات فذهب الى جمال فى بيته وقال له (ان المجلس يدعوك لتسترد استقالتك ثم أشار عليه بان يكون حرا من جديد فى اعادة النظر فى توزيع المناصب الرئيسية واعطاء استقالته هو نفسه على ان يكون حرا فى قبول هذا أو ذاك .

وفعلا عبد الناصر ذهب معه الى مجلس الشعب وسحب استقالته . ومن هذا التاريخ نسى هذه الحساسية التى كانت بينه وبين السادات وانتهز الفرصة بعد ان تخلص من المشير بان اسند نيابة رياسة الجمهورية الى الرئيس السادات .

نخلص من هذا الى ان الفترة التى امضاها السادات خارج نطاق الرياسة لم يتعرض له احد بالنقد او الهجوم فلماذا ياترى هوجم بعد توليه الرياسة ؟

كيف ظهر أعــــداؤه ؟

فى الواقع كان الهجوم عليه فى نطاق محدود . كان التيار الذى يثار فى طريقه يأتى من ناحية مراكز القوى التى كانت تدفعها روسيا

لانها كانت تريد شخصا بعينه يكون فى عداد الرفقاء وفيما أعتقد أن هذا الشخص هو على صبرى .

الا ان روسيا وجدت ان السادات فى نظرها انما هو صيد سهل لان السادات لا يدل مظهره على انه رجل يجيد اللف والدوران ولذلك كتب جميع مراسلى الصحف الى دولهم بان الفترة التى سيقضيها السادات فى الحكم لم تزد على اربعة اسابيع على الاكثر تسلم السادات العمل ، ولم ينظر احد فى الداخل والخارج ان ينتظر السادات فى الحكم كثيرا كان اكثر هؤلاء الا لهذة فى التغيير هم مراكز القوى — وكان هناك مركز قوه وحيدا قلمت اظافره يجلس فى منعطف الشارع السياسى يترقب المستقبل ويخشاه هذا المركز هو محمد حسنين هيكل الذى عينه عبد الناصر مستشارا له يعد له القرارات ويهيئها ليوقع عليها لكنه كان بينه وبين مراكز القوى الحقيقيين خلاف مستور كشفت هذه الاحداث فى يوم ما فى حياة عبد الناصر اذ ان سامى شرف وزير رياسة شئون الجمهورية نقل الى عبد الناصر حديثا بين هيكل وسكرتيرته والاستاذ الخولى بواسطة الة التصنت التى كانت مراكز القوى تستخدمها وكان فى هذا الحديث مالا يسر عبد الناصر اذ ورد اسم عبد الناصر بين السكرتيره والاستاذ الخولى بشكل لا يسر عبد الناصر وذلك فى حضور هيكل فحقق عبد الناصر فى الموضوع وفصلت السكرتيرة وحكم بالحبس سنة

الشمر على الخولى ورأى جمال ان يترك هيكل لظروف مقبلة لانه حرص الا يشترك فى الحديث ضد عبد الناصر ولكنه سمح لهم بالحديث فى حضرته وربما كان عبد الناصر يريد ان يغير مجرى حياته معه ولكن لم يمر على ذلك سوى شهرين والموت عاجله .

هذا الهيكل اراد ان يحتفظ بهيكله الذى كان عليه فى عهد عبد الناصر لانه كان الصحفى الوحيد تخطى الصحفيين الكبـــار الذين ربوه وكانوا أولياء نعمته كعلى امين ومصطفى امين ووقف علـــى رأس الكل بفضل تملقه لعبد الناصر فكنا نراه يوم وفاة عبد الناصر حائـرا يأتى اعمالا لا تدل على الحيرة التى لم يرها من قبل .

١ ـ هو أولا خائف من مراكز القوى لانه لم ينس ذلك الا سفين الذى وضعه له سامى شرف باطلاع عبد الناصر على الحديث الذى دار فى حضرته مع السكرتيرة والخولى .

٢ ـ هو لم يطمئن الى الرئيس السادات لان مظهره لا يدل على انه ماكر يستطيع ان يتغلب على هذه المراكز سيما اذا كانت معززة بالتأييــد الروسى وبتوجيهات روسيا .

اذن فلا بد ان يعمل شيئا يضمن به اتقاء شر مراكز القــــوى واذا كان هذا الشئ يراه الرئيس السادات خارجا عن حدود اللياقة فهـــو يعرف جيدا ان الرئيس السادات رجل متسامح ومن الممكن ان يعتذر اليــه

باسلوبه المعسول . ماذا كان يقصد هيكل بتصرفاته هذه ؟

اما ماذا عمل فهو انه تقابل مع بعض مراكز القوى في الجنازة جنازة عبدالناصر وقيل ان ذلك كان لاتفاق فيما بينه وبينهم مع انى اعرف بلبنا من طريق حاستى السياسية انه لا يأمن جانبهم مهما كان من اتفاق بينه وبينهم — ولكنه عمل عملا يدعو القارئ السياسي الى التأمل فيه ليكشف مرساه اما هذا العمل فهو :

بوصفه كرئيس تحرير لجريدة الاهرام ووزير للاعلام ركز الكاميرا فى الجنازة (جنازة عبد الناصر) على زكريا محى الدين قرابة نصف ساعة ثم ظهر الاهرام ثانى يوم وفيه نعى لزكريا محى الدين فى اطار خاص فى جريدة الاهرام — فما الذى كان يقصده هيكل ياترى بتركيزه الكاميرا او بوضع النعى فى اطار خاص ؟ هل كان يقصد ان يفهم الشعب بان زكريا هذا هو الذى اختاره الرئيس ليحل محله عند تقديم استقالته وعليه فلا يصح للشعب ان يلتزم بالدستور الذى يلزمه بان يكون النائب الذى اختاره هو الرئيس الشرعى للجمهورية ؟

ولماذا اختار هيكل زكريا محى الدين بالذات ؟ لان زكريا له مكانته فى وسط مراكز القوى فاذا نجحت مراكز القوى على السادات فيكون هو قد قدم الجميل لزكريا فيحوطه زكريا بعطفه ويبعد عنه شر مراكز القوى نرجع ثانيا ونسأل سؤالا آخر : وهل بهذا يكون هيكل عنده استعداد لمساعدة غيره بهذه الصورة ؟

هل كان يقصد هيكل مساعدة زكريا محيي الدين؟

نقول — ربما دار بخلده ان هذا العمل الذى عمله مع زكريا ربما يحدث بلبلة بشأن الرياسة بين زكريا والسادات فيتدخل هو كرئيس تحرير الاهرام ووزير للاعلام ويكتب بصراحة التى خدع بها الكثير ليحلل الموقف ومتى وجد تحليله الى صدى عند الجمهور فلا يعز للبعض بان هذا الذى يحلل (الفسيخ) هو الذى من الممكن ان يكون رئيسا للجمهورية ٠

هذا هو أول موقف وقفه هيكل من السادات ومر عليه السادات على انه حدث طارئ لا يصح الالتفات اليه وكنت اعتقد ان هيكل هذا من مراكز القوى الاحتياطيين ، ولكنه فى الواقع كان مركزا اصليا ، واستمر يخدع السادات بان اى تصرف يعمله هو يحسن نيه والسادات يغتفر له الى ان ظهرت هذه النوايا بصورة لا تحتمل قبل اغتيال السادات وبعد اغتياله ٠

كيف تأصلت عداوة هيكل للسادات وكيف اعلن عنها ؟

عندما أراد الرئيس السادات تشكيل الوزارة عرف هيكل بانـــه لا يستطيع ان يكون معه كما كان مع عبد الناصر فاذا اتخذه معه كوزيـــــر فليس له شأن الا بالوزارة فقط ، ولكن هيكل لم يعجبه ان يتقلص نفـــوذه الى هذا الحد وهو الذى كان قبل الثورة صحفيا من الدرجة الثالثـــــة فلما جاءت الثورة كان هو الكاتب الاوحد ، والصحفى الاوحد وصاحـــــب القرار - اعلن الحرب على السادات ولكن بطريقة خفية لان الحرب الـــــتى كانت بينه وبين مراكز القوى مازالت قائمة لدرجة انه كتب مقالا فى الا هـــرام بعنوان (عبد الناصر ليس اسطورة) فحملت عليه مراكز القوى حملة شديـــدة لدرجة انهم ارادوا ان يحاكموه الا ان السادات وكان قد تسلم عمله كرئيـــس جمهورية ، ولذلك رأى الرئيس السادات فى مواجهة هذه المراكز ان يحتفـــظ بجواره بكاتب صحفى كهيكل ولذلك فى يوم وهذه المراكز مجتمعة لتنظر فـــى تحقيق هذا المقال المذكور عنوانه آنفا كان الرئيس السادات قد احضر معـــه سرا هيكل وجعله يجلس فى حجرة منفصلة بعيدة عنهم حتى اذا ماجاء موعـــد النظر فى المقال ارسل الى هيكل يستدعيه لحضور هذا النقاش وكانت هـــذه مفاجأة لمراكز القوى وطبعا استطاع هيكل ان يلقح هذه اللجنة المركزية العليا اوبعبارة اخرى يشعرهم بانه لم يشأ بمقاله هذا ان يمس جمال عبد الناصـــر بسوء وتنفس هيكل الصعداء ، وبهذا نكون قد انتهينا الى ان السادات قـــد خدم هيكل خدمة لم يقدرها له لان السادات لو كان وافق اللجنة المركزيـــة

على مناوأة هيكل ، ولم يحرك ساكنا تجاهه لما وجد هيكل اى ملجأ يلتجىء اليه ولكان خرج من مصر مولاى كما خلقتنى ، ولما وجدت مقالاته الــتى لفقها يوما بعد كذبا وافتراء اى مجال لتأخذ طريقها الى النشر ــ استمر السادات فى صراع بينه وبين مراكز القوى قرابة سبعة اشهر من أواخـــر سبتمبر ١٩٧٠ اى بعد وفاة عبد الناصر ، وهيكل مترقبا انتهاء المعركـــة بين السادات وهذه المراكز بفارغ الصبر ليحدد مصيره ٠

مبادرة روجـــرز

كانت هذه المبادرة هى عقدة العقد التى تركها عبد الناصـر ليحلها من يتسلم التركة بعده ، وكانت عبارة عن بندين :

الاول ــ الانسحاب (من جزء محدد من سيناء)

الثانى ــ ايقاف القتال بيننا وبين اسرائيل لمدة ٩٠ يوما

ولقد رأى السادات ان مصر مكشوفة من ناحية قناطر اسنـــــا ونجع حمادى ورأى لو أن طائرة قامت من رأس محمد وضربت هذه القناطـر لاغرقت ما يقرب من نصف مليون فدان ولا انفصل الوجه القبلى عن الوجـــه البحرى ٠ ولما كانت هذه المدة تنتهى فى نوفمبر ١٩٧٠ جمع الســادات المسئولين وأخذ قرارا بتجديد مدة الايقاف تسعين يوما أخرى واتفق ان تكون هذه آخر مدة وكان السادات بقراره هذا حريصا على عدم ضرب المنشـــآت

كيف استطاع السادات أن يخرج من مأزق المبادرة؟

وفعلا ارسل الى روسيا ليطلب منها بطاريات لحماية هذه المنشآت ولكن السوفييت تجاهلوا طلب السادات ، ولم يرسلوا البطاريات التى طلبها وقاربت المدة الثانية ان تنتهى واستمر ضغط روسيا على مراكز القوى ليضغطوا بدورهم على السادات حتى يترك موقعه ليحل محله الشخص الذى تريده روسيا — والسادات حريص على هذه المنشآت العارية خوفا من الاضرار التى تنجم عن ضربها ، ولما انتهى الوقت المحدد وهى التسعين يوما الاخرى ، لم توافق اللجنة التنفيذية العليا على التجديد فى الوقت الذى لم ترسل روسيا بطاريات لحماية المنشآت فانهى السادات الاجتماع وذهب الى مجلس الامة ليعلن عن مبادرة من ناحيته كان مؤداها ان اسرائيل تنسحب اختيارا كذا كيلو لنفتح قناة السويس ، ويارنج يأتى يتولى فى مدى ٦ أشهر عمل اتفاق ، ويوقف اطلاق النار ٦ أشهر مادام يارنج شغال وتكون مصر مستعدة لتجديد هذه المبادرة مادام يارنج دائب العمل فى سعيه بيننا .

هذا مخرج استطاع السادات ان ينفذ منه لانه كان امام امرين احلاهما مر اما ان يوافق على مد المدة لفترة أخرى وهذا فيه مافيه من امتهان لكرامتنا واما ان يرفض مد المدة وفى هذه الحالة يجب ان يسلم رقبة ابنائنا الى الجزار . وهذا ماكان يريده مراكز القوى ومن ورائهم روسيا حتى تكون هزيمتنا دون هزيمة ١٩٦٧ — ولهذا عمل هذه

المبادرة التى نوهت عنها والتى حفظت لنا كرامتنا وحياتنا .

وكان هذا الاجراء طبيعيا لم يعجب مراكز القوى اذ كان احد افراد هذه القوى موجودا بالمجلس وقتها وهو شعراوى جمعه ضرب كفا على كف وقتها وقال والله ماحد عارف البلد دى ماشيه ازاى آدى احنا وزراء ونقرأ قوانين جديدة فى الجرائد لا نعرف عنها شيئا .

وما دمنا بصدد الصراع مع مراكز القوى فإننا نضع امام القراء الجولة الاولى التى جرت بين هذه القوى والسادات .

لماذا أوفدوا رسولهم سامى شرف إلى السادات ؟

أولا — لقد ارادت هذه المراكز ان تستعجل الاحداث لان الوقت الافتراضى الذى كان محددا ~~لمباشرة~~ لبقاء السادات في مولعة كرئيس جمهورية قد انتهى ، ولم يعد عندهم صبرا للانتظار فأوفدوا سامى شرف الذى هو وزير رياسة شئون الجمهورية الى السادات ليطلب اليه ان يعين شعراوى جمعه رئيسا للوزارة بدلا من محمود فوزى ، واعتبروا ان هذا بمثابة انذار للسادات فنفذ الامر سامى شرف وتوجه الى الرئيس السادات فى منزله باستراحة القناطر وكان ذلك فى مارس ١٩٧١ اى بعد ستة اشهر من وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وبعد ان عرض سامى شرف الاوراق بدأ يتكلم عن رياسة الوزارة وعن بسطه الاجراءات وان حالة البلد تحتاج الى السرعة والحزم وهذا ما يفتقده طبيعة الدكتور محمود فوزى وكلام كثير غير مباشر فى هذه المعانى . فاستوقفه الرئيس السادات وقال له " ايه مالك بتلف وتدور على ايه تكلم بوضوح ودغرى . مساذا

ماذا كان رد الرئيس السادات على الرسول ؟

تقصد بهذا الكلام واخيرا قال : "ان شعراوى جمعه هو أصلح من يتولى رياسة الوزارة فرد الرئيس عليه وقال له : (انا يا ابنى مش قلت لكم ان سمعتكم سيئة .. سامى شرف .. البركة فيك يا افندم انت الضمان .

ثم قال الرئيس يا ابنى اديني وقت كفاية لما تحسنوا صورتكم أولا عند الناس — وعلق على ذلك بحزم قاطع . لا تغيير للدكتور محمود فوزى سيستمر رئيسا للوزارة وهذا الموضوع لا يثار معى مرة أخرى . ولم ينطق سامى شرف ، واصابه ارتباك — وقد حدث فى هذه الاثناء ان اتصل هيكل بشعراوى جمعه وقال له (انا مستعد ان اتحدث الى الرئيس فى ان تكون رئيسا للوزارة وفى هذه الحالة انا مستعد ان اعمل معك وزيرا ، وهذه الواقعة ثابتة من الاعترافات فى قضية مؤامرة ١٥ مايو ١٩٧١ .

نقطة التحول بين الرئيس السادات والسوفييت

ان المدة التى كان الرئيس السادات قد حددها تنتهى فى ٧ مارس ١٩٧١ ورأى السوفييت انهم عندما يخطرون السادات كذبا بأن المراكب ستصل فى المواعيد المحددة فان ذلك سيبعث الارتياح فى نفسه ، ولم يفكر فى مخرج آخر قبل ان ينتهى الشهر الذى حدده وعليه تكون المفاجأة التى تبعث على البلبلة والارتباك . ولما لم تصل المراكب فى مواعيدها التى حددها السوفييت اتصل بهم الرئيس السادات فى اواخر فبراير ١٩٧١ وصل

لهم اول زيارة سرا يوم واحد واثنين مارس واعاد على مسامعهم موضـــوع البطاريات الخاصة بالدفاع عن الصعيد (لناظر اسنا ونجع حمادى) وكان معه القائد العام للقوات المسلحة (محمد فوزى احد مراكز القوى) وحدد طلباته معهم بخصوص البطاريات وسلاح الردع الذى كـــان عبد الناصر متفقا معهم عليه ولم ترد حتى بعد وفاته . وقال لهم السادات انه يرفض رفضا باتا ان يتعاملوا معه بهذا الاسلوب . ولكن الروس وجدوا ان الوقت الذى حدده جميع المراسلين الاجانب قد تجاوز حده لان هؤلاء المراسلين اتفقوا على مبدأ واحد وهو ان السادات لن يستمر فى موقعــه اكثر من اربعة اسابيع ولكن المسألة تجاوزت الستة اشهر ورأت مراكز القوى ان السوفييت ساعدوهم كثيرا وانهم اصبحوا متفوقين بالنقط ولم يبـــق امامهم الا جوله او جولتين ويتفوقون بالضربة القاضية فطلبوا من الرئيـــس السادات الا يتعجل السوفييت ثانيا فى مسألة الصواريخ سيما بعد زيارتــه لها فى ١ ، ٢ مارس ورأوا ان موقفه اصبح صعبا للغاية حيث ان الشهـــر الذى حدده لم يبق عليه سوى يومين او ثلاثة ويجابه الموقف الذى يريـــد ان يتجنبه مع اسرائيل .

القاهرة علـــى صبرى

فانتهز مراكز القوى فرصة الحديث فى الاتحاد بين مصر وسوريــا وليبيا وكان الرئيس قد عمل ترتيبه على ان يخطب فى حلوان وكانوا جاهزيــن

لفركشة هذا الاجتماع وكانوا قد اتوا بجيشر بجلس فى المقدمة وقد حملوا صورة عبد الناصر ليظهروها فى التلفزيون من فترة لاخرى وهذه كانت بمثابة الاعيب صبيانية لم تثر اهتمام الرئيس السادات لان السادات مازال يعترف لجمال بقيادة الثورة ومازال يعلن بان الثورة اذا كانت اخطأت فهو مشترك فى المسئولية ــ وقد ختم الرئيس الخطبة فى هذا الاجتماع بان قال ، (أنا غير مستعد بان اسمح أبدا بصراع ومراكز قوى)

وثانى يوم مباشرة أقال على صبرى •

وكانت هذه الاقالة عبارة عن وقوف الطرفين امام بعضهما في المواجهة لمتابعة الجولة الاخيرة •

هل كانت هناك مواجهة تسبقها ؟

وفاتنى ان اذكر ان هذه المواجهة بدأت فى اليوم الاول لتولى السادات رياسة الجمهورية عندما تقدم سامى شرف وزير رياسة شئون الجمهورية الى الرئيس السادات باوراق وصفها بانها تقارير مراقبة التليفونات وسأله السادات هل هناك مراقبة دائمة للتليفونات ؟ فقال سامى شرف (نعم) فقال الرئيس : ولماذا تعرضها على ؟ هل تشكل هذه التقارير قضايا ضد امن الدولة ؟ فقال سامى شرف " لا " فقال له الرئيس اذن لا تعرض على شيئا منها •

طلب السادات عمل مشروع بتصفية الحراسات

طلب من سامى شرف تكليف الدكتور لبيب شقير وضياء الدين أن يعدا مشروعا بتصفية الحراسات وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٧٠ ومضى أسبوعان ولما سأل الرئيس السادات سامى شرف اجاب بان المشروع جاهز وذهل الرئيس السادات عندما وجد المشروع من ورقتين وليس بهما شىء عن تصفية الحراسات بل كلام انشائى عن الاتحاد الاشتراكى باعتباره السلطة العليا فى كل شىء وولى النعم ، ثم سطران فى نهاية التقرير عن الحراسات لا يفهم منهما اى شىء عن تصفية الحراسات — وسأل الرئيس السادات سامى شرف هل هذا هو المشروع ؟ وهل هذا هو الذى طلبته ؟ واجاب سامى شرف هو ده يا أفندم اللى جالى من لبيب شقير ، وضياء داود — وطلب الرئيس من الدكتور جمال العطيفى اعداد القرار وحدد له ثلاث نقاط يتضمنها القرار (١) تصفية الحراسات (٢) لاحراسة الا بالقاضى وباجراءات قضائية (٣) تعيين مدعى اشتراكى لمباشرة هذه المهام ولما كان الدكتور جمال لم يكتب المشروع وانما فقد طلب اعادة صياغته وأمر مكتبه بارساله الى الصحف فى نفس الليلة لنشره فى صدر الصفحات الاولى .

ودخل شعراوى جمعه مجلس الوزراء غاضبا ، ومراكز القوى لم تستطع أن تتحرك علنا ضد القرار لان القرار كان فى صالح الشعب ، وأحدث دويا كبيرا وارتياح

الناس اليه ورأوا ان هذه هى السياسة الجديدة للسادات الا ان مراكز القوى كانت تعتبر ان هذا القرار غير اشتراكى ـ وبدأ الصراع يتكشف شيئا فشيئا .

ثم اتبعوه بعد ذلك باتهام هيكل بالخيانة عندما كتب مقالة بعنوان (عبد الناصر ليس اسطورة) الذى اوضحته فى حديث سابق .

وتسلسل الموقف بالانذار الاخير الذى ارسلته مراكز القوى الى السادات عن طريق سامى شرف لتعيين شعراوى جمعه رئيسا للوزارة وانتهى بعدم السماح لسامى شرف بالحديث عن هذا الموضوع مرة اخرى .

وفيما يظهر ان الذى شجع هيكل على عرض نفسه على شعراوى جمعه ان يكون وزيرا معه اذا ما عين رئيسا للوزارة لان هيكل اعتقد ان الرئيس يعطف عليه عندما دعاه سرا ليكون امام اللجنة المركزية العليا ليدافع عن نفسه ولقد اراد هيكل من ناحية اخرى ان يدخل مع هذه المراكز ليتجنب شرهم لانه بعد وفاة الرئيس جمال اصبح مهيض الجناح وليس هناك من يحميه من هذا الاذى الذى ينتظره سوى السادات الذى يسىء اليه فى الخفاء ليرفع سلاحه شاهرا فى وجهه عندما ينتصر السادات على هذه المراكز .

حادث خطير

اثناء الجدل الذى حصل بين الرئيس ومراكز القوى بخصوص دولة الاتحاد وخلال اجتماع اللجنة المركزية وقع حادث خطير موجه فى

الرئيس عرف به محمد حسنين هيكل ـ اما ماهو هذا الحادث فهو ان هذه المراكز ساصرت الاذاعة لاحتمال ان يتوجه الرئيس اليها ليخاطب الشعب ، ولكن الاقدار فوتت عليهم الفرصة حيث جنبت الرئيس فى صدامه معهم فى هذه الفرصة .

الاقدار ساقت الى السادات فرصة ثمينة

بعد ثلاثة أسابيع من حادث الاذاعة وفى مساء ١١ مايو توجه الضابط الذى قدم الاشرطة الى منزل الرئيس وحاول مقابلة الرئيس الا ان السكرتارية لم تسمح له بهذه المقابلة لكن الضابط لم يصل الى منزل الرئيس الا بعد ان موه فى طريقة سيره حتى لا يعرف احد من معارفه انه ذهب الى منزل الرئيس لانه يعرف ان ايا من مراكز القوى لو شك فى اتصاله بالرئيس لما عرف احد طريقه ، ولذلك اصر على مقابلة الرئيس ولما لم يسمحوا له بالمقابلة بعد الحاحه اعطاهم شريطا مسجلا وطلب منهم ان يعطوه الى الرئيس ليستمع اليه وظل منتظرا ، واستمع الرئيس الى الاشرطة ووضح فيها ان شعراوى قد وضع حصارا على مبنى الاذاعة والتلفزيون يوم اجتماع اللجنة المركزية ، وعند سماعه ذلك تساءل فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس هذا حدث فعلا يا سيادة الرئيس وفى اجتماع اللجنة المركزية ، وقد قال لى الاستاذ هيكل فطلبت منه ان يبلغ

سيادتكم بما يعرف لان سيادتك لا تسمح له بالكلام فى مثل هـــــذه الموضوعات ولكن الاستاذ هيكل قال لى لا يهم انا ماليش دعوه فأكـــد الرئيس على سكرتيره وقال له هذا حصل فعلا فقال فعلا انه حصل .

نخرج من هذا الى ان هيكل اخفى هذا الخبر عن السادات لان جبنه وخوفه من مراكز القوى جعله يخشى ان تنتصر هذه المراكز علـــى السادات ويتبين لهم انه كان وراء اذاعة هذا الخبر فيخلقون له (حمـــزة بسيونى) من طراز جديد يلفى عليه القضاء المبرم ـ اما سكرتير الرئيس السادات فلقد كان عديم التصرف واذا كان الرئيس السادات منعه مـــن التدخل فى اى حديث سياسى فليس معنى هذا ان يرى مؤامرة علــــى الرجل الذى اختاره ليكون سكرتيره ويسكت عليها .

حصل هذا فى ساعة متأخرة من الليل وكان الرئيس يتابع جولته مع القوات المسلحة بزيارة الطيران فى انشاص .

ولقد اراد الرئيس ان يتأكد من هذا الخبر فلم يكلف احدا من السكرتارية او من الحرس لان هذا الموضوع جعله لا يأمن جانب احـــــد كلف كريمته (نهى) وهى فى طريقها الى المدرسة ان تمر على منزل هيكـــل القريب جدا وهو لا يفصله عن قصر الرياسة سوى عمارة واحدة وتطلب منــه ان يذهب لمقابلة باباها لامر هام ، ولكن هيكل استغل هذه الطريقة التى طلب بها الرئيس مقابلته ليشيع ان الرئيس كان مستنجد به .

لماذا نبه السادات هيكل إلى عدم اللف والدوران ؟

ولذلك فان الرئيس السادات نبهه الى ذلك فى أكثر من مناسبة وقال له (لا تدرحول نفسك ، ولا تستثمر اى حديث يجرى بينى وبينك فى النشر فى غير مؤداه الصحيح ٠)

ولكن هيكل الذى عرف من اين تؤكل الكتف ، واستولى على الرئيس عبد الناصر حتى سلم له كل شىء ، واصبح زمام الامور كلها فى يده لا يريد ان تذهب منه هذه التركة فى يسر وسهولة ، ولذلك يلجأ الى مناورات تودى الى مدلولات بعيدة عن الواقع ويعتقد ان المقصود بها سيمر على الرئيس السادات ببساطة دون ان يضعها فى ميزانها الصحيح ٠

الجولة الثانية لمراكز القـــوى

نرجع الى ٢ مايو وهو التاريخ الذى أقال فيه الرئيس السادات على صبرى من جميع مناصبه الرسمية ، وطلب من سامى شرف أن تنشر الصحف هذه الاقالة فى سطر ونصف بالبنط الصغير وان كان اخراجه من اللجنة العليا من اختصاص اللجنة المركزية العليا نفسها ، وهذا التاريخ كان سابقا للتاريخ الذى اطلع فيه الرئيس على الاشرطة لانه اطلع عليها فى مساء ١١ مايو ٠

فقال سامى شرف للرئيس وهو يتلعثم طيب يا افندم ممكن تأجيل هذا القرار ونشره الرئيس وقال ، (يطول لك الحلمر مدرها وزا المكتب عندى يبلغ

الصحف ، وكان المفروض ان يذاع القرار فى المساء ، ولكن سامى شـــرف توجه الى مكتب الرئيس فى الجيزة ومعه القرار مكتوبا لكى يوقعه الرئيس. ودهش الرئيس لان العادة جرت ان يصدر رئيس الجمهورية القرارات شفويا ثم تذاع بعد ذلك ، وتعرض عليه القرارات المكتوبة ، وكانت عادة تعـــرض بعد يومين او ثلاثة ، ولكنهم تصوروا ان الرئيس قد يتردد عند توقيـــع القـــرار .

سماع الرئيس إلى التسجيلات التى قدمها الضابط .

سمع الرئيس فى التسجيلات التى قدمها الضابط ان على صبرى كان يتصل يوميا بشعراوى جمعه ، وسامى شرف وغيرهما وكان يتعجلهـــم أن يتخذوا خطوات ايجابية وان يتحركوا بسرعة . ودعا الرئيس اللجنـــة العليا فى منزله ولم يدع اليها كلا من على صبرى وضياء داود ، وطلـــب الرئيس من سامى شرف ان يحضر اجتماع اللجنة برغم انه ليس عضوا فيهـــا وبدأ الرئيس قوله ، (لعلكم ترون ان اللجنة ينقصها اثنان لان الاجتماع فى منزلى ، وانا لا أحب ان استقبلهما فى منزلى ولم يعلق احد وكان على صبرى قدم طلبا الى محسن ابو النور بصفته امين الاتحاد الاشتراكى ، وقال " انـــه يطلب عقد اللجنة المركزية لان السادات اقاله من مناصبه الرسمية لانه ابـدى وجهة نظره فى اتفاق الاتحاد وهو بهذا يقصد الحجر على الحريات فسأل الرئيس محسن ابو النور هل وصلك الطلب الذى تقدم به ؟ فقال ابو النـــور ايوه يا افندم فقال الرئيس ما رأيك فيه ؟ فقال ابو النور ــ كلام فارغ ، والتمس الاجتماع .

استدعاء السادات لشعراوى قبل سماع التسجيلات

وطبيعى ان هذا الاجتماع كان قبل ان يطلع الرئيس على التسجيل الذى قدمه الضابط — لذلك فان الرئيس استدعى شعراوى جمعه بوصفه امينا للتنظيم ووزيرا للداخلية ، وقال له : " لقد قررت تصفية الاتحاد الاشتراكى واجراء انتخابات جديدة من القاعدة الى القمة تجرى فى يونيه وينتهى على ان يدعى المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليه وعليك بصفتك امينا للتنظيم ان تبدأ من الآن فى وضع جدول عمل للتنفيذ فى الموعد المحدد ، فقال شعراوى : " حاضر يا افندم .

وطبعا ان شعراوى جمعه لما سمع هذا الامر من الرئيس اطمأن كثيرا الى ان الرئيس ما زال يوليه ثقته ولهذا وضع فى يده هذه الامانة الخطيرة التى فى استطاعته ان يزيفها كيف شاء فكانت هذه دفعة جعلته لا يتعجل الامور فيقدم على مغامرة ربما تكون فى غير صالحه — ومن ناحية اخرى فان هذا الامر من جانب الرئيس السادات لم يكن مقصودا به الا الغرض الذى نبه اليه لان شريط التسجيل كان لم يصل اليه بعد .

استدعاء ممدوح سالم لاستلام وزارة الداخلية اليه ،

والدليل على ذلك انه فى مساء ١١ مايو عندما تبين له التسجيل المدون على الاشرطة عمل عملا حاسما واستدعى السيد / ممدوح سالم وطلب منه الحضور فورا وبراكزا اللوى عرفت ذلك وعرض عليه وزارة الداخلية وشرح له الامور بالتفصيل ، وقال له : " اذا كنت فى استطاعتك ان تواجه هذه المهمة فصارحنى والا فارجع الى مكتبك ، فقال ممدوح : " انه مستعد فورا وحلف

اليمين ، وكان الرئيس قد اعاد الشرائط التى تقدم بها ضابط الامن مساء ١١ مايو ١٩٧١ الى موضعها حتى لا ينكشف الامر .

الجولـة الاخيرة والحاسمة

استدعى الرئيس سامى شرف وطلب اليه ان يبلغ شعراوى جمعه قبول استقالته وقال له "انا مش عاوز اطلعها الآن – وبكى سامى شرف وكان فى شبه انهيار وقال سامى : "ان شعراوى مخلص لسيادتك " قال له الرئيس السادات " شعراوى متآمر والدليل عندى ؛ شريط مسجل – تضاعف عندئذ بكاء سامى شرف وتضاعف انهياره ، فقال له الرئيس " اما انت فخليك فى مكتبك وخذ اجازة كم يوم لانى شايف ان اعصابك تعبانه ، واستدعى الرئيس قائد الحرس الجمهورى ونبه عليه بالانتباه ولكن سامى شرف لم يتوجه الى منزله ، وانما توجه الى منزل شعراوى جمعه واستقر رأيهم على ان يقدموا استقالات جماعية ، وقد طلبوا من الفريق فوزى التدخل فقال لهم : "ان الجيش ليس على استعداد لأن يتدخل ذ لا به واحده ، معركة سياسية لانه فى مواجهة اسرائيل – ثم قال لهم كل الذى اقدر عليه ان اقدم استقالتى معكم – وهنا نقف وقفه بسيطة لنعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله فنقول "ان هذه لفتة وطنية من فوزى وزير الحربية لانهم عندما ضغطوا عليه بدافع الصداقة قدم استقالته تضامنا معهم ولم يزد

على ذلك وربما لو حاول وهو في يده زمام الحربية لكان في استطاعته ان يفعل شيئا . — وبعد اذاعة الاستقالات في النشرة ، واذاعة قبولها طلب الرئيس من اللواء الحريرى ان يتحفظ على المستقيلين ومن بينهم على صبرى ايضا وفي هذه الاثناء عين اللواء أحمد اسماعيل رئيسا للمخابرات مكان احمد كامل .

بعد أن كان الرهان في جانب مراكز القوى أصبح العكس .

لقد انتهت هذه الجولة بالضربة القاضية بين مراكز القوى والرئيس السادات وبعد أن كان الرهان في جانب مراكز القوى فقد كان العكس وانتصر الرئيس السادات عليهم جميعا وتحفظ عليهم ثم قدمهم الى المحاكمة ثم بدأت بعد ذلك ثورة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١ التى ازالت كابوسا كان جاثما على صدر الشعب فاعادت ثورة التصحيح هذه ثورة ٢٣ يوليه الى مسيرتها الطبيعية .

هذا هو الموقف الداخلى الذى عانى منه الرئيس السادات الكثير ، وانتصر على تلك القوى التى كانت تملك كل مقومات السلطة وكانت هذه المراكز تعتبر ان التركة التى خلفها عبد الناصر هم الورثة الوحيدون لها ، ولم يكن مع السادات الا المولى جل شأنه — لان رئيس الجمهورية كان لا يملك سوى الامر فقط اما التنفيذ فقد كانت الحربية والداخلية والتشريعية فى ايديهم جميعا .

ولما كان موقف روسيا مرتبط بهذه المراكز فقد اعلن السادات لروسيا عندما أقال على صبرى بان روسيا لا تتعامل مع فرد وانما تتعامل مع دولة فاذا كانت تتعامل مع فرد فقد ذهب هذا الفرد واذا كانت مع الدولة

موقف روسيا بعد هزيمة هذه المراكز

والحقيقة ان روسيا تتعامل دائما مع أفراد فهذه افغانستان وهذه اليمن الجنوبية ، وهذه الجزائر وهذه هي ليبيا وهذه هي سوريا كل هذه الدول عملت روسيا ترتيبها على تثبيت اقدام عملائها بتصفية منافسيهم جسديا وهي التي تتولى هذه التصفية اما الذين استطاعوا تثبيت اقدامهم فهي تعينهم ضد شعوبهم ولو محيت هذه الشعوب من الوجود ولما كانت روسيا تريد ان تستغل مصر في مفاوضتها مع العالم ومع امريكا بالذات فهي لا تريد لمصر ان تنتصر ، ولذلك خدعتها في حرب ١٩٦٧ حتى دخلت الحرب بتلك الطريقة الفوضوية التي لم يكن فيها اى تخطيط ، وعندما ذهب شمس بدران وهو وزير حربية مصر الى روسيا قبل هذه الحرب ربت الرئيس الروسي على كتف شمس بدران وقال له " سر على بركة الله ونحن من ورائك " ، ولذلك عندما عاد شمس بدران وزير الحربية المصرية الى مصر واجتمع مع الوزراء في مجلس الوزراء سأله احد الوزراء ماذا ستعمل اذا تدخلت امريكا في الحرب مع اسرائيل ؟ فأجاب الوزير يا ريت تدخل امريكا كنا نوريها وهذا الكلام طبعا اعتمادا على الكلام الذى القاه اليه الرئيس الروسي وطمأنه به — وطبعا كلام شمس بدران هذا لا يدل الا على كلام صغار يلعبون في الشارع لأن المشير عامر ولى نعمته رفعه من نقيب الى وزير حربية ، ولم ترد روسيا ان تأخذ الامور بالعنف لان الرئيس السادات قد قابل اصدقاءها

بهذه القسوة ، ولم يرع صداقة روسيا لهم ، لان السادات الغى الحراسات والمصادرة واخرج المسجونين والمعتقلين من سجونهم ومعتقلاتهم فاذا ما استعملت روسيا العنف فمعنى هذا انها ستقف فى مواجهة الشعب كله .

الورقـــة الجديـــدة

ولذلك فان روسيا وضعت ورقة جديدة فى يدها تلعب بهـا ــ هذه الورقة هى القذافى حاكم ليبيا ، وقربت منه ذلك المركز المفرد من مراكز القوة الذى وجد ها فرصة ثمينة وهو هيكل لان هيكل كان ينتظر بفارغ الصبر الوقت الذى يحسم الامر بين الرئيس السادات ومراكز القوى حتى يعرف رأسه من رجليه ويتخذ الطريق الذى يستطيع ان يسلكه .
وعليه فقد وجد فى القذافى تلك البقرة الحلوب ، التى يستطيع ان يستدرهـا فى اى وقت .

تطلعات القذافى حاكم ليبيـا

والقذافى كانت لا تملأعينيه ليبيا ، وانما كان يتطلع الى ان يتربع على عرش مصر فلقد بحث هذا الامر على المكشوف بمعنى ان يكون هنـــاك اتحاد بين مصر وليبيا على ان يكون هو القائد العام للقوات المسلحة لانه يعلم ان القائد العام للقوات المسلحة بمصر المشير عامر هو الذى كانت بيده مصائر

الامور فهو الذى ساعد جمال عبد الناصر على تجيب الذى كان اول رئيس جمهورية بعد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ وهو الذى وقف بجانب جمال وساعده عندما نحى زملاءه بعيدا عنه ، وهو الذى وقف ليصارع جمال عندما أراد أن ينحيه عن الجيش بعد الهزيمة حتى انتهى الامر بينهما بموت المشير عامر — وعندما عرض القذافى هذا المنصب عليه بأن يدفع الثمن الفى مليون جنيه الا ان الرئيس السادات قال له : (ان مصر ليست معروضة للبيع .) ولكن هيكل انتهز هذه الفرصة مع وجوده رئيسا لتحرير الاهرام وظل يكتب مؤيدا القذافى مما وثق الصلة بينه وبين القذافى وجعله يفتح عليه خزائنه ، واصبح القذافى بعد رفض السادات هو القاسم المشترك الاعظم فى كل ثورة وكل تمرد ضد السادات ، واصبح هيكل هو الصلة بينه وبين الشعب لاثارة القلاقل بواسطة ما يكتبه فى جريدته وما ينشره فى الجرائد العربية والاجنبية ضد الرئيس واطمأنت روسيا الى وجود هذا الاخطبوط اذ ان الرئيس السادات واجه فى اول حكمه معاناة من مراكز القوى التى تساندها روسيا ، ولما قضى على هذه المراكز ظهر ذلك المركز المتخفى واحاط نفسه بعوامل لا تقل فى اهميتها عن العوامل التى كانت تساند مراكز القوى التى كانت فى ايديها السلطة مجتمعة فالقذافى هو الذى كان يسانده وهو رئيس دولة وأمواله لا تحاسبه عليها دولته ولكنه يتصرف فيها كيف شاء ومن وراء هذا وذاك روسيا التى تمدهم بكل وسائل التكنولوجيا الحديثة التى تستعمل فى حرب

الفــــتن والثـــورات .

الفتن والثورات

روسيا لم ترغب لمصر النصر

والدليل على أن روسيا لم ترغب النصر لمصر انما فى حرب اكتوبر بعد ست ساعات فقط وعندما رأت ان مصر اجتازت القنــــــاة واقتحمت خط بارليف ووضعت اقدامها على الشاطىء الثانى ذهبـــت روسيا الى السادات وطلبت منه ايقاف القتال وكررت هذا الطلب ثـلاث مرات وجاءت بخطاب من الاسد لتثبت بذلك موافقته على ايقاف القتـال ولكن السادات رأى بعد هذه الجهود المضنية وبعد تفوق قواته انــــه لا يصح ان يرجع خطوة الى الوراء لان معنى ايقاف القتال ان يســــترد الاسرائيليون انفاسهم ، وينظموا صفوفهم ، ويقضوا على عوامل الغفلة الـتى اوقعهما المصريون بهم من تمويه وخداع ـ لم يقبل السادات ايقاف القتال حتى ولو قبل الاسد هذا الايقاف . واننا نرجىء الحديث فى هـــــذا الموضوع الى ان نتكلم عن حرب اكتوبر .

هل استراح السادات بعد انتصاره على مراكز القوى؟

فى الواقع ان انتصار السادات على هذه المراكز كان هو الضـــوء الاخضر الذى جعله يسير فى طريقه لتثبيت دعائمه وانتهاج الخطة الــتى

رسمها لتحقيق ما أفسده غيره — وما دمنا بصدد الكشف عن المعاناة التي عاناها السادات بسبب وجود مراكز القوى التي كانت تعتبر نفسها بانها الوارث الحقيقي لعبد الناصر لدرجة انها ارادت ان تعتبر كل قرارات عبد الناصر ميتة بعد موته حتى يدفن معها نهاية رياسة الجمهورية . وقد قالت ذلك فعلا ولكن الضابط حسن التهامي كان من المدافعين عن موقف السادات في ذلك الوقت وقال لهم : اذا كنتم تعتبرون ان قرارات عبد الناصر قد ماتت بموته فان وجودكم هنا باللجنة المركزية العليا هو من قرارات عبد الناصر . واذا كنتم تتكلمون بأى كلام وتتخذون اية قرارات فلان وجودكم بهذه اللجنة هو الذى اعطاكم هذا الحق — وجميع المؤسسات القائمة الآن من مجلس شعب وغيره هى من قرارات عبد الناصر فاما أن ترفضوا قراراته وتتركوا اماكنكم . واما ان كنتم تحترمونها وتلتزموا بما جاء فيها وساروا في حوارهم وساروا في مؤامراتهم حتى انتصر عليهم السادات وقدمهم الى المحاكمة بتهمة التآمر — ولكنى كما قلت كان هناك مركز منفرد هو محمد حسنين هيكل كان ينتظر نتيجة هذا الصراع ليبدأ هو صراعه مع السادات وهو آمن من ان هذه المراكز قد انتهت ولم يأت خوف من جانبها .

ولذلك فانا نريد ان نوضح من هو هيكل ونضع صورة طبيعية له امام القارئ حتى يعرف مدى المعاناة التي عاناها السادات من ناحية

مراكز القوى الظاهرة ومراكز القوى الخفية فنبدأ أول القول .

من هو هيكل

اذا كنا نسلط الاضواء على هذا الهيكل فيجب ان يعرف الناس انه الشخص الوحيد الذى اقام الدنيا وأقعدها ضد الرئيس السادات بما كان يكتبه فى الشرق والغرب ، وما كان يضمن كتاباته من افتراءات وأكاذيب .

أولا — هيكل هذا لم يتم دراسته وهو لا يحمل سوى شهادة التجارة المتوسطة ولكنه يجيد التسلق اجادة تامة ولذلك عندما تسلق على كتف عبد الناصر لم يكتف به طموحه عنده تربعه على كرسى الوزارة ورياسة تحرير الاهرام وهى اكبر جريدة ، لان الرئيس عبد الناصر قد اتخذه مستشارا ليشاركه فى وضع القرار ، وتنفيذ الخطط .

لقد كان هذا الهيكل فى عام ١٩٥٢ فى شقة متواضعة فى حى باب الشعرية ، ثم اصبح بفضل الاشتراكية يسكن فى شقة تتألف من ١٦ غرفة فى عمارة مرشاق بجوار فندق شيراتون حيث يسكن الامراء السعوديون وسفير المانيا فى القاهرة فى الوقت الذى لا يجد اى خريج فى الجامعة غرفة واحدة يسكن فيها وليت الامر قاصر على هذا فهو يملك قصرا فى عزبته بالهرم التى أخذها سفاحا حيث يوجد فى الحديقة حوض سباحه تمأنه

شأن كواكب السينما في هوليود واصحاب الملايين في امريكا ، وهو لا يكتفي بالقصر الفخم وبالاثاث الذي هربه الى مصر دون ان يدفع عنه مليما واحدا ضريبة ، ولا بالتحف الثمينة التي تقدر بمئات الالوف من الجنيهات بل هو يملك شقة فاخرة في الاسكندرية ومع الشقة لا يستأجر كبينة في المنتزه شأن الوزراء وعلية القوم ، وانما يستأجر كبينتين ، وله يخت صغير يجري على شاطيء المنتزه ، والمليونير الاشتراكي الذي يدعو للشيوعية الآن لم يكن له رصيد في البنك عام ١٩٥٢ ولكن بفضل الاشتراكية وتوزيع الثروة على العمال والفقراء والمعدمين أصبح يملك في البنوك المصرية نصف مليون جنيه غير الملايين التي يملكها من العملة الصعبة في بنوك اوروبا وامريكا .

وهذا المليونير الذي يتحدث باسم العمال والمعدمين يملك مزرعة للدواجن تعتبر اكبر مزرعة لانتاج الفراخ في مصر كلها ، ولقد ارسل له الامريكيون وقت أن كان امريكيا متنكرا في عهد جمال عبد الناصر احدث الآلات في انتاج الفراخ ليضعها في مزرعته الواسعة وهو يربح منها مائة الف جنيه سنويا لا يدفع عنها اى ضريبة للعامل المصري والفلاح المصري الذي يذوب عشقا فيهما ولو قدرت ثروته لربت على الألف مليون دولار

وفي عهد مراكز القوى صدر قرار جمهوري بالا يزيد دخل اي رئيس مجلس ادارة مؤسسة على خمسة آلاف جنيه في العام ونشر هذا القرار في الصحف ، وطبق على جميع رؤساء مجالس الادارات في كل المؤسسات والشركات في مصر ، وعلى الفور صدر قرار جمهوري سري لم ينشر في الصحف ولم يعلم به الناس وهو ان يكون لمحمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام

وحده الحق دون سائر رؤساء مجالس الادارات فى جميع مصانع وشركات وبنوك مصر فى ان يتقاضى خمسة آلاف جنيه فوق مرتبه وهو خمسة الاف جنيه اخرى معفاه من الضرائب .

لم يكتف بهذا كله فلقد أراد ان يصفو له الجو فى عهد عبد الناصر من جميع المنافسين الذين يرى فيهم عبد الناصر ان يستنير برأيهم .

فهو الذى حرض على اغلاق جريدة المصرى ١٩٥٤ ، وهو الذى حرض على اعتقال احسان عبد الله ورفس السجن الحربى ١٩٥٤ وهو الذى تآمر على استاذه ومربيه وولى نعمته مصطفى امين — ولفق له قضيه ليتخلص من منافسته على قمة الصحافة ، وايضا لان جمال كان يستنير بآراء مصطفى امين فى كثير من الامور ، ولقد اوضحت ذلك باسهاب فى الجزء الرابع من كتابى (تطورات السياسة المصرية فى الميزان) من ثورة ١٩١٩ الى ما بعد ازالة اثار العدوان .

كيف كان هيكل امريكيا ثم انقلب داعية للشيوعية ؟

ان الدول الكبرى عندما ترى ان يكون لها عميل فى دولة تختار شخصا معينا من هؤلاء الاشخاص الذين يكونون قريبين من الاحداث ، ولهم تأثير مباشر على صانعها ليعطوه مادة دسمة عن دولتهم تكون هذه المادة بعيدة عن اعين القراء وسمعهم ، وتكون جديدة بالنسبة للحاكم الذى يقف من هذه الدولة موقف الحذر ليتلمس اخبارها فالدولة التى تختاره تبيح له ان يعلن

هذه المادة لانها قد عملت احتياطيها من وراء هذا الاعلان ، وفي نفس الوقت تعطيه أجرا مجزيا ويكون ربحه مضاعفا فبالاضافة الى هذا الاجر يرى فيه القراء الذين يتصفحون مقاله انه الشخص الوحيد الذى يعطيهم مادة دسمة لا يمكن ان تتوفر لغيره ، ومن ناحية أخرى يثق فيه الحاكم ويختص به منه اكثر واكثر ويشتد تمسكه به .

وقد وصل هيكل فى هذا الى أبعد الحدود ، واصبح دورا لم يستطع لاحد من قبله ولا من بعده ان يلعبه ، وقد استطاع ان يحوز ثقة الحاكم كتلك الثقة العمياء التى يتحدثون عنها ، لدرجة ان سامى شرف وزير الدولة لشئون المعلومات وضع اجهزة التصنت التى كان يراقب بها هيكل وضعها امام جمال عبد الناصر تسمع جمال اى هيكل فى جلسة خاصة مع سكرتيرته الخاصة ، يعد يقه الحميم لطفى الخولى وقد تناولوا شخصية جمال عبد الناصر بالنقد اللاذع ، وبألفاظ لا يستطيع لمواطن ان يتلفظ بها ، ولقد سمح لهم هيكل ان يتحدثوا بحريتهم دون ان يراجعهم فى شىء ، ولكن ثقة جمال به جعلته يلمس تلك على سكرتيرته ، وصديقه وتفصل هذه السكرتيرة ويسجن صديقه الخولى دون ان يصيبه هو ادنى اذى .

ومما يدل انه كان عميلا لامريكا فى ايام عبد الناصر ان محمد نجيب اول رئيس جمهورية بعد ثورة الجيش جاء فى كتابه الذى اصدره بعنوان (كلمتى للتاريخ) رفعت الى المخابرات المصرية تقارير تقول فيهـــــا

(ان الصحفى محمد حسنين هيكل) عميل للمخابرات الامريكية فرفضت مقابلته ، وما قاله تجيب اثناء احد كبار وكالة المخابرات المركزية اسمه (مايلز كوبلاند) فى مذكراته التى نشرها فى كتاب اسمه (بلا عباءة ولا خنجر فى صفحتى ٥٢ ، ٥٣) انه ليس ضروريا ان يكون الانسان عميلا بالمعنى الشائع للعمالة لكى يؤدى الخدمة المطلوبة ، وانما يمكن احيانا مع بعض الاشخاص ان تعقد المخابرات معهم نوعا من الاتفاق الودى لتبادل المعلومات لكى تكون لهم اكبر قيمة من اى عميل ، وضرب كوبلاند مثلا محمد حسنين هيكل فكتب يقول " ان العلاقة الخاصة بين الحكومة الامريكية وكبار الصحفيين العالميين تتجاوز الصحفيين الامريكيين الى غيرهم فى البلاد الاخرى ممن اشتهر منهم بالعون للولايات المتحدة مثل هيكل فى مصر — ان الصحفى يستطيع ان يكون عنيفا فى مهاجمته للسياسة الامريكية كما يشاء بشرط ان يكون نزيها فى المعلومات التى يقدمها للحكومة وبشرط الا تسىء استعمال المعلومات التى تعطى له ، ويقصد الكاتب الا يعطى تلك المعلومات لروسيا مثلا ثم يتابع الكاتب ليقول (ان اعنف مقالات هيكل التى كتبها ضد الولايات المتحدة كانت ترتكز اساسا على المعلومات التى اعطيت له مجانا من السفير الامريكى فى القاهرة مقابل ان يقدم هيكل المعلومات التى فى حوزته بالتفصيل الى السفير الامريكى ، وكان السفير الامريكى يشترط على هيكل ان يذكر له المصادر التى حصل منها على تلك المعلومات وكيفية حصوله عليها ، وقال السفير السابق "لوشيوس" للسفير الذى حل محله فى المنصب

"ان هيكل في جميع مراحل تعامله معه لم يخل ابدا باتفاقه مرة واحدة بل كان في منتهى الاخلاص في خدمة الولايات المتحدة .

هل الدول الكبرى تكون بالفعل من هذه العصبة؟

ان روسيا لم تكن غافلة عن الدور الذي كان يقوم به هيكل لحساب عدوتها اللدود امريكا فقد نشرت مجلة الحوادث اللبنانية تفاصيل خطيرة لزيارة عبد الناصر لموسكو والتي اصطحب فيها محمد حسنين هيكل، وفي العاصمة السوفيتية دار حوار بين خروتشوف وهيكل هذا نصه:
خروشوف : الآن وقد زرت الاتحاد السوفيتي واطلعت على احواله اعتقد انك لابد لك من زيارة للولايات المتحدة .

هيكل : اعتقد ان هذا صحيح .

خروتشوف : الم تزرها من قبل ؟

هيكل : لم تسمح لي الظروف بذلك .

خروتشوف: ان لم تخني الذاكرة يخيل الي انك قمت برحلة سريعة الى امريكا

هيكل : لا لم ازر امريكا نفسها وانما كانت رحلة لمنظمة الامم المتحدة في نيويورك .

خروتشوف : آه تذكرت الان ويومها انتهزت انت الفرصة للقيام بجولة سريعة حول الامم المتحدة .

هيكل : نعـــــم .

خروتشوف : واذا لم تخنى الذاكرة كان ثمة مبلغ محترم من المال فى انتظارك !

هيكل : لم يحصل .

خروتشوف: ربما اعتمد على ذاكرتى اكثر من اللازم لكن قلما تخوننى الذاكرة وسأثبت لك ذلك عمليا الآن واخرج خروتشوف من مكتبه ورقة وقال لهيكل " المبلغ المحترم صرف لك بموجب شيك رقم كذا بتاريخ كذا وكان المبلغ هو على وجه التحديد كذا .

هيكل : انت تقصد المبلغ الذى تقاضيته ثمنا لموضوعات كنت بعثت بها الى جريدتى واشنطن بوست ونيويورك تايمز ، وكنت مراسلا ولتهما لاخبار اليوم فى كوريا اثناء الحرب هناك . ولقد نشرت هذه المقالات فى حينها .

خروتشوف : الا ترى ان الوقت كان غير معاصر ، وكان بينهما عامان ؟.

هيكل : لا أتذكر .

خروتشوف : الا ترى ان الثمن كان مبالغا فيه بالنسبة لمقالات صحفية فالمبلغ كما تعرف مائة ألف دولار .

هيكل : لا أعتقد .

خروتشوف : معلوماتى ان تخنى الذاكرة تؤكد ان هذا المبلغ صرف بموجب شيك صادر من وكالة المخابرات الامريكية ، وليس من الصحيفتين اللتين ذكرتهما

هيكل : وماذا تعنى؟

ورد خروتشوف بهدوء الحلبلة اننى اعنى اكثر مما سمعته اذ ناك ٠

ومعنى هذا ان وجوده غير مرغوب فى روسيا ٠

عندئذ خرج هيكل من الحجرة واستقل الطائرة ورجع الى القاهـــرة فى اليوم التالى الذى وصل فيه الى موسكو ٠

نشرت هذه المعلومات بالاخبار فى ٩/ ٩/ ١٩٧٧ بقلــم الصحفى ابراهيم سعده ، ولقد عرفنا فيما عرفنا من اخبار الجواسيس ان الجاسوس الذى يتعامل لدولة تعطيه دولته معلومات صحيحـــة ليبلغها الى العدو على ان يأخذ فى مقابلها معلومات تضر بالعدو نفسه ، وتكون دولته قد اتخذت كل الاحتياط من ناحية المعلومات التى منحتها لمن قام بالعمل لحسابها ، وكان هذا هو ما اتبعته امريكا مع هيكل تماما ٠ لقد كان هيكل يجيد الغمز واللمز فى مقالاته بصراحة التى لا تتسم بشىء من الصراحة ،

والغريب فى هذا ان يجىء هيكل اليوم ويعلن فى جريـــدة الصنداى تايمز عن جمال عبد الناصر انه كان لا يؤمن بالجنة والنار وهو ما نشرته جريدة الحوادث اللبنانية فى ١٦/ ٥/ ١٩٧٥ التى اكتشفـــت ان ما ينشر فى صحيفة الصنداى تايمز ذات الميول المعروف لا ينشر فى الصحف العربية فماذا كان يقصد هيكل بنشره هذا الخبر فى تلـــــك الصحيفة ــ هل كان يريد ان يفهم القراء بان عبد الناصر رجل ملحـــد

لا يؤمن بالله لان الذى لا يؤمن بالجنة والنار لا يؤمن بالخالق — ومعنى هذا انه كان يميل بطبعه الى دولة الالحاد والكفر وهى الشيوعية — هل كان عبد الناصر الذى صنع منه انسانا له توتسه وجبروته يستحق منه كل هذا التشهير ونعته بهذه الصفات التى لم نسمع بها من اعدى اعدائه .

ان هيكل الآن يطلبه القذافى الى ليبيا ليتجنس بالجنسية الليبية ، ولكن هل اذا رضى هيكل بهذا العرض واخذه القذافى كمستشاره او رئيس وزرائه ايضمن نفسه بان يتقى شر جنونه اننا سمعنا انه حلق رأس رئيس وزرائه جلود وابقاه خارج الحكم مدة ليكون ذلك نوعا من الاذلال ولما قبل جلود هذا الذل اعاده الى منصبه مرة ثانية — وانا نريد من هيكل اذا عمل القذافى معه تجربة كهذه الا يثيره ذلك وان يعتبر هذا من الظواهر الصحية .

لقد كان هيكل يجيد الغمز واللمز فى مقالاته بصراحة التى لا تتسم بشىء من الصراحة

بعد ان تأكد لهيكل ان الرئيس السادات لم يأخذه بجواره كما كان عبد الناصر ولم يعد صاحب القرار والصحفى الاوحد والكاتب الاوحد رأى ان يهدم المعبد على من فيه فانتهز فرصة مماطلة روسيا فى تأخير امدادنا بالسلاح ، وكتب بصراحته ما يحطم الاعصاب ويثبط الهمم

فقال : (ان الجيش المصرى قد تدرب على الاسلحة الروسية واننـــا لو اردنا ان نلتجئ الى غير روسيا فى امدادنا بالسلاح لما استطعنا لأن الاسلحة الجديدة على الاقل تحتاج الى التدريب عليها عشر سنوات فنحن مضطرون ان طوعا او كرها على مجاراة روسيا وكانت روسيا فى ذلك الوقت تحتضن القذافى وترى ان القذافى لعبة فى يد هـــا تشكلها كيفما تشاء وقد وعد هيكل صلته به حتى انه اراد ان يأخذه معه ليتجنس بالجنسية الليبية ويكون وزيره ومستشاره كما كان مع جمال .

ولم تكن هذه اقل ما يكتبه ويحطم اعصاب المصريين بـــه فلقد كتب قبل حرب اكتوبر مقالا بعنوان (تحية الى الرجال) وكانــت هذه التحية موجهة الى الشعب كله لا الى الجيش فحسب لانه بدأ فيها بالرثاء والاشفاق على جيشنا لانه يواجه كوارث لا قبل له بها فهـــــو يصف القناة بأن عبورها من المستحيل ولان اسرائيل زودتها بأنابيــب تلهبها عند اللزوم وان الذى ينجو من القناة نوترانها لا ينجو من خط بارليف ومدافعه ودباباته وان خرج سالما من القناة فانه سيجد الساتر الترابى القائم على حافة القناة وتكون عند ذلك قد قامت الطائــــرات الاسرائيلية لتأدية دورها وبعد ذلك العوائق الطبيعية من الكثبان الرملية والممرات التى تعتبر مفاتيح لسيناء وكل هذا واكثر منه كتبه ليثبط الهمـــم ويضعف العزائم بل انه فى حرب اكتوبر عندما حطمنا خط بارليف فتح بحثا جديدا عن القنبلة الذرية وملكية اسرائيل لها ليقول للمصريين الذين فرحوا

بهذا النصر لا تفرحوا فان فى استطاعة اسرائيل ان تأخذ هـــذا النصر فى لحظات . روايات لو تدبرها القارى لعرف مبلغ خيانة هيكل لبلده .

هذا هو الشخص الذى وقف يتآمر ضد السادات فى حياته ولم يمنعه حياؤه ان يستمر فى التشهير به بعد مماته .

لقد ذكر رواية قبل حرب اكتوبر فى وقت لم يستكمل فيـــــه الرئيس السادات دفاعه عن بلده ، ولم يقصد بهذه الرواية ان يستعدى امريكا واسرائيل على مصر - قال فيما قال بصراحة

ان عبد الناصر رأى ان امريكا وانجلترا تستعدان لاجهاض ثورة العراق فقام يخطب كعادته وقال : (ان مصر هى العراق والعراق هى مصر ومن يعتدى على العراق فانما يعتدى على مصر ، ولما خشى ان تقع الواقعة بين العراق وبين امريكا وانجلترا ذهب الى خروتشوف ليسأله عما اذا كان سيدخل الحرب بجوار مصر اذا ما اعتدت امريكـــا وانجلترا على العراق فكانت اجابة خروتشوف وهنا هو نص مقال هيكـــل بصراحة لا مصر فى هذه الحالة تتحمل مسئولية نفسها لان روسيا لســـه قايمه من الحرب وعاوزه تستريح ولا يمكن لها ان تحارب امريكا وانجلترا من اجل سواد عيون مصر فقال عبد الناصر يعنى روسيا ما تقدرش تعمل حـــتى ولو انذار مثل انذار بورسعيد فأجاب (خروتشوف) ولا هذا وهنا تســـال عبد الناصر يعنى ما نتوقعش ايه تعملولنا حاجه اى حاجه فتدارك خروتشوف

الامر واراد ان يرضيه بشيء وقال "كل الذى نقدر عليه اننا نعمل شوية مناورات على حدود تركيا واذا اتت بنتيجة كان بها والا فأنتم لازم تحلوا انفسكم .

هذا ما قاله هيكل فى مقاله بصراحة ، وليس له الا معنى واحد وهو انه يقول لاسرائيل وامريكا ويقول لهم ، "ان الطريق مفتوح امامكم لهذا هو موقف روسيا واضح وصريح فما الذى يمنعكم من ضرب مصر ان الحقد قد ملأ قلبه من ناحية السادات لدرجة انه يريد ان يدمر مصر كلها ليدمر معها السادات — والسادات يقرأ هذا ويعرف ما يرمى اليه ، ولكنه يمهله ويصبر عليه .

أرأى القارىء كم عانى السادات من مراكز القوى الظاهريين وكم عانى من ذلك المركز الخفى — ان هذا الهيكل قد انتفخت اوداجه وصار فى عهد عبد الناصر هو الحاكم بأمره ، وكانت مراكز القوى تخشاه ولا تستطيع ان تمسه بسوء خوفا من عبد الناصر الا ما عمله معه سامى شرف من تسليط آلة التصنت عليه هو واحد قاوه وتبين لعبد الناصر انهم يتكلمون فى حقه ، ان هذا الشخص قد انعدم ضميره وجرد من الحياء لانه حمل على السادات حيا وحمل عليه ميتا وصبر عليه السادات صبر ايوب دون ان يقدم له اية اساءة .

واذا كانت المعارضة ملأت الدنيا ضجيجا وعجيجا ضد السادات وان هذا الهيكل كان يتطوع دائما بقلمه ليكون المعبر لهم والناطق بلسانهم فانا هنا نضع امام القارئ اعمال السادات وهى ما شهد له بها العالم الحضارى من أقصاه الى اقصاه وان هيكل يكتب تاريخا مزيفا ويترجمه الى ثلاثين او اربعين لغة معتقدا ان امكانياته هذه ستجعله يمسخ التاريخ ويطفئ المصابيح كلها ليعيش العالم فى الظلام ولكن الله يريد (يأبى الا) أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وانا قبل أن نبدأ فى الحديث عن المجهود الذى بذله الرئيس السادات فى تحرير بلده واسترداد كرامته وكرامة جيشه لا بد أن نبين هنا بعض المواقف الدولية التى كانت شوكة فى ظهره وعقبة كأداء فى طريقه ونبين ما عاناه السادات من وجود هؤلاء الحاقدين حوله يتآمرون عليه وينهشون فى عرضه ولذلك فاننا نتناول هنا بعض الآراء والمواقف لتلك الدول التى وضعت بصماتها على تلك المعاناه .

آراء ومواقف

حول موقف روسيا

فى الواقع عندما ارتمت مصر فى أحضان روسيا ، واعتقدت بانها هى المنقذ الذى يمد يده اليها لانقاذها من الغرب الذى يضغط عليها لتطويعها حسب ارادته ـ وعندما تم هذا كانت مصر كمن ينطبق عليها قول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته . كالمستجير من الرمضاء بالنار

لان أمريكا اذا كانت ترى فى اسرائيل ركيزة لها فى الشرق الاوسط وتعمل على وجودها فى المنطقة وتعاونها بشتى الطرق للمحافظة على مصالحها فان روسيا لم تكن بعيدة عن اسرائيل لان لينين اشترك باسم الحزب الشيوعى فى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى بال ١٩٠٦ وكان احد المخططين وواضعى البروتوكولات التى استهدفت التخلص

امبراطور روسيا المسيحى المتزمت تأكيدا لما قرره المحفل الماسونى الامريكى فى نهاية القرن التاسع عشر ، وما أن نجح المخطط الصهيونى بقيام الثورة الشيوعية حتى كان اليهود هم القائمون بالاغتيالات السياسية ، وان مؤسسى الدولة الشيوعية فى روسيا كانوا طبقة اليهود المثقفين ، وليسوا من طبقة البروليتاريا التى ضللت ، وكان اول رئيس للدولة فى روسيا بعد نجاح الثورة الشيوعية هو اليهودى (كليمنسوف) وتلاه اليهودى الارهابى (سفرد لون) ثم اليهودى (زينوفيف) ولما انتهت الحرب العالمية بدأ زعماء الثورة الشيوعيون فى مساعدة اليهود الروس على الهجرة الى فلسطين واقامة المستوطنات .

هل كانت امريكا أحرص على مصلحة اليهود من روسيا ؟

لم تكن أمريكا احرص على مصلحة اليهود من روسيا وتمكينهم من البقاء فى وطنهم فان روسيا ترى ان هؤلاء اليهود منها ولها وان الثورة الشيوعية قامت بتدبيرهم وتخطيطهم ، وان امريكا ليست أقرب لاسرائيل من روسيا ولذلك عندما وقفت مصر موقفها المعادى من الغرب اسرعوا اليها على اعتبار انهم هم الذين يستطيعون انقاذها فكانت صفقة الاسلحة التشيكية ، وكانت تصرفات الرئيس عبد الناصر مع وزير خارجية امريكا عندما انهى الحديث معه وأمر مدير مكتبه ان يريه الطريق للخروج من عنده .

وذلك عقب سحب الولايات المتحدة والبنك الدولى عرضهما فى تمويل السد العالى ، وطبيعى ان الرئيس عبد الناصر لم يتصرف مثل هـذا التصرف الا بعد ان فهم تلميحا او تصريحا بان القوة التى بجانبه على استعداد لتلقى الضربات عنه ، وفعلا فتحت مصر الابواب على مصاريعها للوجود السوفييتى الذى تزايد وتزايد فى المنطقة العربية ، واتجه الى افريقيا ، وأراد ان يفرض نفسه على البناء الداخلى فى مصره وبدأ يعتمد على افراد بعينهم ، ووقفت بلاد عربية أخرى فى أيام جمال عبد الناصر من هذا الوجود السوفييتى موقف الرافض له الخائف منه على اساس ان مبادئه تتنافى مع مبادىء الدين الاسلامى ، ولذلك حصل صراع بين مصر وهذه الدول قامت بها وسائل الاعلام من هنا ومن هنـاك ــ ونشأ عن هذا أن امريكا زادت تأييدها لاسرائيل زيادة مضطردة واعطتها المال والسلاح بما يزيد عن حاجتها ، ووضعت البنتاجون والمخابرات الامريكية ، وكل امكانيات العالم الغربى فى خدمتها ، واعتبرتها الحصن المتصدى للوجود السوفييتى فى المنطقة ولحماية المصالح الامريكيـة مع ان هذا التفسير الامريكى غير واقعى وغير حقيقى لان امريكا اقتنعت بهذا التفسير على أساس ان روسيا تمدنا بكل شىء ، وان قوتنا من قوتها ولكن فى الواقع ان روسيا كانت لا تريد لنا ان نقوى حتى نظل فى احضانها ولا تريد لنا ان نشعر بضعف اسرائيل حتى تظل تخيفنا بها ، وكانت لا تريد ان تسلمنا الكأس دفعة واحدة ، وانما كانت تريد ان تعطيه لنـا

جرعة جرعة فكانت تسعى لوضع الحلقة فى رقبتنا حتى نطلب منهـا ان تخفف من ضغطها وكان من بين هذه التصرفات التى شجعتنا عليها (تأميم القناة) الذى جر علينا العدوان الثلاثى (اسرائيل وانجلترا وفرنسا) سنة ١٩٥٦ ورب ضارة نافعة وكان جمال وهو يخطب خطاب التأميم يشعر كل من حوله ان الدولى سخر له حرسا شديدا وشهبا تحميه من كل شئ، وان فى يده عصا موسى عندما يلقيها تلقف ما صنعوا، ولم ننتظر كثيرا حتى دخلت مصر فى اول تجربة حربية فأخلينا سيناء وتقهقرنا الى الوراء وأغارت علينا طائرات الاعداء فحطمت مدننا ومنشآتنا، ونزلت دبابات العدو وجنوده فى بورسعيد وتركتنا روسيا على هذا المنوال تسعة أيام، وبعد ان استقرت جنود العدو فى بورسعيد بدأت تستعد لاقتحام الطريق الموصل الى القاهرة عندئذ رأت روسيا انها حققت ما تريد — حققت فزع مصر اليها، وتعلقها بها، وفهمها بأنها الحامية لها، والتنازل عن كبريائها وغطرستها اذا ما دعتها الى اختصار الطريق لاعتناق مبادئها، وفى نفس الوقت خشيت أن تضيع الورقة التى تلعب بها — ماذا كان من أمرها ؟

لقد كان الانذار الروسى .

الانـــذار الروسى

لقد اختلف المعلقون السياسيون فى أمر هذا الانذار الروسى

والحقيقة أنه كان انذارا وهميا بدليل ان الاتحاد السوفييتي أعلن في غير مرة أنه على غير استعداد لخوض حرب عالمية ثالثة مع الولايات المتحدة ، ويمكن ان نحصر هذا التفسير في نقطتين فنوجه هذه الاسئلة لنجيب عليها

١) هل هذا الانذار كان وهما أم حقيقة ؟

٢) واذا كان وهما فهل كان هو من أسباب انهاء العدوان أم ان هناك سبب آخر ؟

الاجابة على السؤال الاول ،

أما ان هذا الانذار كان وهميا فالدليل على ذلك ما قاله جمال عبد الناصر في الرد على خروتشوف عندما تبادلا الشتائم في ١٩٥٩ وتبادلا خطابين وضعا حدا لهذه الشتائم واعادت العلاقات كما كانت ، والسبب في هذه الشتائم ان خروشوف وقف في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي وهاجم عبد الناصر شخصيا لان مصر كانت تقبض على الشيوعيين وتودعهم السجون فقال : " ان اولئك الذين يهاجمون الشيوعيين لا يمكن ان يكونوا وطنيين وغضب عبد الناصر وكان في دمشق وخرج في اليوم التالي الى شرفة القصر ورد على خروشوف بخطبة قاضية هلل له الالاف من أجلها ثم تناول الرئيسان في تصريحاتهما الرد وبأسلوب لاذع وفي النهاية تبادلا الخطابين اللذين نشرتهما في مستهل هذا

الحديث وأشار خروشوف الى النذار الروسي وتأثيره في ايقـــاف العدوان الثلاثي ثم ختم خطابه بأن قال مثلا لاتبصق في البئر فربما احتجت الى أن تشرب منه •

ولما رد الرئيس عبد الناصر على الخطاب تناول الرد على ماجاء بالانذار وقال : (لقد مضى علينا تسعة أيام ونحن تحت وطأة العدوان • ولم نر احدا بجوارنا • ولقد كان شكري القوتلي وقتها فـي موسكو واتصل بكم وطلب منكم مساعدتنا وقد كتب شكري القوتلي محددا واضحا قال : "ان الاتحاد السوفيتي ليس مستعدا للدخول في حرب عالمية • وانه على هذا الاساس فانه لا يسعه الا ان يتدخل عسكريـــا ولو حتى عن طريق المتطوعين — وان اقصى ما يمكن أن يفعله هــــو ارسال بعض المواد العسكرية وبعض الفنيين •

هذا هو النص الذي ذكره جمال في رده على خروشــــوف وأورد العبارات التي بعث بها الرئيس شكري القوتلي عندما تحدث الى الروس في شأن مساعدة مصر وانهى عبد الناصر خطابه بمثل كما انهـــاه خروشوف فقال "ان يدا واحدة لا تصفق — واننا نريد ان نشعـــران اليد التي نمدها نحوكم بالصداقة لن تبقى معلقة في الهواء •

الحقيقة الثانية هي ما ذكره الصحفي حسنين هيكل وما دونته هنا في اول هذا الكتاب • عندما قامت ثورة العراق وخشي عبد الناصـــر

ان تجهضها امريكا وانجلترا ثم ذهب الى خروشوف وسأله عن موقف روسيا اذا ما حصل ذلك فاجابه خروشوف بانه لا يمكن لروسيا ان تلحم فى حرب مع الولايات المتحدة ثم طلب عبد الناصر انذارا ولو كانذار بورسعيد فقيل له ولا هذا فقال عبد الناصر اذن ماذا انتم فاعلون؟ فقال خروشوف كل ما نستطيع ان نعمله لكم هو اننا سنعمل مناورات على حدود تركيا فان جاءت بنتيجة كان بها والا فعليكم ان تقدروا مسئوليتكم .

وأنا لا اريد ان اغمط حق روسيا فى هذا المجال فأقول، ان الانذار لم يكن هو السبب المباشر لانهاء العدوان ولكنه كان ضمن الاسباب وان كنت قد اثبت فى الحديث السابق بانه كان انذارا وهميا . ولكن الغرب ربما كان يعتبره انذارا حقيقيا ولذلك أخذ مفعوله طريقه . اما ان الغرب كان يخشى ان يكون انذارا حقيقيا فالاسباب هى اعتراف ماكميلان فى مذكراته التى نشرتها الاخبار فى ١٩٧٠/١١/٩ بانه يتحمل المسئولية مع انتونى ايدن فى العدوان على مصر وان امريكا كانت تعلم بان انجلترا ستلجأ الى القوة العسكرية ، وان ايزنهاور ودالاس كانا متفقين مع ايدن على انه لابد من اسقاط ناصر لان القومية العربية خطر على المصالح الامريكية ـ ثم قال ماكميلان ايضا :" ان اكبر زعماء الرأى فى امريكا وجهوا اللوم لاننا لم نمض فى عملية السويس حتى النهاية وكان من بين هؤلاء دالاس وزير خارجية امريكا والمحرك الأول

لسياستها في ذلك الوقت ، ولقد علل ماكملان عدم مواصلة امريكا تأييد العدوان بقوله " يظهر انهم كانوا يخشون الحرب النوويـــــــة ".

وهنا يعترض سؤال آخر فيقول " ولماذا هم يقفون الآن وراء اسرائيل ويؤيدونها هذا التأييد المطلق برغم قرار مجلس الامن الصريـــح ، ولماذا احنت روسيا رأسها للعاصفة عندما وقفت منها الولايات المتحدة في كوبا موقفا معاديا وفتشت سفنها في البحر وأرغمتها على سحـــب صواريخها من كوبا ؟

فأقول : " ان امريكا وقت العدوان الثلاثي بالذات لابد انها كانـــت متخلفة عن روسيا في الصواريخ العابرة للقارات ، ولذلك فاني انتقـــل من مذكرات ماكملان الى اقوال وزير الدفاع الفرنسي نفسه قال " لقد رأيت نفسي مضطرا للتشاور مع الامريكان للحصول على ما نفتقد اليه من قطع الغيار ومن المعدات الاخرى ، وكان الامريكيون يعلمون كل شيء عما هـــو حادث في باريس ، وكنت استقبل السفير الامريكي د يلون مرة كل اسبوعين على الاقل لاطلب منه المزيد من المعدات من الولايات المتحـــــدة ، ولا ريب انه كان يعرف ان هذه المعدات ترسل الى قبرص حيث تشحـــن نسبة كبيرة منها الى اسرائيل ، وابلغني السفير د يلون ان البريطانيـــين كانوا يطلبون ايضا من السفير في لندن المعدات والتجهيزات من امريكـــا وتلقينا منها ما لا يربو على مجموعة اكثر من تسعين مادة مختلفة من معدات

الاسلحة كما تسلم البريطانيون منهم نحوا من ١٦٧ مادة حربية منها المدافع المضادة للطائرات وأجهزة الاكسوجين السائل للنفاثات الذى بدونه لا تطير الطائرات • وأرى من غير المنطق ان يواصل الامريكان القول بانهم كانوا يجهلون كل شيء عن مخططنا واستطرد وزير الدفاع الفرنسى يقول وكانت السلطات العسكرية الامريكية ايضا مطلعة على كل شيء عن طريق رياسة اركان الحرب فى واشنطن التى كنت دائم الاتصال بها للاسراع فى تنفيذ برنامج ارسال الاسلحة عن طريق جهاز المخابرات الامريكية • وكان المألوف فى مثل هذه الظروف ان يسمح بمرور المعلومات عن طريق الرسائل المصرية لا عن طريق الدبلوماسية العادية • فهل بعد ما ذكره الوزير الانجليزى ووزير الدفاع الفرنسى من ان امريكا كانت ضالعة فى تزويد دول العدوان بالاسلحة والمعدات الحربية • هل بعد هذا القول نستطيع ان نقول ان امريكا هى وحدها التى اوقفت هذا العدوان بتخليها عن دول العدوان • ولكن بعد صدور الانذار كما جاء فى مكالمة ايدن للرئيس ايزنهاور عندما سأله عما اذا كانت امريكا ستواصل معهم لو انهم لم يستمعوا الى الانذار فكانت اجابة ايزنهاور بالسلب ولذا بكى ايدن ومن هذا يثبت قول ماكملان من ان امريكا ربما خدعت الحرب النووية •

لقد اطلت فى تفسير هذا الانذار وذلك بالنسبة لان الغالبية

من الكتاب والصحفيين قد فهموا هذا الانذار على غير وضعه الصحيح قلت : "ان الروس لم يريدوا ان يفاجئون بأفكارهم ويرضعونا لبانهم من اول وهلة ولذلك بدءوا بالمعونة التى تلزمنا منهم ، ثم صحبوا ذلك بزجنا فى المغامرات الحربية التى تجعلنا نتعلق بهم ويحشونا تحت اقدامهم ، ولما تركونا نفهم ما يريدون من انفسنا ، وتعامينا عما يريدون اظهروا مافى جعبتهم وكان الهجوم الذى نوهت عنه على جمال عبد الناصر ١٩٥٩ ولما خرجنا من هذه الازمة عادت لتكررها روسيا عندما زارها السادات ١٩٦١ اذ قال خروشوف فى خطبته بحضور الرئيس انور السادات "ان الزعماء المصريين لا يدركون جيدا معنى الاشتراكية وان الطريق الوحيد الذى سوف تنتهى اليه الامور فى مصر هو الشيوعية لان الحياة تفرض الشيوعية على الانسان" وبدأ كان عاصفة قوية ستهب ، ولكن امكن تسوية الصدام بسرعة .

خرجنا من الازمة الاولى سنة ١٩٥٩ والازمة الثانية ١٩٦١ وجاءت سنة ١٩٦٤ وحضر خروشوف عملية تحويل مجرى النهر بأسوان وقد كان من خطباء الحفل عارف رئيس وزراء العراق وكان منذ اسبوعين قبل لقائه بخروشوف حوكم اثنان من الشيوعيين بالعراق ، وتم اعدامهما شنقا وعندما تكلم عبد الرحمن عارف استشهد بآيات قرآنية فى خطبته قوبل بالتصفيق الحاد وفى اليوم التالى كان الضيوف قد خرجوا فى رحلة للصيد فى البحر الاحمر وبدأ عارف بالحديث موجها كلامه الى خروشوف قائلا (انه شديد الاعجاب بالاتحاد السوفيتى " فالتفت اليه خروشوف قائلا

أ زمة بين خروشوف رئيس العراق يخفف من وقعها بن بلا

"اننا لا يمكن ان نصادق الذين يشنقون الشيوعيين وبهت عارف ، وشعر عبد الناصر بالحرج وسكت الاثنان ولكن بن بيلا الذى كان يتمتع بثقة بر الروس انبرى للدفاع عن عارف ، وتدخل جمال ايضا حتى سكتت الزوبعة للهلا .

كانت مصر بعد ذلك وفى هذه الآونة قد استردت انفاسها ونفضت الغبار الذى علاها من العدوان الثلاثى ، وطبيعى انها كانت لا تستجيب الى تلميحات او تصريحات روسيا من اجل الانغماس فى مبادئها وتذويب اشتراكيتنا فى اشتراكيتهم ، وكانت روسيا كما ثبت لنا اخيرا تتخذ عملاء لها كجواسيس ممن يشغلون مراكز هامة فى الدولة ، وقد اشارت بعض المجلات الى هذا ولذلك روسيا عملت جاهدة ان تزجنا فى حرب نخرج منها ساجدين لها فكانت حرب ١٩٦٧ مما فصلناه فى بابه — والحقيقة ان هذه الحرب كانت هزيمتنا فيها ساحقة ماحقة ، بل كانت فضيحة لمصر أمام العالم كله ، وعار لم يغسله الا حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقد وصلت روسيا بهذا الى اهدافها فقد فقدت مصر اكثر من خمسة وثلاثين فى المائة من عتادها ، ووعدت روسيا بتعويضنا خيرا منه ، وزاد تعلقنا بروسيا وزادت الديون العسكرية زيادة فاحشة — ولقد نجحت روسيا فى زجنا الى حرب ١٩٥٦ ونظرتنا اليها بانها المنقذ الوحيد وانها الملاذ والملجأ — وتركنا تسعة ايام وحدنا امام العدوان الثلاثى الذى كان

يستعد لاخذ طريقه الى القاهرة لولا ان روسيا تداركت الامر ورأت بانها ستفقد الورقة التى تلعب بها مع امريكا فارسلت انذارهـــا المزيف الذى تبين زيفه من الادلة التى اوردتها فى هذا البـــاب ولما رأت روسيا ان جمال مازال مصرا على فصل اشتراكيته عـــن الاشتراكية الروسية ادخلته فى مطب آخر هو حرب ١٩٦٧ الـذى غرق فيه الى اذ ناته وكان الموت الاول لجمال بل ان جمال سلـــم للروس بكل شيء سلم لوزير الدفاع الروسى بان يدافع هو عن مصـــر ولكن الروس رأوا ان هذا الموضوع سيكون مكشوفا وربما ادى الـــى المواجهة بينهم وبين امريكا فلم يقبلوا وقالوا لجمال سنرسل لـــك السلاح والخبراء ولم يتعد السلاح الذى ارسلوه سوى سلاح دفاعى فقط واما الخبراء فكانوا من اليهود الذين يقيمون بمصر ليعرفـــوا مداخلها ومخارجها ثم يعودون الى روسيا ليهاجروا الى اسرائيـل وينضموا الى الجيش الاسرائيلى ـ ولقد كانت هذه الحرب سببا فـى فصل الخطاب بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عامر قائد القوات المسلحة حتى انتهى الامر بينهما بموت المشير عامر وهو الذى كانـت تربطه بجمال رابطة لا تنفصم عراها ابدا ولكن المشير اراد ان يخـرج من هزيمته هذه بان يتخذ مبدأ يخالف المبدأ الذى كان يسير عليـــه مع جمال وهو ان يعلن الى الشعب ان يترك روسيا لانها غررت بالشعب ويضع يده فى يد امريكا وكان جمال بالعكس بعد هذه الهزيمة مباشرة

هزيمة ١٩٦٧ انتهت بصراع بين صديقي العمر
جمال والمشير عامر .

يطلب الى الروس ان يتبرأ من مبدأ عدم الانحياز ويعلن انحيازه حليفة الى روسيا ولكن روسيا رفضت منه مبدأ هذا الاعلان وقالت له ان وجودك فى دول عدم الانحياز يعطيك ثقلا ينفعنا اما كونك تعلن انحيازك بهذه الصورة فهذا سيفقدك هذا الثقل . وانتهى جمال بمؤامرة من مؤامراته الى التغلب على صديق العمر والامساك به فى منزله للتحقيق معه وانتهى الامر بما انتهى اليه وان لم يعلن التاريخ الحقيقة فان هذه الحقيقة ستعلنها الايام .

ولقد وعدت روسيا بتعويضنا عن الاسلحة التى فقدناها وطبعا بالثمن الذى اصرت روسيا على ان تأخذ فوائده مع ان الديون العسكرية لا تؤخذ عليها فوائد .

بعد هذه الهزيمة كانت اسرائيل ترسل طائراتها فى الصباح وفى الظهيرة ونرى هذه الطائرات بالعين المجردة وكانت اسلحتنا الدفاعية والهجومية فى عجز تام عن اللحاق بهذه الطائرات او التعرض لها بأى اذى . وما تفعله روسيا انها كانت تشاركنا فى صيحات الاحتجاج فى صحفها او على لسان سفيرها فى الامم المتحدة واسرائيل توالى هجماتها وتغلغلها فى العمق الى ان ذهب الرئيس جمال وصارحها بهذا الواقع وكما قلت انه اراد ان يسلم الدفاع عن مصر الى روسيا وسلم لها ايضا امر المفاوضات مع امريكا باسمنا واتخذ الخبراء الروسيون لهم قواعد بمصر

لا يدخلها المصريون فأصبحت بذلك دولة داخل الدولة وزاد عدد الخبراء الروس الى ان وصلوا حوالي عشرين ألفا ومما زاد الطين بله ان روسيا سمحت لليهود الذين عندها بالهجرة الى اسرائيل وكان من بين من هاجروا كثيرا من هؤلاء الخبراء الذين حضروا الى مصر فكانوا كجواسيس عليها ، وكان توفيقا من الله أن طردهم السادات من مصر قبل حرب اكتوبر لانهم لو ظلوا بها لكانوا معاول هدم وتخريب ولوقعت مصر بين شقى الرحى لان اغلب هؤلاء الروس كانوا من اليهود .

(سياسة روسيا مع السادات)

ولما توفى عبد الناصر ساير السادات الروس واعتقدت روسيا ان السادات لقمة سائغة ، وان عملاءها سيظفرون به فى اية لحظة ، ولذلك كلما طلب السادات منهم سلاحا راوغوه ، ولقد تحدثت عن ذلك باسهاب عندما تآمرت مراكز القوى عليه وكانت روسيا من ورائهم وعندما اعلن السادات الى الروس عام الحسم خذلوه وكان قصدهم أن يأتوا بعميل من عملائهم لتكون البلد كالافغان او اليمن الجنوبى الرئيس اسما من البلد ولكن الواقع روسيا هى كل شىء .

(اخـــراج الخبراء الروس)

الا أن الرئيس السادات سار معهم الى نهاية الطـــريق حتى كشفوا القناع تماما وبعد ان انتهى من مراكز القوى ولم يبق سوى ذلك المركز المنفرد محمد حسنين هيكل الذى كان فى النهاية كالاخطبوط ضرب ضربته الاولى فأخرج الخبراء الروس واعتقدوا أن هذا عمل اليائس الذى لا حيلة له ، وقالوا ان السادات قد ازاح الجـدار الذى كان يستند اليه فلابد انه يريد ان يستبدل به جدار آخـــــر واعتقدت امريكا ايضا ما اعتقدته روسيا وانتظرت امريكا من الســادات ان يبلغها بان تكون جدارا له يساندها بدل الجدار الذى أزاحـــه ولكن السادات لم يبلغ امريكا بشئ فاعتقدت روسيا انه سيرجع اليهـــم صاغرا ولكنه سار فى طريقه يخطط لحرب اكتوبر ١٩٧٣ وبعد ما عرفت روسيا انه لم يلتجئ لهذا او لذاك ذهلت فقال لهم السادات أنـــا ليس من شيمى ان اطعن صديقى فى ظهره وأكدت امريكا انه هــــذه الصفة وقالت له لو انك قبل ان تفعل هذا صارحتنا لكنا ضغطنا علـــى اسرائيل لتتنازل عن غلوائها بعض الشئ .

كيف علمت اسرائيل بحرب اكتوبر

قبل ان السفير الروسى بباريس ابلغ السفير الاسرائيلى بقيام الحرب قريبا لان روسيا كانت على اتصال بسوريا وسوريا اتفقت مع مصر على

قيام الحرب الا ان اسرائيل كانت تعتمد على مخابرات امريكا وربما اعتقدت ان روسيا فى جانبنا وانها تضللهم — ثانيا ان اسرائيل كانت تعتقد ان عبور مصر القناة وتخطيها خط بارليف من رابع المستحيل لذلك فانها لم تأبه لما سمعته من هنا او هناك وكانت النتيجة ذلك النصر الذى لم يرق روسيا وارادت ان تسحبه منا بعد ست ساعات من قيام الحرب فجاء سفيرها وابلغ السادات بان يوقف القتال فى الثامنة مساء ٦ أكتوبر لان سوريا اوقفته وتكرر هذا الطلب ثلاث مرات والرئيس السادات يرفض • واضطرت سوريا ان تواصل مسيرتها مع مصر الا ان روسيا تبطأت فى امداد سوريا صديقتها بالسلاح الذى يمكنها من الثبات فى موقفها كما تخلت عنها العراق • وبذلك كادت اسرائيل ان تحتل دمشق وعليه هبت مصر لنجدتها فارسلت القوة التى كانت تحرس الثغرة التى دلت عليها الاقمار الصناعية الامريكية فدخلت اسرائيل هذه الثغرة وهى آمنة • واستطاعت ان تحدث قلقلة كبيرة عانى منها الجيش المصرى كثيرا ولولا ان الرئيس السادات عمل كل الاحتياطات للقضاء عليها لكان الجيش المصرى ذهب من حيث اتى وكانه لم يتحرك ولم يعمل شيئا ولضاعت عليه كل انتصاراته وذلك بفضل تآمر روسيا •

والغريب ان كسنجر عندما جاء لفض الاشتباك الاول طلب مقابلة هيكل اولا وفيما يظهر انه كان يعتقد ان هيكل مازال كما كان فى عهد

وهنا رواية من روايات هيكل تؤكد خيانته .

عبد الناصر هو المستشار وصاحب القرار وقد طلع هيكل فى جريدة الاهرام التى مازال هو رئيس تحريرها طلع على الناس بصراحته المعهودة قائلا الواقع انا لا استطيع ان اقول ان هناك نصرا أوهزيمة بمعنى انه يقول لكسنجر اذا كنت قد جئت لتحكم بين مصر واسرائيل فانه لا نصر ولا هزيمة ومن كان فى الشرق يذهب الى الشرق ومن كان فى الغرب يذهب الى الغرب وكانك يا أبو زيد ما غازيت ارأيتم ايها الناس وطنية مثل هذه الوطنية ارجو من رآها ان يدلنى عليها .

وهكذا كان الرئيس السادات يحارب اسرائيل ويحارب المتآمرين عليه فى الداخل من ابناء وطنه والمتآمرين عليه من الخارج كروسيا ومن وضعتهم فى حوزتها من العرب مثل سوريا التى رفضت فض الاشتباك الاول ، ولم يكفها فكانت السبب فى افراقنا والقذافى الذى اعاد سفننا خالية من البترول الذى طلبناه منه فى بداية الحرب وحضر بعد فض الاشتباك ولم يخجل من نفسه عندما قال (انا عندما سمعت بفتح الثغرة وان اسرائيل اصبحت تهدد مصر اعددت طائرة ولبست البر الشوت وكنت على استعداد للحضور اليكم اى انه عندما يلبس البراشوت ويحضر الينا يكون قد انتهى كل شئ وهذا هو الذى قال عنه هيكل (انه ظاهرة صحية) لانه فتح له خزائنه على مصاريعها .

لم يكف روسيا ان عارضت سوريا فض الاشتباك الاول ولكن مصر

استمرت فى مسيرتها حتى انتهى فك الاشتباك الثانى ، وكل مافعلته سوريا بتحريض من روسيا ان انتحت ناحية لتفتيت الامة العربيـــة ، واضاعة جهود ها فجمعت روسيا بينها وبين ليبيا والاردن والعـــراق والمقاومة ــ وقد وقفوا بادىء الامر معارضين فض الاشتباك الثانـــى ، ولما لم تستجب مصر الى دعاويهم واستفزازاتهم الزائفة خططوا للفتنـــة التى قامت بلبنان ، وكان الممول الاول بالمال والسلاح هو القذافـى (ليبيا) وانتهت المسألة بتلك الحرب الدامية بين المقاومة وسوريـــا ، واصبحت لبنان خرابا فى مدنها اهلها وسكانها ولازالت الحرب الداميـــة بين الطوائف اللبنانية وبين سوريا والمقاومة ، وقد غدت سوريا طرفا فعالا فى هذه الحرب ضد المقاومة التى تحاربها سوريا ــ واذا كانت روسيـــا تحتضن المنظمة فهل ترى الاولى ان هذا المخطط يضعفها أو يقويها؟

ثانيا ــ اذا كانت روسيا تظهر للعرب انها الصديقة التى تعينهم على النوائب فهل ترى ان هذه النار مازال مشتعلة ثم تخطـــط مع القذافى لغزو السودان بطريقة بربرية لا يقرها منطق ولا عقل ولا دين؟ ليظهر للعالم كله ان العرب قاموا بحرق ديارهم دون اى تدخل من هنا او هناك ــ يأبى ان روسيا أعجز من ان يسعفها المنطق او البيان .

مما يدل دلالة واضحة ان الحريق الذى اشتعل فى لبنـــان بتخطيط من روسيا وان الجبهة التى تكونت من السعودية والكويت لمصالحة سوريا مع مصر وظهرت استجابة سوريا ارسل القذافى ثانى يوم رئيس وزرائـــه

بلبنان
هل الحرب التي اشعلتها سوريا والقذافي بتخطيط من روسيا يدل على انهم يعملون لصالح العرب؟

الى سوريا وكأن لكل شيء ثمنه ورفضت سوريا المصالحه ، وذلك لتظل الحرائق مشتعلة ، وان كل مطلع على بواطن الامور يعرف ان القذافي لا يسير او يشير ابة اشارة الا بأمر حاميه وحارسه ومستشاره فليس لـه الان غير روسيا هي التي تعينه على الشر ويستشيرها في تخريـب ما بنته الامة العربية وتفتيتها وتمزيق كيانها ، وان الخطة المعاديـة التي سلكتها سوريا في لبنان نجحت في هدم كل الجهود المبذولـة لوقف هذه الحرب الدائرة فيها ، ونجحت في ان يكون التمزق والتشتت والضياع هو عنوان لهذا البلد ، وان غزو السودان الفاشل كان المقصود به تطويق مصر وانفصال جنوبه عن شماله ، وان تقام في السودان حمامات دم مثل الحمامات الموجودة في لبنان .

هذا التفتت والتمزق اضعف حقنا في المطالبة بقضيتنا وجعل العدو يستعيد احلامه من جديد ، وليست ببعيدة تلك العملية العسكرية التي شنتها اسرائيل على مطار عنتيبي وهذا المطار ابعد كثيرا من منابع البترول في كثير من البلاد العربية ، وهذا الموضوع له ابعاد لا يصـح ان نقابلها بهز الاكتاف لان اسرائيل تريد ان ترينا بان ذراعها الطويلة قد عادت اليها ، وان الذي جعلها تستطيع ان تقوم بهذه العمليـة لا يمنعها من ان تعمل مثيلتها بهذه الطريقة او بطريقة أخرى في اي منبع من منابع البترول ، وانتهاز هذا الوقت الذي اصاب العرب بالتفكـك والتمزق .

وهذا طبعا ما تريده روسيا لنا مادمنا لم نسلمها زمامنا فروسيا هى التى انسحبت من المباحثات الرباعية التى كانت تبحث قضية الشرق الاوسط لتشعرنا بانها يئست من الغرب الذى يقف ضدنا . ولو ان الامر كان كذلك لما استعادت سياسة الوفاق مع امريكا ثم اتبعتها باتفاق سياسة (الاسترخاء العسكرى) من المنطقة أى تجميد الموقف حتى تظل باقية معنا والمحرك لنا ونظل الورقة التى تلعب بها .

آراء ومواقف حول امريكا

لقد تحدثنا كثيرا عن روسيا ولذلك فانه يحق لنا ان نتحدث عن امريكا لانها الند الوحيد لروسيا . والمصارع الذى تعمل له روسيا الف حساب وحساب وقبل ان نتكلم عنها لابد ان نقدم بنبذة موجزة .

نبذة موجزة عن أمريكا

لم تظهر امريكا على المسرح العالمى كدولة مستقلة الا منذ ما يزيد على قرن ونصف ومن ذلك نجد ان روسيا اكثر منها أقدمية ذلك ان منطقة موسكو او بلدية موسكو بدأت تظهر كدولة قوية منذ

خمسة قرون على الاقل ومع ذلك فقد استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان تتفوق على الاتحاد السوفييتي زراعيا وصناعيا منذ عام ١٧٨٣ وقارب سكانها سكان روسيا ٠

ولقد ظلت الولايات المتحدة الامريكية لمدة قرن وربع بعد ظهورها كأمة على هامش المسرح السياسي العالمي ، وكانت دولة سعيدة بما حبتها الطبيعة من موقع جغرافي بين محيطين عالميين كانا بمثابة درع الامان ، وحماية الدولة الناشئة من اضطرابات العالم القديم ٠

وكانت سياسة الولايات المتحدة الامريكية تنحصر في نصف الكرة الارضي تاركة العالم يغلي في مشكلاته كما يقولون فليس من شأن الولايات المتحدة ان تزج بنفسها وسط هذه المشكلات بل لقد عارض كثير من الامريكيين سياسة ضم جزر هاواي وشراء الاسكا وظل الامريكيون يعتبرون ان السياسة الخارجية ليست من شئونهم لمدة طويلة بعد حرب الاستقلال، ويؤيد الشعب الامريكي في هذا رجال السياسة أنفسهم ، والسياسة التي اتبعها البارزون من قادتهم ،(فجورج واشنطن) أعلن سياستها لحياده ، (وجيفرسون) كان يشكر الطبيعة التي ادت الى عزلة البلاد والرئيس (مونرو) كان صاحب فكرة العالم الغربي للامريكيين ، وعدم تدخل العالم القديم في شئون العالم الجديد ، وهكذا تتابع الرؤساء على البلاد مجندين استراتيجية البعد عن العالم

القديم . وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى اعلن الرئيس (ولسن) حياد الولايات المتحدة الامريكية فى اغسطس عام ١٩١٤ أى بعد قيام الحرب العالمية الاولى بشهر ، وان يكون الامريكيون على الحياد دائما فى اعمالهم وتفكيرهم حتى لا يقذف بامريكا فى حرب لا تمسها . ومع ذلك فقد كانت عواطف معظم السكان مع الحلفاء وخاصة انجلترا وفرنسا ، بل لقد شعر كثير من السكان ان هناك دين على الولايات المتحدة الامريكية لفرنسا لانها ساعدت فى حرب الاستقلال ولكن امريكا لم تستطع ان تخرج على خط السياسة الذى رسمه لها رؤساؤها لكن المانيا اجبرت الولايات المتحدة على دخول الحرب بسبب اغراقها للسفن الحاملة للامريكيين لان المانيا قررت فى ١٩١٧ تشديد الحصار على بريطانيا لمنع اى مؤن تصل اليها فاعلنت الولايات المتحدة الحرب ضد المانيا وارسلت قوات امريكية الى فرنسا بلغت المليونان . ولكن بعد انتصارات الحلفاء واعادة توازن القوى عادت الولايات المتحدة الى سياسة العزلة . مرة اخرى . وظلت كذلك طيلة فترة ما بين الحربين (١٩٢٢ ــ ١٩٣٨) ادى تهديد المانيا لميزان القوى مرة اخرى الى تعديل السياسة الامريكية فلقد حصل ان غزت المانيا ١٩٤٠ الدانمرك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا ، وكان الدور بعد ذلك على بريطانيا لولا ان هتلر ارتكب خطأه فى محاولة تحطيم روسيا قبل بريطانيا فأصبح واضحا ان المانيا لو استطاعت غزو بريطانيا واستولت على اسطولها لكان

من الجائز والممكن ان توجه ضربة للولايات المتحدة من المحيط الاطلنطى .

كذلك بدأت الخطوه فى ميدان المحيط الهادى ذلك ان اليابان خالفت معاهدات واشنطن (عقب الحرب العالمية الاولى) فغزت منشوريا وانسحبت من معاهدة تجديد السلاح البحرى عام ١٩٣٤ ثم غزت الصين عام ١٩٣٧ ولذلك بدأت الولايات المتحدة حربا غير رسمية منذ سنة ١٩٤١ عن طريق مد الصين بالمساعدات لتقف فى وجه اليابان وذلك خوفا على الفلبين من ناحية ولمساندة فرنسا فى الهند الصينية وبريطانيا فى الملايو ، وهولندا فى جزر الهند الشرقية ، ثم دخلت الحرب رسميا بعد ضرب اليابان لميناء (بيرل) فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ .

فالسياسة الراجحة عند الامريكيين انهم كلما ابتعدوا عن السياسة الدولية كان ذلك أفضل ، ولكنها فى الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية اضطرت اضطرارا ان تحدد سياستها الخارجية وسياستها الداخلية ، وبذلك خرجت امريكا الى نطاق السياسة العالمية تشارك فيها بسهم وافر ، وبعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية اصبحت مرتبطة بمعاهدات دفاعية لا مع دول امريكا اللاتينية فحسب بل

بكثير من دول القارة الاوربية والا سيوية .

والمعروف ان امريكا تعتبر اولى دول العالم تصديرا للقمح فلها وحدها اكثر من تلك الصادرات العالمية وبذلك تفوقت على كندا والاتحاد السوفييتي والارجنتين واستراليا — كما تحتل مركز الصدارة في انتاج الذره ، ويأتي القطن على رأس الغلات الزراعية الصناعية فلقد ظلت الولايات المتحدة اولى دول العالم انتاجا له ويمكن القول بان الولايات المتحدة تكفي حاجتها من الحبوب الغذائية — اما من ناحية المعادن فهي من الدول الفريدة في غناها المعدني نظرا لكبر مساحتها وتنوع تكوينا تها الجيولوجية — كما استمرت محافظة على نصيب الاسد من زيت البترول .

وتتفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفييتي في انتاج كل من الكهرباء الحرارية ، والكهرباء المائية ، وفي نفس الوقت تتصدر دول العالم جميعها فلها نحو ٤٥٪ من القوة الحرارية ونحو ٢٥٪ من القوة المائية المستغلة في العالم .

هذا وقد تقدمت الولايات المتحدة تقدما كبيرا في استغلال الطاقة الذرية وان كانت بدأت تحيط ارقام اليورانيوم والثوريوم بالسرية التامة الا انه من المعروف ان رؤوس الاموال الامريكية تستغل يورانيوم الكنغو وجنوب الريديسيه .

واما من ناحية الانتاج الصناعي فهي تعتبر رائدة لجميع دول العالم في معظم فروع الصناعة وعدد سكانها يبلغ حوالى ١٩٥ مليون نسمه ومعظم السكان كان من اولئك المغامرين الذين هاجروا من بلادهم في اوربا وغيرها ليبحثوا عن حياة افضل غير مبالين بما لاقوه من شدة ومصاعب لبعد المسافة التي كانت تربط العالم القديم بالعالم الجديد .

موقف امريكا في مصر والشرق الاوسط

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ مباشرة انعقدت صداقة بين الثورة وبين المستر كافرى السفير الامريكي وكان الرجل مخلصا حقيقة واظهر للثوريين عطفا جعلهم يطمئنون اليه ولقد دعاهم السفير الى العشاء فذهبوا جميعا الى منزله قبل ان يعلم الناس في مصر والعالم من هم رجال الثورة وفي هذا الوقت قاطع رجال الثورة السفارة البريطانية حتى ان المستشار الشرقي بالسفارة البريطانية كان يحاول ان يعرف اشخاص الثوريين .

ولما رأى رجال الثورة ان المستر كافرى في جانبهم طالبوه بأن يتصل بامريكا لتبيعهم اسلحة ، ولكن الحكومة الامريكية بعثت الى مصر بوثيقة يوقع عليها رجال الثورة وبهذا التوقيع وحده يضمنون ان تأتيهم

الاسلحة التي يريدونها — وكانت هذه الوثيقة هي وثيقة (الامن المتبادل) وكان مما تضمنته هذه الوثيقة ان الجيش المصري سيكون خاضعا لاشراف بعثة عسكرية امريكية تتولى التنسيق وبذل التضحية والمساعدة في وضع الخطط . فرفض رجال الثورة هذا العرض لانهم عرفوا ان هذه البعثة لا فرق بينها وبين البعثة العسكرية البريطانية واوضحوا الاسباب للمستر (كافري) — ومما يتبين ان المستر كافري كان رجلا مخلصا انه سعى بعد هذا الخلاف لتعيد امريكا موقفها معنا . ولا تتشدد في مطالبها لوافقت امريكا على ارسال صفقة الاسلحة التي كان ثمنها مدفوعا قبل الثورة بوساطة حكومات ما بعد ٢٦ يناير ١٩٥٢ — ليستعملها البوليس المصري — وارادت امريكا ان تكون هذه الصفقة كعربون لحسن نواياها وكان في اعتقاد امريكا في ذلك الوقت ان الحكم في يد الثوريين سيكون في يد قوية — وشعرت ان مصر بعد حرائق يناير اصبحت في حالة من الفوضى تهدد المنطقة كلها بالخطر او تصورت ان هذه الثورة لم تقم لحل المشاكل . وانما قام بها احد الضباط ليرضي طموحه وفي الامكان مسايرته وضمه الى حلف بغداد . ولكن هؤلاء الرجال الذين بدأوا من اول يوم تسلموا فيه زمام الامور ان يفاوضوا انجلترا للرحيل من بلادهم ما كان لهم ان يضيفوا محتلا والا لاثبتوا فشل خطتهم وكذب هدايتهم . انتهت المفاوضات التي كانت بين رجال الثورة والمستر

كافرى بان المستر كافرى كان رجلا مخلصا ، ولكنه كان فى ناحيـــة والدولة فى ناحية اخرى لم يستطع ان يلبس دولته لباس الاخـــلاص الذى يلبسه بل تبين ان سياسة امريكا لا تختلف عن سياسة انجلترا اما تعاونها معنا ابان قيام الثورة فلقد كان لعامل الغموض الـــذى اكتنف الثوريين اثر كبير فيه .

دارت الايام دورتها ، واعتدت اسرائيل علينا واضطـــرت مصر ان تطلب سلاحا من الغرب فلم يلب الغرب طلبها ، وتسابق الشرق الى ان يكون بديلا لها من الغرب وكانت صفقة الاسلحة التشيكية التى انتهت بحرب ١٩٥٦ وربما اكون قد وفقت فى تحليل الموقف الامريكـــى عندما تعرضت لتوضيح الانذار الروسى فى موقف روسيا وخرجنا من هـــذا التحليل الى انه انذار وهمى ولكن امريكا وانجلترا ربما كان عندها شك فى وهميته .

واننا عندما ندقق فى الموقف الامريكى بعد اطلاعنا علــــى المذكرات السرية التى كتبها الضابط علوى حافظ فاننا نجد ان امريكـــا كانت اقرب ميلا الى الحل السلمى مع مصر لكى لا ترتمى فى احضـــــان الشيوعية ، وان جونسون ذلك الرجل الذى تصور الشعب المصرى انـــه يسبق اسرائيل فى الاعتداء علينا لم يكن الا من خلفه الذين مدوا اليهـــا ايديهم لانه كلف رسولا من جهته للتباحث بصفة سرية مع الرئيس جمـــال

عبد الناصر قبل حرب ١٩٦٧ — ولكن عبد الناصر لم يكن موفقا فى اختيار ذلك الحارس الذى يقف على طريق هذا الجسر السرى فلقد امر الضابط علوى بالا يطلع احد على هذا السر الا سامى شرف وسامى شرف ثبت انه كان ضالعا مع على صبرى العميل الروسى المعروف وان لم يكن يعمل لحساب على صبرى فانه يعمل لحسابه شخصيا لانه فى احدى زياراته لروسيا ثبت انه قال للرئيس الروسى ان عبد الناصر قبل وفاته اشار الى بانى الذى اكون بعده .

ولذا وجدنا ان الرسول الامريكى اتفق مع عبد الناصر على ان يبدأ بتخفيف هجومه الدعائى على امريكا ، وان طلباتنا ستتحقق عندما يأتى رسوله اى واحد يختاره عدا على صبرى فان امريكا يهمها مصر والشرق الاوسط قبل ان تهمها اسرائيل ، وفى نفس اليوم الذى حضر فيه الرسول الامريكى بعد الاتفاق على المبادىء وجدوا ان عبد الناصر قد نقض يده من هذا الاتفاق وطالب فورا بانسحاب قوات الطوارىء الدولية وغلق خليج العقبة — اعتقد بان المسألة مكشوفة وان الحارس الواقف على رأس الجسر ابلغ روسيا فورا وروسيا خشيت ان يحصل اتفاق سرى بين عبد الناصر وامريكا وروسيا ايضا تريد من عبد الناصر ان يدخل الحرب ويغرق الى اذانه .

انتهت المسألة بتصعيد الحرب وهزيمة مصر هزيمة ساحقة فى ٥ يونيه ١٩٦٧ وايضا بعد الهزيمة لم يترك جونسون عبد الناصر وهو

ملقى على الارض يتمرغ فى الوحل والطين دون ان يمد اليه يـــده مرة اخرى وكان فى استطاعته ان يضغط على اسرائيل لتنسحب كمـــا انسحبت فى اعقاب حرب ١٩٥٦ ولا نكلف الدستا ما تكلفناه من ضياع اموالنا وابنائنا وسار الرسول فى الطريق حتى كاد ان يصل الـــــى النهاية ولكن الشاعر يقول (وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر) ٠ امريكا قبيل وصول رسولها فوجئت بعبد الناصر يعين على صبرى رئيسا للوزارة وهو الرجل الذى طلبت امريكا سرا ان يكون هو الوحيد الـذى يبعده عن طريق السرية بينها وبينه لان على صبرى معلوم للجميع بانه شيوعى لحما ودما لما الذى دفع عبد الناصر الى ان يأتى على الجسر بعد ان بنى ونسفه بصاروخ واحد — لابد وان حارس الجسر الـذى توقعت منه هو الذى كان ينقل الادوار اولا باول — وتوضع اقتراحات من المخططين الكبار لتنسف كل شىء فى الوقت الذى يزينون فيه لعبد الناصر فكرتهم وآراءهم ٠

ومن هنا بدأ التأييد الامريكى المطلق لاسرائيل بالمال والسلاح وكان خداع روسيا وتضليلها لنا اسوأ الاثر فى هزيمتنا — طلبت امريكا نفسه اسرائيل بكل ما تريد حتى انتفخت اوداجها ولا أبالغ اذا قلت انهـــا خرجت عن طاعتها ٠ والدليل على ذلك هى مبادرة روجرز وزير خارجية امريكا التى جاءت بعد ان بلغ اليأس مبلغه من عدم امكانية الوصول الداى نوع من

انواع الاتصال بين مصر وامريكا الى حد ان عبد الناصر فوض قادة موسكو فى ان يتولوا الاتصال بواشنطن نيابة عن مصر حتى يصلوا معها الى اى حل ، ولكنه تفويض لم يأت بأية نتيجة لان روسيا لم تكن جادة فى حل القضية ، وانما كانت تعمل على تجميدها ، ولذلك عندما جاء روجرز بمبادرته ١٩٧٠ وكان عبد الناصر قد بلغ به اليأس من مراوغة الروس والتوائهم فقبل هذه المبادرة وهو جالس معهم على مائدة المحادثات مع القادة السوفييت فى موسكو وابلغهم عبد الناصر انه مضطر ان يقبل هذه المبادرة كنتيجة لعدم استعداد موسكو لتلبيته مطالب مصر ، وقد كانت اسرائيل قد قبلتها مسبقا على اعتبار ان مصر سترفضها ولكن بعد ان قبلتها تلمست المعاذير والحجج لرفضها بعد ان قبلتها ، ورضخت امريكا لاسرائيل بل واشتركتا سويا فى الاحتجاج علينا بأننا حركنا الصواريخ من اماكنها التى كانت عليها وقت قبول المبادرة وقاموا بحملة مشتركة فى العالم كله يتهمون فيها مصر بانها نقضت نصوص المبادرة ، وبالتالى يحق لاسرائيل الا تنفذ البند الاول منها الذى ينص على انسحابها من الاراضى العربية التى تحتلها ، وهذه الرواية شبيهة تماما بحكاية الذئب والحمل ، ولقد كان ابا ايبان فى ذلك الوقت وزير خارجية اسرائيل قال لروجرز " ان امريكا تلحم نفسها فى امور لا تهمها ، ولا يجدر

ان تهتم بها ثم عبر ابا ايبان عن رأيه فى العرب وقال : " انهم قـوم متخلفون ولن تقوم لهم قائمة ولا يعرفون سوى لغة البطش والرعـب ، ولقد حان الوقت الذى يأتون فيه راكعين مستسلمين لاسرائيل الـتى تعرف جيدا كيف تعاملهم .

لقد سايرت امريكا اسرائيل فى شجب مبادرة روجرز لانها وجدت عبد الناصر انتظر كثيرا حتى اعلن موافقته عليها ، مما جعـل اسرائيل تعتقد انه لن يوافق فسبقت هى وأظهرت للعالم أنهــا لا تبغى الا السلام ووافقت عليها قبله ولما كان عبد الناصر يفـاوض الروس فى دعمه بالسلاح ووجد انهم يلفون ويدورون ولم يعطوه رأيـا صريحا بعد ذلك أعلن موافقته على المبادرة وهو فى نفس الوقت ينتظر روسيا ان تصحح وضعها معه فيعود الى حظيرتها ولذلك فان امريكـا فضلت الا تبيع اسرائيل وتضغط عليها من اجله لانها تعرف ان روسيـا مازالت تمسك بعنقنا وان خبراءها يجلسون على قاعدة من أرضنــا لا يدخلها غيرهم ومعهم الاسلحة الحديثة التى جاءوا بها ليدربونـا عليها ، وروسيا لم توافق على هذه المبادرة ، واختلاف عبد الناصـر معها لا يجعلها حرا فى تنفيذ رأيه .

بعد وفاة عبد الناصر

تسلم السادات مكانه ، واضطر الى تجديد وقف اطلاق النار

تسعين يوما أخرى ، ولكن امريكا بالنسبة لان مخابراتها كتبت لهـــا بان ايام السادات محدودة لم تأخذ هذا القرار مأخذ الجد ، ولقـــد انتهز الرئيس السادات فرصة وصول خطاب اليه من الرئيس الامريكـــى ريتشارد نيكسون يشكره فيه على اشتراك مصر فى تشييع جنازة الرئيـــس دوايت ايزنهاور والتى مثل فيها مصر محمود فوزى رئيس وزراء مصـــر — بعد تسلم السادات الخطاب اعتبر انه ربما يكون بادرة جديدة لفتح الطريق امام العلاقات المصرية الامريكية ، وطلب المشرف على المصالـــح الامريكية فى مصر ، وقال له هذا الكلام ، ثم قال له : (نحن على استعداد للاستجابة الى كل خطوة تقرب الى الامريكان منا ، وكل مبادرة طيبـــة من جانبهم سنقابل بمبادرة اطيب من جانبنا اما اذا كان العكـــس فنقابل هذا العكس من جانبنا بمثله ٠

كذلك قام الرئيس السادات بالرد على الرسالة للرئيس الامريكى وبقى الموقف على ما هو عليه ، حتى كان ٢ مارس ١٩٧١ القى الرئيـــس السادات خطابا اعلن فيه التزامه باى وقف لاطلاق النار كما قال : " ان مبادرته التى اعلنها فى فبراير ١٩٧١ مازالت قائمة وهو على استعداد لتنفيذ هـا ، ولكن اسرائيل كانت معتقدة بان الاوضاع دانت لها فى المنطقة الى نصـف قرن من الزمان على الاقل ٠

طلب روجرز مقابلة السادات .

ولقد ارسل روجرز رسالة الى الرئيس السادات وطلب ان يلتقى به

فى القاهرة — فتقابل روجرز مع الرئيس السادات فى ٣ مايو ١٩٧١ ثم اعترف روجرز بان امريكا تسمع لاول مرة لغة جديدة واسلوبا عمليا يتفهم روح العصر الذى نعيشه — كذلك فانه يقدر الحل السلمى ، وتجنب العودة الى ميدان القتال ، وانتهت المقابلة للرئيس السادات بعد ان وعده بان امريكا ستسعى من جانبها الى تحقيق المبادرة التى اعلن عنها الرئيس السادات .

كانت اسرائيل الى هذه اللحظة تتحدى ان يكون هناك اى رئيس عربى يستطيع ان يبرم اتفاق سلام مع اسرائيل ، وبعد مقابلة روجرز للرئيس السادات رأى انه قد وجد هذا الرئيس وبذلك يكون قد كسب هذا الرهان . لماذا قالت إسرائيل إنها تعرف كيف تتعامل مع العرب !؟

عندما ووجهت اسرائيل بذلك لم تعدم الحيلة بل سارعت بالضغط على الحكومة الامريكية من الداخل وبذلك أصبح كلام روجرز كأن لم يكن وعادت اسرائيل الى ترديد نغمتها التى تقول " انها تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخافون الا القوة والبطش ، وعلى امريكا ان تستريح الآن لان العرب ان عاجلا أو آجلا سيأتون راكعين يستجدون الصلح والمغفرة لانهم قوم لاحول لهم ولا قوة سواء على المستوى العسكري او السياسى ، ولكى تلقى جولدا مائير لقاء مبرما على مساعى روجرز ومبادرة الرئيس السادات فى الوقت نفسه وقفت فى البرلمان الاسرائيلى ولقنت روجرز درسا ملأته بالتوبيخ لانه تصدى لامر لا يخصه ، وكالعادة قلقلت الدوائر الصهيونية فى امريكا هذا الخطاب وروجته بحيث كان هذا

لقد ساعدت امريكا اسرائيل بكل ما فى هذه الكلمة من معنى وقد للتهما حتى اصبحت لاتملك قيادها ، واصبحت اسرائيل توجــــه اللوم والتوبيخ الى الوزراء الامريكيين ، وتستطيع ان تعزل منهم مــن تشاء وتبقى من تشاء .

ما هي المفاهيم التي أحدثتها طرد الخبراء الروس؟

ذهب روجرز وحل محله الدكتور هنرى كيسنجر ولقد جـــاء تعيين كيسنجر بعد قرار الرئيس السادات بانهاء مهمة الخـــــبراء السوفييت ــ وكان هذا القرار كما سبق ان قلت محيرا للروس والامريكان معا لان الروس كانوا يعتقدون ان الرئيس السادات لابد وانه أصــدر هذا القرار باتفاق مسبق مع الامريكان والامريكان لم يجدوا أى رســول لدم اليهم عن طريق الرئيس السادات فى هذا الشأن أو غيره .

بعد تولى كيسنجر وزارة الخارجية بعث برسالة يعبر فيهــا عن اهتمامه الشخصى لمقابلة اى مسئول مصرى على اى مستوى لانه يشعر ان على الولايات المتحدة واجبا ترغب فى القيام به تجاه قضية الشــرق الاوسط .

وبدأت المكاتبات تعرف طريقها بين امريكا ومصر عن طريــق المشرف على رعاية المصالح الامريكية فى القاهرة ، وتم الاتفاق على ان يلتقى كيسنجر بحافظ اسماعيل فى شهر اكتوبر ١٩٧٢ ــ وطبيعى اذا كان كيسنجر قد تكلم فى هذا الشأن فان هذا الكلام لا قيمة له مادامت اسرائيل لم توافق وهذا مثل يدل ايضا على موقف من مواقف اسرائيل مع امريكا تجاهنـــا فى يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣ اى قبل المعركة بيومين ــ وكان ابا ايبان

لماذا اردت إسرائيل كيسنجر هو الآخر خائبا ؟

وزير خارجية اسرائيل فى ذلك الوقت يقوم بالجولات الاسرائيلية المعتادة فى الولايات المتحدة لجمع الجباية التقليدية ، وفى ذلك الوقت تحدد مقابلة بين كيسنجر وابا ايبان ، وقد قال كيسنجر لابا ايبان " ان الاسرائيليين متفائلون ومن هنا لابد وان تأتى مبادرة حل المشكلة من جانبهم لانه من العسير على العرب وهم مهزومون ان يتخذوا الاجراء الذى يؤدى الى حل المشكلة - واضاف كيسنجر ان امريكا على استعداد للقيام بدور ايجابى فى هذا السبيل .

وكان رد ابا ايبان : " لماذا يتحتم على اسرائيل ان تتقدم بمبادرة بينما لن تقوم للعرب قائمة سياسية او عسكرية على مدى الخمسين سنة القادمة ثم نصح ايبان كيسنجر الا تضيع امريكا وقتها فيما لا فائدة فيه فاسرائيل تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخضعون الا لمنطق القوة والردع والقهر الذى تمارسه اسرائيل معهم من وقت لآخر .
وطبيعى ان كيسنجر صدق ابا ايبان ، ولم يكن عنده الامكانيات التى تجعل ابا ايبان يرجع عن رأيه .

وقد قابل الدكتور كيسنجر الاستاذ حافظ اسماعيل مرتين ولم يتم اى شيء ولما قامت حرب اكتوبر اعتقد كيسنجر ان اسرائيل ستنتصر انتصارا خرافيا ، وذلك على اساس ما كان يسمعه من اسرائيل، وقد اتصلت اسرائيل بامريكا بعد قيام حرب اكتوبر لتطلب منها مهلة يومين فقط لتطحن فيهما عظام مصر وسوريا ولكن كانت هناك مفاجأة تنتظر الدكتور كيسنجر

اذ تلقى استغاثة من اسرائيل بعد اربعة ايام من قيام الحرب هنا وهنا فقط عرف كيسنجر ان العرب لم يكونوا جثة هامدة كما صورهم امامه زعماء اسرائيل وعرف ان الحارس الذى كانوا يعتمدون عليه في الشرق الاوسط في حاجة الى حارس يحرسه ، وان هذه الحراسة ستكلفهم ، وتنقض مضجعهم ، وتضيع مصالحهم ، سيما وان هذه هى الورقة التى تحرص عليها روسيا لتلعب معهم بها ، ومن هنا غيرت امريكا سياستها بعد ان امدت اسرائيل بالعون الذى يجعلها تقف على اقدامها ولا تجعل مصر تتشبث عندما يراد عقد سلام معها ،

وقام كيسنجر بدور المفاوضات بين مصر واسرائيل ، ولاقى في سبيل هذه المفاوضات مصاعب لا حصر لها وتعرض لهجوم شديد من اسرائيل حتى كاد ان يدفع حياته ثمنا لهذه المهمة ، وانتهى الموضوع بفك الاشتباك الاول ، وفك الاشتباك الثانى واستطاع الرئيس السادات بعد زيارة رؤساء امريكا لمصر ووزير خارجيتها وبعد رد هذه الزيارة لهم في امريكا ان يقيم بيننا وبينهم جسرا قويا من الصداقة حتى اصبحت القروض الاقتصادية التى قدمتها امريكا الى مصر في سنتين تزيد على القروض التى قدمتها موسكو في ١٨ عاما ،

كيف كان كيسنجر واقعيا برغم انه يهودى ؟

في فك الاشتباك الاول والثانى وقفت اسرائيل موقفا عنيدا ولكن برغم ان كيسنجر كان يهوديا الا انه حرص على مصلحة امريكا قبل

كيف اقنع كيسنجر نيكسون للضغط على إسرائيل؟

حرصه على اسرائيل لدرجة انهم اشيعوا في هذا الوقت بانه ليس اسمه هنري كيسنجر وانما اسمه محمد كيسنجر اى انه في جانب المسلمين لا في جانبهم ولكن الرجل كان معتدلا ومعقولا جدا في مفاوضاته وان ماكان مقتنعا به اقتنع به الرئيس نيكسون، ولذلك فان الرئيس نيكسون استعمل سلطاته ونفوذه في الضغط على اسرائيل حتى قبلت ما رآه كيسنجر وبعد زيارة نيكسون لمصر تحسنت العلاقات أكثر ولذلك فان اسرائيل لم تنس لنيكسون موقفه منها ووصل الى يد هـا ورقة لعبت بها ضده وهي (فضيحة ووترجيت) ولا أسميها (فضيحة ووترجيت) كما يقولون لان المسألة لا تعدو ان الرجل استعمل سلطته في الاجراءات الخاصة بالدعاية الانتخابية وهذه الاجراءات بعيدة عن التزوير وبعيدة كل كل ما يشبهه والقضية لها قصة لا داعي لذكرها كانت قد اثيرت ثم خمدت نيرانها ولكن اسرائيل عندما وجدته رجلا عادلا في كلمته يعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله اثارت القضية من جديد ليخرج من البيت الابيض ولو كان رجلا عديم الضمير لاستمر في تأييد اسرائيل .

الرئيس فورد وكيف سار على نهج سلفه؟

لقد كان من فضل الله علينا ان خلف نيكسون الرئيس فورد ولم يكن اقل صلابة وجدية عن خلفه بل كان يسير وراء كلمته حتى يحققها

برغم ما كانت اسرائيل تشير الى الانتخابات القادمة التى ستخوضها فانه لم يعبأ بأى تهديد او وعيد ونفذ خطته التى كان من اهدافها فض الاشتباك الثانى الذى كان خطوة جريئة فى طريق السلام .

الرئيس كارتر

بعد ان عرف الرؤساء الامريكان مصر على حقيقتها وتمرك موقعه ذلك الوسيط الذى كان يقف على مشارف الشارع السياسى ليتحكم فى السياسة المصرية ويشوه معالمها ، رأينا الرؤساء الامريكيين يتعاقبون واحدا تلو الآخر وكل منهم احسن من الآخر لا نستطيع ان نميز بين هذا وذاك حتى جونسون ذلك الرجل الذى فهم عنه الشعب المصرى خطأ انه عنوان للاعتداء تبين انه كان يمد يده الينا بالسلام ولكن الحارس الذى وثق فيه جمال تبين انه كان يضع ثقته فى غير موضعها وقد ابنت هذا فى موضعه .

لقد جاء الرئيس كارتر فلم يكن اقل من سلفه صديقا لمصر ورئيس مصر ، لقد توطدت الصلات بينه وبين الرئيس السادات حتى اعتبر قضية مصر بانها قضية امريكا ، واخذ على عاتقه ان يحلها مهما لاقاه من عقبات ولقد رأينا وزير الخارجية المصرى يقدم استقالته يائسا من مفاوضات بيجين والرئيس السادات يقبلها ويلتمس له العذر وهو فى كامب ديفيد ، ورأينا الرئيس كارتر فى الكنيست الاسرائيلى والنائبة جيئولا كوهين تمزق

المعاهدة فى وجهه ومع ذلك يتصل بعد ها بالرئيس السادات ويبلغه بانه قادم الى مصر ، والرئيس السادات يتفق عليه من ثورة الكنيست الاسرائيلى - ومع ذلك فقد وصل الى مصر دون ان يلم بالثورة النهائية التى سحبت اليها مصر وحررت ارضها بكل ما فى هذه الكلمة من معنى

ريجان

عندما تسلم ريجان الامور لم يتوان لحظة واحدة فى تنفيذ ما تركه سلفه الرئيس كارتر وكانت كامب ديفيد تحتوى على شقين الشق الاول تحرير الارض المصرية (سيناء بما فيها ومن فيها ، والشق الثانى وهو ما يتعلق بالحكم الذاتى الذى طلب الفلسطينيون ان يكونوا هم المتحدثون باسم قضيتهم فلم يخلص السادات ان يتركهم حيارى الا بعد ان اوصلهم الى اول السلم ليصعدوا عليه ولكن عقولهم التى ضاعت منهم ولم يجدوها ، وضعت امامهم عقدة كامب ديفيد التى اعترفت بهم ووصلت لهم كيانا دوليا فأرادوا ان ينالوا من هذه المعاهدة بكل الطرق ولكنهم فى النهاية كانوا يقبلون مبادرة فهد ومبادرة ريجان وكلها مبادرات لم تخرج عن اطار (كامب ديفيد) وأخيرا قال لهم (ريجان) امامكم امران لا ثالث لهما الحرب او مفاوضة اسرائيل ولكن الحرب كانوا لا يقدرون عليها لان دول الصمود والتصدى التى كانت للمنظمة بمثابة حماية

كيف كانت دول الصمود والتصدي حرباً على المنظمة لا عوناً لها؟

كانت هى عمرو الذى دل عليه الشاعر فى قوله :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

اضاعت عليهم كل المواقع التى كانوا يريدون أن يعيشوا فيها فى لبنان لمناوشة اسرائيل لدرجة ان الاسد والقذافى وبعضا من عملائهم من المنظمة حاصروا عرفات وهو ورجاله فى طرابلس بلبنان وكادوا ان يقضوا عليهم لولا ان عرفات لم يجد امامه الا مصر التى اعلن عليها الحرب فاستغاث بها ، ولولا ان مصر بفضل الصداقة التى اقامتها كانت تجسد بينها وبين امريكا لما استطاعت ان تنقذه من هذا المصير الذى ينتظره هو ورجاله وقد انقذته مصر من سوريا والقذافى ورجاله الخارجين عليه واسرائيل ايضا وسط قوة مسلحة مصرية وجاء اخيرا عرفات واعترف بفضل مصر ولكنه بعد ان غادرها عاد الاخطبوط يلف حول رقبته من جديد ليجعله يدور حول نفسه وينسى انه قال أنهم ارادوا ان يرغموني ان ارفع يدى للتصويت على شيء لا اريده ومعنى هذا انهم يريدون الا تكون الموافقة على اى شيء الا اذا كانت موافقة اجماعية بمعنى انه لو شذ شخص واحد منهم عن هذا الاجماع فلا تكون هناك موافقة اى ان الاغلبية فى هذه الحالة لا لزوم لها والذى يشذ منهم عن هذا الاجماع كثير وموجود فى كل وقت — موجود عند سوريا وموجود عند القذافى وموجود فى كل مكان وزمان . وهذا فى الواقع قانون لا يوجد الا فى سجل المجانين .

ولكن ريجان يلتزم بما التزم به سلفه ويلتزم بما أوجدته كامب دافيد من صداقة بين مصر وامريكا .

أراء ومواقف

موقف الدول العربية

لقد كانت الدول العربية دائما لا تتفق الا لتختلف ، ولا تقترب من بعضها الا لتبتعد ، وان هذا قانون من قوانينها الذى تسير عليه ، وتسترشد بهديه ، ولذا كان امل كل وطنى من ابناء العرب المحبين لوطنهم ان يلتقى هؤلاء العرب على مائدة واحدة حتى يتم لهم النصر على عدوهم ، ويرتفعوا جميعا الى مستوى المسئولية . ولقد سبق ان قلت فى تعليقى على الاحداث فى الجزء الثانى (ان منطقة الشرق الاوسط التى تدور رحا الصراعات فيها حول مصر لان مصر هى مركز الثقل ، فلم تكن هذه المنطقة منطقة محلية لان الصراعات كان محركها دائما الدول الاجنبية التى لها مصالح فيها حتى مانراه من الحروب التى بيننا وبين اسرائيل كانت دائما الدول الاجنبية التى لها مصالح بها هى القاسم المشترك الاعظم .) ولو رجعنا خطوة الى الوراء لوجدنا سنة ١٨٢٧ أيام محمد على اتحدت انجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية لتحطم الاسطول المصرى فى موقعة نفارين ، وفى عام ١٨٤٠ اتفقت انجلترا والنمسا وروسيا القيصرية ، وبروسيا فى معاهدة (لندن)

المنطق فيما مضى كان الوسيلة النهائية لاقناع المحتل

على عزل مصر عن كل العالم تحت ستار منحها حكما ذاتيا وهــــو
ما انتهى بعد سنوات الى الاستعمار البريطاني ، ومن هذا التاريخ
ونحن مربوطين الى عجلة بريطانيا ، وحرم علينا بريطانيا ان نتصل
باى دولة غيرها — وكان هذا هو من ضعفنا لاننا عندما كنا ننسب
للمطالب بحقوقنا كان اعلى رغبتنا هو اقناع المستعمر بان يعدل عن
استعمارنا ، وان تكون له اصدقاء ، لان ذلك خير له من استعبادنا
وكان طبيعيا الا يقتنع المستعمر بهذا المنطق ، ولهذا شاءت الاقدار
ان تختلف طبائع ومشارب هذه الدول العربية ، وتلتهب الحماسية
عند بعضهم الى حد الاشتعال ، وبالرغم من ان مصر كانت اكبر الدول
العربية كما كانت مركزا لثقل الا انها ابان احتلالها لم تستطيـــع
ان تقدم معونة لغيرها من الدول الشقيقة ويذكر فى ذلك بدولة شقيقة
جاء وفدها ليطلب من سعد باشا زغلول ان يهب لنصرتها فقال لـــه
سعد : صفر + صفر = كم لا تساوى الا صفر فعندما تصبح واحدا صحيحا
فنحن على استعداد لنصرتكم .

ولذلك بعد ان قامت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ وتخلصت مصـــر
من المستعمر استطاعت ان تمد يدها الى كثير من الدول الشقيقـــة
وتساعدها على استقلالها ، ولكنها ايضا عندما قامت واخذت تمضى فـــى
مسارها الطبيعى نشأت الخلافات والصراعات بين قادة الثورة ورؤســـاء
الدول المجاورة ، ولم تهدأ هذه الصراعات الا لتشتعل نارها من جديد

وكان الرئيس عبد الناصر في جميع مواقفه وخطبه يشمخ بأنفه على هؤلاء الرؤساء ويرسل اليهم النكات التي كانت تحل اعجاب أولاد البلد وكان هذا هو سر نكبته وسر بلوائه .

فكانت الهزيمة المروعة التي نكست الرؤوس ، واخفت همسات النكات بل حلت محلها نكات تتناول الهزيمة ورواة الهزيمة .

والواقع ان هذه الهزيمة كلفتنا ما لا طاقة لنا به — تحطيم جديد للجيش — غلق قناة السويس — ضياع سيناء بأسرها — غارات اسرائيلية في كل مكان ، وفي أي وقت ، وفي العمق دون ان تكون عندنا القدرة لردعها — ضياع حقول ابو رديس لمدة سبع سنوات — تهجير اهالي محافظات الاسماعيلية وبورسعيد والسويس الى داخل القطر — انهيار الحالة الاقتصادية — معاناة في الداخل والخارج — مراكز قوى تنطلق كالكلاب المسعورة لتتكلم باسم المحافظة على الثورة تتشمم وتعذب من تعذب ، وتقتل من تقتل ، وتسلب وتنهب اموال الناس بالباطل متذرعة بهذه الحجة التي كانت تستعمل في غير موضعها المعهود (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) والحقيقة ان المعركة انتهت ، ولم تكن هناك معركة الا مع المصريين انفسهم ومع الاقطاعيين بالذات والاخوان المسلمين وكأنهم هم اليهود . ماذا كان بعد النكسة؟

وبعد النكسة اختلف جمال عبد الناصر مع المشير عامر القائد القوات المسلحة وقد كانا اصدقاء العمر وانتهى بموت هذا القائد ، ودارت الدائرة على اتباعه وموظفي مكتبه من اصحاب المراكز الكبيرة ، والرتب

العسكرية الضخمة يجرون الى التعذيب كما تجر الكلاب ، وتربط ارجلهم الى اعلا بعد خلع احذيتهم ثم يضربون فوقها بالعصى الغليظة ، وبعضهم يخلع ملابسه كيوم ولدته امه ثم يعرضون على الكلاب المتوحشة تهجم عليهم ، وبعد ذلك يربطون ويجلدون ، والبعض تخلع اظافره بالكماشه ويؤتى بنسائهم لتهتك اعراضهم على مرأى ومسمع منهم ، وبعد ان كان عبد الناصر يشمخ بأنفه على الدول العربية على اعتبار ان مصر هي المحتلل تغير الموقف ، واصبحنا نجلس في السفح ، وهذه الدول تجلس في القمة أصبحنا نمد ايدينا الى هذه الدول كالمتسولين ، ونقول لها (الا من مال نشترى به لقمة عيش للشعب المصرى ولا نشترى به سلاحا لانهم كانوا لا يؤمنون بشراء الا سلحة حيث فهموا من مصر انها تصنع السلاح بدون جدوى وهذا الكلام ثابت في مؤتمر من مؤتمرات القمة العربية ، واعلنه على
لماذا بكى عبد الناصر في مؤتمر القمة بالخرطوم ؟
صفحات الجرائد السيد / محجوب رئيس وزراء السودان الذى قال "ان عبد الناصر بكى في المؤتمر ولما سأله الملك فيصل عن سبب بكائه قال ، "أنا لا أبكى لانى اريد قرشا اشترى به سلاحا ولكنى ابكى لانى اريد قرشا اشترى به خبزا للشعب ، فقال له الملك فيصل ، ونحن لا نرضى يا أخى ان تشبع وشعب مصر جوعان ." ومن هو فيصل هو ذلك الرجل الذى كان يشير اليه الرئيس جمال في بعض خطبه التى تتخللها نكاته

ويقول عنه " بعضهم لقد يقتل في دقنه " ارأيت الى اي هوان وصل اليه عبد الناصر بعد النكسة التي دفعته اليها روسيا ،

اصبحت الدول العربية تنظر الى مصر على انها الرجل المريض الذى يجب عليهم ان ينتظروا حوله حتى يلقى نحبه ، ويتقدموا اليه واجب العزاء ، واذا ماقيل ان هناك طبيبا بارعا يستطيع ان يعيده الى ما كان عليه قالوا : " ان مرضه ميئوس منه ولا داعى لان ننفق عليه أكثر مما انفقنا . فمصر فعلا كانت لا تستطيع ان تطلب من الدول العربية أكثر مما طلبت بحجة ان تشترى سلاحا او تبنى اقتصادا .

أما روسيا

فكانت الى هذا الوقت لا يفهم الشعب ولا جمال نواياها حتى بعد ان غررت بنا ودفعتنا الى هذه الهزيمة دفعا . لاننا كنا نفهم أول ما مدت ايديها الينا بالمساعدة ان العامل المشترك بيننا وبينها هو محاربة الاستعمار في اية صورة من صوره ، ولكن تبين لنا اخيرا انها لم ترد بمساعدتنا استعمار الارض واحتلالها فحسب ، وانما كانت تريد ما هو اقسى من هذا ، كانت تريد ان تحتل عقولنا للتؤمن بمبادئها ، وننسى عقائدنا وديننا ، ولم ترد ان تكشف نفسها مرة واحدة حتى لا تفاجأ منا بطرد افكارها ، وانما ساعدتنا في بادئ الامر حتى استطعنا ان ننسف

على أقدامنا ، وبدأت تشير الى مبادئها .

فاعتقد الرئيس جمال انها مدت ايديها لمساعدتنا على اساس واحد هو الشرف وانقاذ الضعيف من القوى ، وانها تشير الى هذه المبادىء من النزاع والتناع فكان يقول لنا اشتراكيتنا ولكم اشتراكيتكم لان اشتراكيتنا نابعة من واقعنا ، ولما لم تر روسيا بان هذه التلميحات لم تجد نفعا ودفعت عبد الناصر الى حرب ١٩٦٧ دون ان يدرى ، ولما حلت بنا الهزيمة تركت اسرائيل تحريد كما تشاء حتى اضطر جمال ان يسلم روسيا زمام كل شىء حتى الدفاع عن البلد والتكلم باسم مصر فى المحافل الدولية ودفعت روسيا بجيش من خبرائها الى مصر حتى بلغ هذا الجيش ما يقرب من عشرين الفا اقاموا فى قواعد لا يدخلها المصريون .

الرئيس السادات :

كل هذه التركة الثقيلة ، وكل هذه الاوزار حملها الرئيس السادات بعد وفاة عبد الناصر غير الورثة ومراكز القوى الذين اشرت اليهم فى مستهل هذا الكتاب .

حمل الرئيس السادات ذلك المريض الذى كان فى حالة احتضار ، وحوله اولئك الذين يريدون ان يشيعوه بعد لحظة وأخرى وفى مقدمتهم ذلك الصديق (روسيا) الذى يظهر غير ما يبطن ، والذى يمسك بأطراف الخيوط كلها ليحركها .

هل كان تسلم السادات الحكم
فى مثل ظروفه بمثابة اختبار له أم اختبار للشعب والعالم

نستطيع أن نقول " ان السادات بدأ عمله فى تربعه على عرش مصر وهو يعانى من أمور كثيرة من أمور سياسية واقتصادية وعسكرية حتى هذه المعاناة لم يتركه القدر ليعانيها براحته كالمريض الذى يقسو الاطباء منه — واعداؤه يتبعونه حتى يكونوا أسبق من المرض فى القضاء عليه ، فهو كان اشبه بصديقه شاهنشاه ايران الذى ألح عليه المرض والخومينى يتتبعه فى كل دولة ليأخذه من يد المرض حتى يقوم هو بالقضاء عليه ، ولكن القدر هيأ له السادات ليأخذه فى حمايته حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

الرئيس السادات تآمرت عليه عدة عوامل — روسيا أولا كانت تريد ان يكون لها عميلا معينا هو القائم على حكم مصر وهو على صبرى — وقد تكلمت فيما سبق من واقع المذكرات السياسية التى كتبها الضابط علوى حافظ بأن على صبرى هذا كان سببا فى هدم ذلك الجسر السياسى الذى كان سيقوم بين عبد الناصر وجونسون قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها وان عبد الناصر كان يضع على هذا الجسر غطاء شيوعيين من الألف الى الياء ولذلك عندما نبه جونسون عبد الناصر بان الرسول الذى يكون بينهم يكون شخصا غير على صبرى وكان ذلك بعد حرب ١٩٦٧ اى ان جونسون مد اليه يده وهو ملقى على الارض يتمرغ فى الوحل والطين ، ولكن جونسون فوجئ بأن على صبرى يصبح رئيسا للوزراء فهدم كل امل كانت ترغبه امريكا او ترغبه مصر .

العامل الثاني ـ مراكز القوى كانت هذه المراكز تتلقــــى التعليمات من روسيا وكانت تعتبر انها الوارث الوحيد لجمـــــال عبد الناصر حتى انها انكرت القرار الذى اصدره عبد الناصر بنيابــة الرئيس السادات وقالوا ان عبد الناصر قد مات ، وان قراراته قد ماتت بموته ، ولم يدروا بان اللجنة المركزية العليا التى مكنتهم من النقـاش والحوار فى امر تولية الرئيس السادات هى قرار من قرارات عبد الناصر وكانت هذه المراكز لها جناحان جناح ظاهرى برأسه على صبرى وهــو مكون من السلطة كلها بما فيها الداخلية والحربية والتشريعية تتلقــى كلها الاوامر من اعلى ، وجناح يجلس فى الظل لمراقبة الموقف من كــثب وفى يده جميع وسائل الاعلام هو محمد حسنين هيكل ـ وهيكل هــــذا كان يريد الاطاحه بالسادات على شريطة ان يطاح بمراكز القوى أولا لانه كان يخشى ان تنفرد به هذه المراكز فتعزله شر ممزق .

العامل الثالث ، مبادرة روجرز وهى التى كان يترقب مراكـــز القوى انتهاءها بفارغ الصبر حتى ينفس ايقاف القتال بين مصر واسرائيـل ومصر تعلم انها غير مستعدة وان كثيرا من الموانع الاستراتيجية عاريـــــة كلناظر اسنا ولنجع حمادى ، ولقد طلب السادات من روسيا ارسال بطاريات للدفاع عن هذه الاماكن ولكن طيعها عملت ودن من طين وودن من عجـــين ولم تلب طلب مصر وكان ذلك من بين عوامل الضغط الخارجى لمراكز القــوى

من الداخل وروسيا من الخارج .

العامل الرابع — الخزينة كانت مفلسة تماما بدليل ما قاله المحجوب رئيس وزراء السودان بأن عبد الناصر في احد مؤتمرات القمة العربية بكى فسأله الملك فيصل ما الذى يبكيك يا أخ جمال فقال له : «أنا لا أريد مالا اشترى به سلاحا وانما اريد مالا لاشترى به خبزا للشعب ليأكل فتطوع الملك فيصل بمائة مليون جنيه وطلب من الكويت أن تدفع لمصر ستين أخرى وليبيا ثلاثين ودفع هؤلاء ما عليهم ما عدا ليبيا لم تدفع — هذا العامل كان في منتهى الاهمية لان السادات كان يعلم ان البلد مدينة لروسيا بديون عسكرية كبيرة جدا تقرب من ستة عشر ألف مليون جنيه — ويعلم ايضا ان البطون الجائعة — لا تؤمن بالمثل العليا .

ومن ناحية أخرى ان الدولة من واجبها ان توفر للشعب ما يتطلبه من مأكل ومسكن ومشرب . ويرى ايضا ان اسرائيل ترفض اى سلام مادامت قد حصنت نفسها في سيناء . وانها تعتبر سيناء وتحصيناتها هي نظرية الامن التي لا تتنازل عنها . ولذلك فان اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر رفض السفر مع الرئيس السادات الى القدس لانه قال ان اسرائيل لا يمكن ان تفرط في شبر واحد من سيناء لانها بذلك تعتبران نظرية الامن التي ينتهجها قد انهدمت .

فالسادات كان يرى في مستقبل توليته شئون الدولة انه لابد

من الحرب بيننا وبين اسرائيل، وهذه الحرب تحتاج الى مال وسلاح وتأمين فى الداخل والخارج ــ وعند ما رأى السادات الخزانة خاوية على عروشها سأل وزير المالية وقال له هل كان عبد الناصر يعلم بذلك قال طبعا ، وماذا كان تصرفك قال ، (البرطانية هذا لذاك ، وذاك لهذا) وهذا مثل عامى عند المصريين .

العامل الخامس ــ مفاهيم الشعب ، كان الشعب يعيش الفترة التى قضاها عبد الناصر لا يعرف اى شيء مما يدور حوله لان عبد الناصر اغلق خزائن التاريخ كلها فلم يعد هناك احد يسمع ولا يبصر ثانيا ــ عاش عبد الناصر طيلة حكمه مستريحا من المعارضة المكشوفة والمستورة لا النظام النيابى عبارة عن نظام شمولى لا تظهر جريدة او مجلة للتحدث عن الديمقراطية او الدكتاتورية ــ اى معارض يجد على رأسه فورا المخابرات لتأخذه من الدار الى النار هناك كان يقف على باب الجحيم حمزة البسيونى وزبانيته ليستقبل القادمين ليريهم دروسا جديدة فى العذاب مستوردة من روسيا ، ولم تشهدها مصر من قبل توهت عندنا . لذلك كان عبد الناصر لم تؤرقه المعارضة كثيرا ، وكان فوق هذا وذاك الدعاية له لا تهدأ ليلا أو نهارا حتى اصبح الناس لا يميزون بين الظلام والنور ، ولا بين الغث والثمين ، والطيب والخبيث لدرجة اننا رأينا بعض النواب من العاملين يرقصون طربا وقت هزيمة ١٩٦٧

والطائرات الاسرائيلية تحلق فوق رؤوسنا ، وعبد الناصر يذهب الى البرلمان ليسحب استقالته ،ـ بعد وفاته اعتقد الشعب انه مبعوث العناية الالهية ولذ ذهب فلا يمكن ان يحل محله غيره ؟

العامل السادس : ترك المرافق كلها بدون اصلاح طيلة حكم عبد الناصر ثمانية عشر عاما مما جعل مواسير المياه والمجاري تنفجر في معظم الاوقات وتغرق الشوارع ، وتثير حساسية الجمهور والدولة لا تقف مسئوليتها عند اصلاح المجاري او المياه فحسب وانما هناك المساكن والمواصلات وغيرها ولكن الخزينة تقف عاجزة عن اصلاح ما أفسدالدهر .

ان الرئيس السادات لم ينبه الشعب قبل توليه الرياسة الى اى خلفية من خلفياته الوطنية وهو عضو بمجلس قيادة الثورة لانه كان يرى ان هذه الخلفيات التى يتميز بها عن زملائه اعضاء الثورة ستثير الحساسية بينه وبين زملائه وبينه وبين جمال عبد الناصربنوع خاص ولذلك فان الشعب عندما قابله قابله على انه شخص عادى ليس مؤهلا للزعامة ، وان مكانه الطبيعى وسط الدراويش ، ولم يعطه الشعب اى فرصة ليفصح لهم عن طبيعته ، وانما انتهز الفرصة لينفس عن الكبت الذى كان محكوما له طوال الثمانية عشر عاما التى قضاها عبد الناصر فى حكمه ، وانتهز الفرصة بعد الغاء القوانين التى كانت

تحكمه وفتح ابواب السجون والمعتقلات ليخرج كل سجين وكل معتقل واعلن للشعب ان عيد الحرية يبدأ من ١٥ مايو ١٩٧١ .

بنى المحللون السياسيون اراءهم على هذه العوامل مجتمعة وقالوا ان السادات لم يكن امامه سوى اربعة اسابيع ، والحقيقة ان اراءهم هذه ، لو صحت لكانت مصر هى افغان الثانية او اليمن الجنوبى ، ولكن عناية المولى بمصر خيبت ظنهم ، وقلبت تلك ترائهم رأسا على عقب ، ووضع الله فى هذا الرجل الضعيف اللوء التى جعلته يجتاز الحواجز ويبهر الناس بالمعجزات ، ويأتى بما لم يأتيه الاولون والآخرون فيحرر البلد من احتلال داخلى وخارجى كتم انفاسنا قرونا عدة ، واحتلال عسكرى وسياسى واقتصادى وفكرى ، وكانت النتيجة نجاح السادات ١٠٠٪ وسقوط العالم ومحللية ومحرريه . وان ظروف المعاناة التى احاطت به والتى شرحتها تجعل اى رئيس احاطت به تلك العوامل لابد ان يسلم لاول وهلة ، ويحظى من الخنوعة بالاياب او بالاحرى بالهروب ، قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال "

وبالنسبة لان السادات كان رائده الاخلاص لله والاخلاص لوطنه فلله أمده الله بعون من عنده .

كيف ظهر السادات بهذا الانجاز الرائع
وبهر العالم بتلك المعجزات ومع ذلك ظلت
الكلاب المسعورة فى حياته وبعد مماته لتنهش عرضه ؟

١) ان انتصار السادات على مراكز القوى وايداعهم السجن خلف وراءه قوة هائلة كانت موالية لهم ، وتتبعهم ، وكانت تريد ان يظل عهدهم لانها يدر الخير عليهم .

٢) ان المحللين يحتارون عندما يرون المسجونين من الاخوان المسلمين والمتآمرين والمعتقلين يحملون على السادات حملة ضارية لدرجة انهم اوعزوا الى خطباء المساجد بالبدء فى هذه الحملة عندما الغى السادات القوانين التى اعلنها جمال عبد الناصر ، ولم يتوجهوا فى حملتهم على جمال عبد الناصر بخير او بشر .

نقول : حقيقة ان الاخوان المسلمين واجهوا فى عهد عبد الناصر كل انواع التعذيب من قتل وسجن وتشريد .. ولقد سمعت هذه الرواية من صديق كان بجوارى فى الحج وسمعته يفعل عندما سمع من احد الحجاج كلمة مدح فى عبد الناصر فقلت له خفف عن نفسك انت فى الحج فقال لى انت لا تعرف السبب فقلت ماذا ؟ قال : " لقد كنت رائدا فى الجيش واتهمونى بانى من الاخوان المسلمين فأخذونى الى حمزة البسيونى ، جلدونى اولا ، ثم كانوا يخرجونني كل يوم ليصلبوا أرجلــى

فى الفلكة ، ويضربونى على الداس بالعصى الغليظة ، ثم ينزلونى بعد ذلك فى مياه المجارى لاسير فيها ويضربوننى على رأسى بالشـــــارع لاغطس فيها حتى أشرب منها ، وظللت على هذا الحال ثلاث سنوات لم ينقذنى من هذا العذاب الا بعد ان اصبت بالشلل ــ هذا الرجل مازال شاهدا على قيد الحياة .

اذن لماذا هؤلاء الذين اخرج منهم السادات من السجون والمعتقلات لم يذكروا عبد الناصر بسوء ، ولم يذكروا فضل السادات فى هذا الصنيع الذى صنعه معهم .

انهم قاموا فى بادىء الامر بالحرب بينهم وبين عبد الناصر ولكن عبد الناصر استعمل كل ما ملكته السلطة من مبيدات للفتك بهم ، ولذلك فانهم لا يرتضون بغير زوال هذا العهد بديلا ، ولما صنـــــع السادات معهم هذا المعروف لو انهم التزموا بالمبادىء الانسانيـــة وذموا عبد الناصر ، وامتدحوا السادات لبقى هذا العهد قائما يطـــل عليهم وهم لا يحبون ان يروا وجهه ــ اذن فهم يريدون زوال العهــــد من اساسه فمن الذى يتربع على قمة هذا العهد هو السادات اذن فلابد ان توجه الصواريخ كلها اليه ــ اما عبد الناصر فقد مات وانتهى .

٣ــ ان الرئيس السادات كان اذا ذكر اى كاتب او صحفى شيئا عن عبد الناصر بسوء يقول السادات (انا شريك له فى الحكم مع اننا نعرف ان الحساسية

التى كانت عند عبد الناصر من ناحيته جعلته بعيدا عنه طيلــة المدة فى الحكم ، ولم يقترب منه جمال الا فى آخر عهده ، بعــد حرب ١٩٦٧ عندما حصلت الهزيمة ، وعرف ان اسبابها المباشــرة كانت من تصرفات المشير عامر ، ولما لم يستطع عزله من منصبه قــدم استقالته عبد الناصر وذكر فى الاستقالة ان يتولى مكانه زكريــا محى الدين الا ان على صبرى دفع بمظاهرات لتأييده ، فواجهت مظاهرات على صبرى مظاهرات من الشعب ايدها النواب لحســاب عبد الناصر وفى هذه الحالة كان الرئيس السادات رئيسا لمجلس الشعب فذهب الى جمال فى بيته ليحضر امام المجلس ويسحــب استقالته ــ وزاد على هذا ان قدم السادات استقالته الى جمــال وطالب بتقديم استقالات زملائه جميعا حتى يكون عبد الناصر حرا فى تعيينهم من جديد ان اراد وفى هذه الحالة ومن هذا التاريــخ اعتبر جمال ان هذا فضل من السادات لن ينساه ، واختير فى فكره ان يكون هو النائب عنه سيما وانه هو الذى حضر محاكمة المشــير عامر فى منزل عبد الناصر وكان اكثر الاعضاء نشاطا فى توجيه الاسئلة اليه ــ وعندما زالت الحساسية الموجودة عند عبد الناصر من ناحيــة السادات بعد الهزيمة كان حمزة البسيونى قد مات وخف نقد بســبب الشعب ولم يبق من يعذب الا رجال المشير وانصاره واتباعه حــــتى

يستلهم القدر الكأس الذى تجرعه غيرهم .

لكون الرئيس السادات يقول انه شريك لعبد الناصر فى الحكم معناه ان الناس تنسى عبد الناصر الذى مات ولم يبق امامهم الا السادات ليأخذوا حقهم منه ـ ولذلك رأينا اناسا لهم مكانتهم الصحفية والسياسية هاجمهم الرئيس السادات من اجل هجومهم على عبد الناصر فالاستاذ جلال الحمامصى هاجم عبد الناصر فى كتابه حوار وراء الاسوار واتهمه بتهريب الملايين باسمه فى البنوك الاجنبية والحمامصى هذا كاتب من الكتاب المعدودين وقام اولاد عبد الناصر ونسايبه ليهاجموا هذا الصحفى وقالوا انهم سيرفعون دعوى فى المحكمة على هذا الصحفى الا ان الاستاذ جلال تصدى لهم وقال انا على استعداد للوقوف امام اى محكمة وفى مواجهة اى محام مع انى اعلم انهم قادرون على ان يأتوا بمشاهير المحاماه . ولما وجد الرئيس السادات انه لم يتخل عن هجومه على عبد الناصر اقاله من العمل فى الجريدة التى يكتب فيها . واطمأن اقارب عبد الناصر الى هذا الاجراء .
كذلك عثمان احمد عثمان وهو نسيب للرئيس السادات بمعنى ان ابن الاول متزوج بنت الثانى كتب كتابا اشار فيه الى ان ابنة عبد الناصر وزوجها استوليا على املاك ليس من حقهما . ولما اثير هذا الموضوع فى الجرائد غضب الرئيس السادات مما جعل السيد / عثمان احمد عثمان يستقيل من الاعمال التى كان يتعاون فيها مع السادات ـ هذا مثل من الامثلة التى

فهمنا منها ان الرئيس السادات يتصدى بالقول والفعل الى كل من يسئ الى السادات بدافع الوفاء مع ان سرة عبد الناصر وأتباعــــه كانوا يروجون عن السادات بانه يجرح عبد الناصر .

فهو قد اسند سيئات عبد الناصر التي لا يغتفرهـــــا التاريخ الى نفسه مع انه برئ منها — وقد خسر اصدقاءه وأقاربـــه بسبب دفاعه عن عبد الناصر ولم يؤجره احد على ذلك .

ولما تصور الناس ان عبد الناصر برئ وان السادات هو المتهم تصوروا ايضا بان حرب ١٩٦٧ كانت نصرا وان حرب اكتوبـــر هي الهزيمة .

لقد رأيت الشيخ الباقوري وكان وزيرا للاوقاف في عهـــد عبد الناصر وهو صديق للسادات رأيته في اجتماع والبعض يســـأل السادات عن اعمال عبد الناصر فيقول انا كنت شريكه في الحكم فـيرد الباقوري انت مسئول عن أعمالك فقط وبين الشيخ الباقوري سرا لم يوضحه في وجود السادات خشية ان يغضب عليه كما غضب على غيره ذكر بـــأن عبد الناصر حدد اقامته ثلاث سنوات في منزله بحيث لا يزوره احـــد وفي يوم آلمه ضرسه فاراد ان يخلعه بطريقة بدائية فنزف الضرس وهنـــا اراد ان يأخذ اذنا من عبد الناصر ليرسل اليه طبيبا يعالج هـــذا النزيف — لم يستطع ان يذكر ذلك في وجود السادات ولكنا قرأنا فـــي الجرائد بعد وفاته لان السادات صنع من نفسه درعا ليدافع عن عبد الناصر عشر سنوات اثناء السادات في الحكم سكت الناس عـــن

عبد الناصر لم يقولوا فى حقه كلمة سوء ، ولكنهم كانوا يتكلمون عن السادات بكل حريتهم لانه فتح لهم ابواب الحرية ، وسمح لهم بتكوين الاحزاب ، وانشاء جرائد تتكلم باسم هذه الاحزاب .

عبد الناصر اقام ثمانية عشر عاما فى الحكم لم يفتح بابا من ابواب الحرية ، ولذلك لم يظهر عنوان واحد فى اى جريدة يوجه اليه اى نقد — لم يحصل ان تباحث العلماء على صفحات الجرائد فى معانى الديمقراطية والدكتاتورية — من هنا عاش عبد الناصر يعذب من يشاء ويقتل من يشاء ولم يؤرق نفسه او يقض مضجعه نقد ناقد او معارضة معارض .

مقارنة بين الاعتداء على عبد الناصر

والاعتداء على السادات

جاء الاعتداء على عبد الناصر عقب خلافه مع الرئيس محمد نجيب اول رئيس جمهورية لمصر ، وذكر فى كتاب (الصامتون يتكلمون) الذى اخرجه ثلاثة من نواب رؤساء الجمهورية السابقين هم كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم انهم قالوا ان هذا الموضوع كان مدبرا من المخابرات المصرية لاخراج محمد نجيب من رياسة الجمهورية وللتخلص من جهاز الاخوان المسلمين لانه كان منحازا لنجيب .

والدليل على ذلك ان الرصاص الذى قدم الى النيابة بخلاف

المسدس الذى اطلق منه لانهم قالوا بان المسدس الذى سلم الى المتهم كان فشنك ولذلك كتبت الاهرام ثانى يوم تقول : " ان الرصاص الذى قدم الى النيابة قد كان نوعه يخالف المسدس الذى اطلق منه .
ولما تنبهت المخابرات الى ما قالته الاهرام اتت بعامل من الاسكندرية اسمه (خديو آدم) واعطته مسدسا حشوها من نوع الرصاص الـذى قدم الى النيابة وقالت له اذهب الى عبد الناصر مصر وقدم هـذا المسدس اليه وقل له انى كنت فى الحفل وعندما حصل الضرب وقعت على الارض فشعرت بشىء ساخن تحت يدى فامسكت به وقلت فـى نفسى لابد ان هذا هو المسدس الذى ضرب وعملت ترتيبى بان اسلمه لسيادتكم شخصيا ولما سأله عبد الناصر ولماذا تأخرت ؟ الحادث مضى عليه ثلاثة ايام فقال هذا العامل لعبد الناصر انا اصلا من الاسكندرية وجئت الى القاهرة ماشيا حتى كنت لا يسا قطعانا بحثه لأكل بشنسـه فاخذت صورته ومنحه عبد الناصر مكافأة مائة جنيه .

وطبيعى بان المحامى الذى تطوع للدفاع عن المتهم كـان يريد ان يبحث عن المصدر الذى استقت منه الجريدة خبر مخالفة الرصاص المقدم للنيابة عن المسدس الذى اطلق منه هذا الرصاص ولكن فيما يظهر ان المحامى وجد ان الجو غير ملائم للحديث فى اى شىء الا ان يطلـب الرأفة فقط وعلى اثر هذا الحادث وملابساته قبض على اربعين الفا مـن

الاخوان المسلمين وحوكم جهاز الاخوان كله في مدى ثلاثين يوما فقط وتم اعدام الجهاز كله ماعدا الرئيس بالنسبة لكبر سنه بدل الاعدام بالمؤبد هذا ما قيل في كتاب (الصامتون يتكلمون) عن ملابسات الموضوع ـ وما ذكره الاستاذ صلاح منتصر في جريدة الاهرام ثم اخرج بعدها الرئيس محمد نجيب من رياسة الجمهورية معتقلا وحل محله جمال عبد الناصر .

أما الاعتداء على الرئيس السادات فلم يكن لخلاف بين المعتدى وبين الرئيس كما كان بين الاخوان والرئيس عبد الناصر وانما كان لمبدأ متطرف يؤمن به القاتل فهو يؤمن بأن الرئيس كافر والشعب كافر وهو وحده وزملاؤه المؤمنون ولذلك عندما سألته النيابة هل انت قتلته لانه وقع على كامب ديفيد فقال " انا لا أعرف كامب ديفيد ولا اعرف شيئا عن السياسة وانما قتلته لانه كافر ولو كان هذا المخبول صادقا فيما يقول للقتل جميع حكام مصر السابقين منهم واللاحقين لان السادات بالذات لم يغير شيئا في التشريع الاسلامي بل بالعكس هو اول من ادخل في الدستور المادة الاولى التي تقول (دين الدولة الرسمي هو الاسلام) وهو الذي ارتفع بالازهر حتى وصل عدد كلياته الى اربعين كلية بدلا من اربعة فقط ، وهو الذي خصص اعدادا كبيرة من الحجاج مجانا لكل من كان يحفظ القرآن الكريم ، ان هؤلاء المخبولين المتطرفين قتلوا قبل ذلك الشيخ الذهبي وزير الاوقاف سابقا ودخلوا عليه في منزله واخذوه وهو وسط اولاده ثم قتلوه لانه وجه اليهم النقد في احدى المجلات فكان جزاؤه منهم القتل .

ثم هم والمعارضون يعيبون على السادات انه وأد الديمقراطية في مهدها ونحن يهمنا هنا ان نوضح ما هي الديمقراطية وما هي الدكتاتورية وفي اى عصر كانت مصر متمتعة بالديمقراطية ، وفي اى عصر سحبت منهـا

الديمقراطية والدكتاتورية

الديمقراطية معناها حكم الشعب بالشعب ، وطبعا لا يكـون هذا الحكم صحيحا الا اذا كان صادرا عن انتخاب مباشر من اغلبيـة الشعب ، ولم يطبق هذا الانتخاب المباشر الا في عصر سعد باشا زغلول ، ومع ذلك فقد كانت هناك سلبيات كثيرة تكتنف هذا الحكم .

أولا ـ ان الانتخاب المباشر يسوى بين بائع البطاطا ومدير الجامعة ـ يسوى بين العامل البسيط الذى لا يعرف غير الآلة التى يمسكها في يده ، ورجل السياسة الذى يضع الامور في نصابها ، ولو اقتصر الامر على ذلك وتساوى عدد هذه الطبقة الجاهلة مع عدد الطبقة الممتازة لسلمنا بجدوى هذه الانتخابات وانها ربما توصل الى الهدف المنشود ، ولكنا نعرف ان الغالبية الجاهلة اضعاف اضعاف الطبقة الممتازة ، وفي هذا ما فيه من ان الجهلـة هم الذين يستطيعون ان ينصبوا الرئيس الذى يقع عليه اختيارهم ويهدرون حق هذه الطبقة الممتازة .

واذا كان الذين يتمسكون بقوله تعالى (وامرهم شورى بينهـم) فليعرفوا ان الشورى لا تشمل كل من هب ودب وانما هى تخص ذوى الرأى والاغلبية

ضالة كما قال تعالى (وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) (ولكن اكثرهم لا يعقلون) (ولكن اكثرهم لا يعلمون) فهذه الآيات تعنى بان الاغلبية ضالة مضللة ، ولذلك فان المراد بالاغلبية المفضلة هى الاغلبية المستنيرة .

حوارى الديمقراطية فى عهد الوفد

ولو ناقشنا الديمقراطية فى عهد سعد باشا زغلول لوجدنا انها كانت فى قبضة المحتل ان شاء ارسلها وان شاء حبسها - ورأينا المحتل فى عهد النحاس هو الكعبة التى يحج اليها زعيم الاغلبية وزعماء المعارضة فكان المحتل عندما يرضى عن الاغلبية يشير الى الملك بعمل انتخابات حتى تأتى بزعيم الاغلبية على رأس الوزارة واذا رضى عن الاقلية عمل نفس الشئ .

فكانت الديمقراطية فى هذا العهد معطلة او شبه معطلة .

كما ان اغلبية الشعب فى هذا العهد كانوا اما عمالا زراعيين عند الاقطاعيين فهم محكومون لهم بلقمة العيش ، واما يباعون ويشترون كما تباع البهائم . وبذلك يفقد الانتخاب اثاره الطيبة ولا تتخلف منه الا الاثار السيئة هذه ديمقراطية ما قبل الثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ وهذا لك يسمح كبار السن بمشاهدها .

(ديمقراطية ما بعد الثورة)

اما بعد هذه الثورة فاننا لم نر بابا من أبواب الديمقراطية قد فتح فى ايام جمال عبد الناصر بل كان الرئيس جمال بعد ان انتصر على الرئيس نجيب ووضعه فى منفاه يطبق النظام المكيافيللى بكل معانيه كما كان يطبقه هتلر وموسولينى وستالين فقد كان هؤلاء الزعماء لا ينامون الا وكتاب الامير تحت رؤوسهم ومع ذلك فانت عندما تسأل اى فرد من أفراد الشعب يقول لك هل بلدنا فيها ديمقراطية حقيقية ؟ فاذا اردت ان تستوضحه اكثر – قال لك هل هذه الانتخابات النسبية تودى الى ديمقراطية صحيحة ، وربما ذكرك بما قاله رئيس الوفد الجديد عندما قال ، (ان الديمقراطية لم تذبح فى عهد كما ذبحت الآن لكنا لم نرد ان نوجه السؤال الى السيد فؤاد سراج الدين عن الديمقراطية فى ايامه عندما وصل زعيم الاغلبية النحاس باشا الى رياسة الوزارة على اسنة الرماح الانجليزية وهل كانت الديمقراطية تبيح أن يقوم انصار هذا الحزب برفع السفود المحتل على الاعناق والهتاف بحياته ثم اذا كانت الديمقراطية ذبحت فى عهد الرئيس حسنى مبارك فكيف كان حالها فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ثمانية عشر عاما لم نسمع فيها صوتا لرئيس الوفد الجديد ، ولم يستطع ان يرشح نفسه او اى واحد من انصاره او يعلن عن وجود وفد جديد او وفد قديم – لماذا نحن نتعامى عن الحقائق ،

وننسى الماضى بهذه السرعة المذهلة من الذى فتح ابواب الديمقراطية اليس هو السادات ؟ ومن الذى انشأ المنابر وصرح بقيام الاحـــزاب على اختلاف مشاربها والوانها ؟ اليس هو السادات ؟

ربما قيل انه زج بزعماء السياسيين فى السجن

اقول ان هذا منطق يخالف الواقع لانه لم يزج بهم مــــــس السجون وانما وضع على صدورهم اوسمة ونياشين والدليل على هــــذا ان هناك اناسا لم يحتملوا السجن لحظة واحدة فذهبت على الفور زوجــة هيكل وهو قائد المتآمرين على الرجل الذى لم يقدم اليه اساءة فى حياته الامر لم يرد ان يكون العقوبه فى يده وطلبت هذه الزوجه من زوجـــــة الرئيس السادات ان يسمح له الرئيس بأن يأكل من يد طباخه وان تدخل له مياه فيشى المعدنية بدلا من مياه النيل وكانت كل يوم تدخل اليـــه المائدة من يد طباخه وعليها وردة حمراء فهل هذا يعتبر سجنا يا أولـى الرأى ؟ وهل يحق لمثل هذا ان يقول " انى سجنت " فى سبيل الوطـــن وفى سبيل الحرية اى وطن هذا الذى سجن فى سبيله هيكل اهو الوطـــن الذى كان يلهب ظهره بالسياط فى ايام جمال عبد الناصر؟ ام هو الوطن الذى تآمر عليه عندما حضر كيسنجر لفك الاشتباك الاول والثانى لا بل مغلوب فاذا كان رسول امريكا يريد فض اشتباك بيننا وبين اسرائيل فليذهب ســن كان فى الشرق الى الشرق ومن كان فى الغرب الى الغرب ام هو الوطـــن

الذى تآمر عليه فأخذ ضياع وأملاك رئيس تحرير الأهرام القديم وأصبح لديه بدل العزبة عزبتين ، وأخذ أرض الأهرام الجديد مقاحـــا دون ان يدفع لصاحبها اى شيء ، وأخذ شقته التى يسكن فيهـــا على النيل بالتهديد والوعد والوعيد ؟ ام هو الوطن الذى يضرب فى الزعيم الذى حرره ليلا ونهارا خشية ان يجيء اليوم الذى يعلــو فيه صوت التاريخ فتنكشف الحقائق وبذلك ينكشف ستره وتظهر عورتــه انى الفت نظر القارئ الى شيء واحد ان يتحرى عن طبيعـــــة الكاتب فاذا عرف ان الحقد يأكل قلبه ، ويعمى بصره فليضرب بما يكتبه عرض الحائط واما اذا ثبت ان الكذب هو أهم ما يتميز به فلا يضيـــع وقته بعد ذلك فى تتبع افكاره اوقراءة ما يكتبه .. وانا استطيــــع ان اثبت دون عناء امام القراء بان الحقد والكذب عاملان ملازمـــان لهيكل كظله .

أولا ثبت كذبه بوثائق رسمية لدعوة الرئيس محمد نجيب الى محكمة الجوزة وتاريخ القضية ورقمها معروف وذلك لان هيكل كتب فـــى جريدته افتراء صارخا على نجيب ايام ان كان جمال مسيطرا على السلطة وكان هذا الهيكل هو لسانه الذى يتحدث ويده التى تبطش كتب يقول فى جريدته ان حوارا تم بين رجال الثورة على اقامة برج القاهرة فقيل ان هذا البرج يحتاج الى ثلاثة ملايين فكيف نأتى بها ؟ فقيل انها موجودة قيل وكيف ذلك ؟ فقال ان امريكا ارسلت هذه الملايين مع احد ضباطها

الى مصر لمقاومة الشيوعية قبل ومن اخذها ؟ قالوا انه محمد نجيب فكتب هيكل فى الجريدة يقول وعندئذ ذهب جمال عبد الناصر الى محمد نجيب ليؤنبه على اخذ هذا المبلغ وكان ذلك فى الوقت الذى كان نجيب معتقلا وكتب هيكل هذه الرواية ارضاء لجمال وكان يعتقد ان نجيبا سيموت فى المعتقل وجمال سيبقى ولكن الله خيب ظنه لان جمال هو الذى مات قبل نجيب وخرج نجيب من المعتقل ورفع دعوى ضد هيكل وقال ان دليلا واحدا على كذب هيكل وعلى انى لم آخذ هذا المبلغ هو انى كنت فى المعتقل وقت ارسال هذا المبلغ وان الضابط الامريكى ذهب هو والضابط حسن التهامى لتسليمه الى جمال وهنا اسقط فى يد هيكل وذهب الى المحامين ليتوسطوا لدى نجيب على ان يتنازل وفعلا تنازل نجيب امام المحكمة بعد ان اثبت انه لا يريد ايذاء احد ولكنه يريد فقط ان يثبت للمحكمة نزاهته وشرفه •

الثانية — انه الف كتابا نشره له صديقه الصحفى الانجليزى حشاه بالافتراءات والاكاذيب وقال فيه انه حصل خلاف بين الفريق صادق والرئيس السادات حول حرب اكتوبر لان الفريق صادق كان يريدها حرب شاملة والرئيس السادات كان يريدها حربا محدودة من ازمة السادات كلف الفريق صادق وزير الحربية بالتعلية ٢٠٠ فأجابه بالا يجاب وأبلغه بان التعليه تمت فعلا فى الوقت الذى يحصل فيها شىء لان قائدا ممن

وأبلغه بأن التصفيه تمت فعلا فى الوقت الذى لم يعمل فيها شىء لان قائدا ممن كانت تسند اليه عملية التموين سأل الرئيس ما هو القرار وكان الواجب لو ان العملية انتهت ان هذا القائد أول من يعرف فقال صادق على الرئيس عندما رأى نفسه قد انكشف وقال له انا لم اخبره لانى اردت ان تكون المسألة سرية فقال له كيف تبقى سرية وهذا الضابط يجب ان يكون اول من يعرف ؟

وبعد صدور هذا الكتاب ونشره فى الخارج علم به الرئيس السادات وأنبه على كذبه فقال له هيكل دا انا اخذت منه ثمانون الف جنيه استرلينى فقال له السادات انا لا أريد ان اقطع رزقك ولكنى اريد ان يكون هذا الرزق من طريق شريف لا من طريق الكذب والافتراء .

ثالثا ـ اننا عرفنا انه عندما كان بجوار عبد الناصر كان هو الكل وهو القرار وهو كل شىء كان يتفق مع المخابرات الامريكية ليتبادل معها المعلومات على اعتبار انه مطلع على اسرار البلد بالنسبة لاتصاله الوثيق بجمال وقد ثبت هذا من الحوار الذى دار بينه وبين خروشوف واعلنته الجرائد وركب الطيارة وقتها وعاد الى مصر.

فتبين من هذه الحادثة انه كان يعطى معلومات بلده التى يعرفها بدقة لجواره الى عبد الناصر للعدو والذى كان يمول اسرائيل بالمال والسلاح وبكل شىء فى نظير عرض زائل اراد ان يخلبه على خروشوف ولكن خروشوف فضحه وهتك ستره ، ان هيكل اراد ان يشوه صورة فسيره حتى يتسلى الناس بالنظر الى هذا التشويه ولا ينظرون الى صورتـــه ،

ولكن انى له ذلك ودولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .

يلوح لى ان المثل القائل كل ميسر لما خلق له قد انطبق على هيكل تمام الانطباق فهيكل خلق للمكر والخديعة والتآمـــــر وقد يسر الله له ذلك الطريق ليصل فيه الى نهايته ، وقد خلقـــه الله ليعرف فنون التسلق وقد تسلق حتى وصل الى اعلى كتف فـــى الدولة وقد خلقه الله ليضمر الغل والحقد للناس ، ولقد دل علـــى ذلك قلمه الذى اظهر تلك النار التى تضطرم فى احشائه ، والغـــل الذى يتأجج فى صدره .

ان هذه الصفات التى يتمتع بها هيكل قد اعتدمت القيمة التاريخية لكل ما يكتبه .

وانى عندما اسرف فى تفسير ما أقول أحب ان اوضح للقراء بأنى لم اكن يوما منافسا له فى صحيفة ولا فى سلطة ، ولا عند أوليـاء نعمته — وعندما ادافع عن السادات اوضح ايضا للقراء بانى بصـــدد ان كتبت تاريخى هذا الذى بلغ اربعة عشر جزءا وكنت مؤمنا بوسائلـه وبالطريق الذى اتبعه ولم اخالفه الا فى شىء واحد وهو دفاعه عن سلفه وحمايته له من مهاجميه مما جعله يتحمل عنه كل سيئاته فللــــه اطلب مقابلته ولو لخمس دقائق وسكرتاريته تقف حائلا بينى وبين رغبـتى الى ان لقى ربه ولم يؤثر ذلك فى عقيدتى بل زادنى هذا تصديا لكـــل مهاجميه فى اى زمان ومكان مادام فى عرق ينبض ، وقلب يخفق .

وانا أعرف أن الرئيس السادات قد نبه على اسرته بأنها لا تعمل فى السياسة فليس من سلالته ولا من أولاده ولا من اسرته هذا الشخص الذى يقف فى مواجهة هؤلاء الناس الذين لم يكتفوا باغتياله ، وانما يريدون ايضا ان يهيلوا التراب على انجازاته التى ستظل على مدى الدهر عنوانا للحب والاخلاص لله والوطن ولذلك فان الرجل عاش حياته ليس له انياب ولا أظافر ولقد ارغمت السيدة زوجته الحزينة على الدخول فى هذا الميدان الذى حذرها هى وأولادها من الدخول فيه (ميدان السياسة) لانها لم تستطع ان ترى الناس تنهش فى زوجها وهو فى قبره ثم تغمض عينها ولا تتحرك للدفاع عنه وهى التى اخلصت له فى حياته وبعد مماته .

اما سلفه فلقد عاش حياته له انياب واظافر قوية ، وهو بعد مماته له مثل هذه الانياب وهذه الاظافر فلقد قيض الله له الرئيس السادات ليكون له مدة حكمه يدفع عنه اى مهاجم يريد ان يهاجمه كما اوضحت وكان اولاده وانسباؤه يتصدون لاى معتد بالهجوم عليه حتى اختصر الناس الطريق الذى يهاجموا منه الثورة فلم يجدوا أمامهم طريقا سهلا سوى مهاجمة السادات ومهاجمته حيا وميتا لانهم وجدوا ان اعماله بعد موته ستبقى سجلات ناصعة فى التاريخ لتلقى بهؤلاء المهاجمين فى مهاوى الزبالة ، وهم يعدون جميع وسائل التكنولوجيا الحديثة الى هذه القواعد الحصينة التى سبات

صاحبها وهى مازالت تقاومهم وتشهر عليهم الحرب الى يوم القيامة ولقد عرفوا تماما أنهم أعجز من أن ينالوا منها .

السيدة المفترى عليها

أو

مؤتمر المرأة العالمى والسيدة جيهان السادات

لقد كانت هذه الزوجة الفاضلة وراء زوجها فى انتصاره كما كانت وراءه فى محنته . وقد تكون المعاناة فى الانتصار اكثر منها فى المحنة ففى الانتصار يكثر الحاقدون والمغرضون الذين يتآمرون على المنتصرين ليخلعوا وسام النصر لهم . ويضعوه فوق صدورهم . أما المحنة فانها تذيب التنافس . وربما تجعل هؤلاء الحاقدين يحولون نظرتهم الى نظرة رثاء واشفاق . ويتركون صاحب المحنة لمحنته ويقولون كفاه ما أصابه .

والانتصار يدعو صاحبه الى الاسترخاء . واستسلام نفسه الى الدعة والطمأنينة بعيدا عن الخوف والحذر مما يمكن العدو الاجنبى والمحلى من النيل منه فى يسر وسهولة .

والسيدة جيهان السادات لم تسلم نفسها ولنفسها لنصر الى الدعة والراحة والطمأنينة . ولم تسلم نفسها الى الاحلام والامانى العذاب

كامرأة ، بل رأينا فيها من اول لحظة دق فيها جرس النصر نشاطا غير محدود ، فلقد كانت تمر على المستشفيات لتواسى الجرحى ، وتجلس اليهم لتناولهم الطعام بيدها ، ولقد كان هذا له تأثير البلسم فى جراح الجنود ، وتخفيف الآلام عنهم — ولقد أراد أحد الجنود ان يعبر عن شعوره نحو تلك العاطفة الحماسة طلب منها ان يقبل يدها فقالت له انت الذى تستحق ان نقبل يدك لان يدك هى التى ساهمت فى عمل هذا النصر ، وكانت اجابتها هذه بمثابة معلم يقف امام الناس ليعلمهم أدب التخاطب والمجاملة ، ولقد سمعت شخصيا من لواء طبيب وهو أحد أقارب أن زيارة السيدة جيهان السادات للمستشفيات كانت لها فوائد عظيمة جدا لان المستشفيات كانت تعرف انها على استعداد لاستقبالها فى اية لحظة ولذلك فان هذه المستشفيات بموظفيها وعمالها وممرضيها واطبائها ارتفعت الى مستوى المسئولية ، كما ان بعض الآلات الحديثة التى كان يتطلب شراؤها الاشهر العديدة كانت هذه السيدة الفاضلة تستعمل البرقيات فى طلبها فتأتى فى ساعات .

ونحن لاننسى ما ساهمت به مع زوجها من زيارتها الميمونة لامريكا وانجلترا وفرنسا التى تعتبر بحق رحلة الرخاء والسلام فاهمت معظم وقتها لزيارة مراكز التأهيل ودراسة آخر مستحدثات الجرحى والمصابين كما استجابت الى عقد المؤتمرات الصحفية والاحاديث

الاذاعية والتلفزيونية التى قدمت فيها وجه المرأة المصرية ونضالها وتطورها العلمى والثقافى والسياسى بكل الفهم للعقلية الامريكية والاوربية بلغة انجليزية رفيعة وكانها شهادة (بربارا) وهى اشهر معلقة تلفزيونية وامريكا وفى العالم الغربى حيث قالت "انها كثيرا ما استجوبت شهيرات النساء فى العالم كله ولكن حديثها مع السيدة جيهان السادات كان له امتياز خاص فى تلك برهاه وفى كل الحفلات الرسمية التى وجهت اليها مع رئيس الجمهورية فى البيت الابيض ، وفى وزارة الخارجية الامريكية ، وفى عواصم الولايات المتحدة الامريكية وفى قصر بكنجهام ، وفى دوننج استريت لم يخل خطاب القاه رئيس دولة او رئيس وزارة او نائب رئيس جمهورية او حاكم ولاية من كلمة تقدير كبير ، للسيدة المصرية الجليلة التى عرف العالم كله بجهودها ، وكان مظهرها المشرف المحتشم وسلوكها الرفيع فى كل مكان حلت به عنوانا جميلا مشرقا لتطور المرأة المصرية ولقد جاءت هذه الصورة التى رسمتها السيدة جيهان السادات فى وقتها المناسب اذ أن هذه البلاد التى كانت فيها كانوا يتصورون بأن نساءنا مازلن فى عصر الحريم ، وان تماسيح النيل تجرى فى شوارع القاهرة .

وعلى العموم فان مصاحبة السيدة جيهان السادات لزوجها فى رحلته تركت رصيدا ضخما للمرأة المصرية المفترى عليها ، والتى شوهتها الدعاية المعادية لبلادنا ، وهذه اول مرة نرى فيها شريكة

رئيس الدولة فى حياة الاسرة تشاركه ايضا فى مسئولياته العامة ، وعلى أرفع مستوى من المسئولية بعد صفية زغلول زوجة سعد باشا زغلـــول ، ومن المؤسف حقا ان بعض المنحرفين الذين اضلهم الله وأعمـــى ابصارهم بعد ان اسقط فى ايديهم ورأوا أن المستحيل الذى فرضوه لم تحقق ، ولم يجدوا الا الحديث عن ذهابه الى الدول الكبرى وغيرها للمباحثات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومصاحبة زوجته لـــه ولا أدرى ماذا يضيرهم من هذا وماذا يضير البلد ؟ هل هذه بدعـــة ابتدعتها مصر ام الدول كلها تسير على هذا النمط - استطيع ان أقول " ان المرأة مكملة للرجل ، وكما انها كثيرا ما يكون لها اثر فى العلاقات الاسرية ، فان هذا الاثر نفسه ينعكس فى العلاقات الدولية ، ولقـــد شاهدنا كيف قوبلت فى كل مكان دخلت فيه هى وزوجها بالتصفيـــق والاحترام وكيف كانت محادثات الرؤساء لهم يخيم عليها الجو العائلى . ان الواجب على هؤلاء المغرضين ان يقيموا لها حفلات تكريم لا أن يقابلوا اعمالها بالنقد والسخرية ، لانها لم تعمل الا كل ما يخـــدم الوطن ويرفع شأنه ، ولا تستغل زيارتها مع زوجها الا للبحث عن شـــئ جديد يخدم المجال الاجتماعى الذى تعمل فيه ، اما انهم يقولـــون انها تتدخل فى شئون الحكم فهذه سفاسف لا يتحدث بها الا من طمس الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة - ان البعض يرى أن يضـــع نفسه فى زنزانة مغلقة من الافكار الصماء حتى لا يرى ولا يسمع ، ولكنـــا

نقول لهؤلاء "انظروا الى الوراء قليلا هل كانت خزانة التاريخ يستطيع مخلوق أن يقتحمها ، او يعرف سرا من اسرارها ؟ هل كنا نسمع غير ما يدور من همس فى المجالس الخاصة ، وحتى هذا الهمس ان سلم منه الهامسون فان الشك يطاردهم ، والحاكم يتعقبهم .

واذا انتقلنا الى المؤتمر الذى نتحدث عنه فنقول ان السيدة جيهان السادات مثلتنا فى مؤتمر المرأة العالمى احسن تمثيل فلقد انعقد هذا المؤتمر فى المكسيك ، وكان فى الواقع عبارة عن مظاهرة نسائية ضخمة من اجل لفت انظار العالم الى حقوق المرأة ، وهو ايضا حدث دولى هام غطت اخباره جميع وكالات الانباء والاذاعات العالمية وكان هناك اكثر من الف صحفى من بينهم عدد كبير من الصحفيات — والمؤتمر لم يكن مقصورا على النساء فقط بل شارك فيه الرجال ، وعدد كبير من الوفود — كان رئيس الوفد فيه رجلا ، وكان هناك حوالى اربعة آلاف عضو فى الوفود وأكثر من مائة دولة مع مائة وخمسة وثلاثين منظمة غير حكومية فى العالم ، وجميع وكالات الامم المتحدة المتخصصة وممثلة حركات التحرير الافريقية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ولقد كان من الشخصيات الكبيرة التى حضرت بجوار السيدة جيهان السادات فى المؤتمر السيدة / بندرا نيكا رئيسة وزراء سيلان ، ومسز ماركوس رئيسة الفلبين ، والاميرة اشرف بهلوى اخت شاه ايران ، وفالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة للتنمية الاجتماعية ، وفالنتينا رائدة الفضاء السوفيتية

ولقد اثار وجود السيدة جيهان السادات مع وجود مسز رابين رئيسة وفد اسرائيل حماسة خاصة عند جميع مندوبى وكالات الانباء والصحف والتلفزيون ، وكان همهم الاكبر ان يحدث لقاء بين السيدة جيهان السادات ومسز رابين ليكون حدثا كبيرا فى المؤتمر وحاولة رئيسة وفد اسرائيل وهى تجلس فى الصف الخامس وراء السيدة جيهان السادات فى حفل الافتتاح ان تقوم بمحاولات مضنية من اجل لفت انظار الصحافة بعد ان ركزت كل الاضواء على وفد مصر وعلى السيدة جيهان السادات بالذات ، وظلت مسز رابين طوال ايام المؤتمر تدلى بتصريحات عن استعدادها الكامل للقاء السيدة جيهان السادات حتى تظهر للعالم رغبة اسرائيل فى السلام الا ان السيدة جيهان السادات اجابت بحزم فى كل مرة بانها لا يمكن ان تجلس مع انسان تحتل بلاده اراضى عربية وانه بدلا من ان تطلب مسز رابين اللقاء معى عليها ان تذهب وتقنع زوجها بانسحاب اسرائيل اذا أرادت السلام - وفى تصريح آخر لمسز رابين قالت : " انه اذا كانت القرارات من وضع النساء لما كانت هناك حروب فى العالم .)

وعلقت السيدة جيهان السادات بقولها : (ان اتخاذ القرارات ليست مسألة تتعلق بالجنس بل هى مسألة كفاءة وذكاء وشجاعة ، واذا كانت قرارات الحروب وقفا على الرجال فلماذا اذن قامت بها جولدا مائير ؟ وعندما سألتها مندوبة صحيفة الاكسلسيار المكسيكية (ان الاسرائيليين يتفاخرون

بشجاعة نسائهم لاننا نرى المرأة الاسرائيلية فى الصور حاملة المدفع الرشاش ، وتشارك فى الحروب ، وليس الامر كذلك بالنسبة للمرأة العربية فلماذا ؟ وردت السيدة جيهان السادات (نحن لانتباهى بحمل البندقية او المدفع الرشاش لان هذا سلاح يجب ان يحمله الرجال ، ونحن لدينا من الرجال ما يكفى لحمله •) ونحن نعمل فى صمت ولا نقوم بدعاية لانفسنا — اننا نساعد ازواجنا فى البيت وفى حرث الارض وزرعها ، وفى جميع ميادين العمل ، وفى الدفاع أيضا عن الوطن فمنذ عصر الفراعنة شاركت المرأة المصرية زوجها فى العمل ، ونحن الآن لدينا تدريب عسكرى اجبارى بالمدارس الثانوية والاعدادية استعدادا للطوارئ ، والواقع ان رد السيدة جيهان السادات على مستر رابين كان قمة الدبلوماسية ، وكانت جميع لقاءاتها تقدم صورة مشرقة ، ومثلا اعلى للمرأة المصرية •

ولقد حصلت مفاجأة مشرقة لنا وللعالم العربى اذ الاغلبية الساحقة فى المؤتمر صوتت ٤ مرات بادانة الصهيونية فقد تمت الموافقة على البيان الختامى الذى اطلق عليه (اعلان مكسيكو) بأغلبية ٨٩ صوتا فى مقابل صوت واحد هو صوت اسرائيل — وامتناع ١٩ دولة غربية عن التصويت •

ويتضمن هذا الاعلان قرارات كاملة تدين الصهيونية ، وتعتبرها الى جوار الامبريالية والاستعمار الجديد ، والاحتلال الاجنبى والتمييز

العنصرى الذى يعتبر من العقبات غير الانسانية التى تحول دون تحقيق المبادرة التى انعقد من اجلها المؤتمر ، والتى تتعلق بتقدم المرأة والتى يهدف نضال المرأة الى تحقيقها .

ولا ننسى ان السيدة جيهان السادات عندما كانت تشارك زوجها فى مقابلة رؤساء الدول مع زوجاتهم كانت بشخصيتها الرائعة تضفى على هذه المقابلات جوا عائليا رائعا له اثر كبير فى تدعيم الصداقة والارتفاع بمستوى المفاوضات بين الطرفين الى المصارحة الكاملة الخالية من كل لبس او غموض ، وانى اذا كنت تناولت السيدة جيهان السادات بشىء من الافاضة فانى مهما افضت فانى لن اوفيها حقها .

حول المنابر

المنابر هى ترجمة حقيقية للحزبية ولقد اراد الرئيس السادات ان يفتح ابواب الحرية بهذه المنابر لتكون هى السلم الوحيد الذى يصعد عليه كل من يريد ان ينشىء حزبا ليدخل به ميدان السياسة لتضفى على اصحابهم صفة الزعامة التى تدفعهم الى ان يصولوا ويجولوا فى ميدان السياسة من ورائها ، وتمكنهم من ترشيح انفسهم بهذه الصيغة لرياسة الجمهورية ولم ينس بذلك الرئيس السادات انه فتح على نفسه بابا سيصيبه منه نوما بعد وستكون هى الحرب الضروس التى لم يقدرها ، ولم يحسب حسابها ، وانسى

لا أكون مسرفا اذا قلت بان هذا هو الباب الذى ظلت تهب عليه منه الرياح العاتية حتى نفت عليه ، واقتلعته من مكانه وهو فى اوج عـــزه وعظمته والواقع ان الله سبحانه وتعالى اراد بحرب ١٩٦٧ ان يؤدبنا على الانحرافات التى مارسناها فى تلك السنين التى سبقت هذه الحرب وامتدت الى ما بعدها فكان ذلك درسا مؤلما لم ينقذنا من آثاره المريرة الا ذلك الرجل المؤمن الذى جاء فصحح المسيرة ، وخطط لحـــــرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ التى اجمع خبراء العالم العسكريون شرقيون وغربيـــون على انها كانت من الخيالات التى يرفضها المستحيل والغريب ان العرب من طبيعتهم انهم لم يجتمعوا الا ليفترقوا ولكن فى بداية هذه الحـــرب بالذات جمعهم الله جل شأنه على كلمة واحدة وكان على رأس العرب فـى ذلك الوقت الملك فيصل الذى اودع السادات سره فى صدره ، وظل الملك فيصل هو الرجل المخلص لمصر الى ما بعد هذه الحرب وتآمر عليه مخلـــب القط (القذافى حتى زج اليه بشخص مجنون من اسرته ليقتله وهو جالس فى مقر حكمه وتبدل الحال بين العرب وبين مصر بزعامة سوريا والقذافى والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وطبيعى بان روسيا لم تنس ذلك الموقف لمصـر الذى اخرجت به خبراؤها وكانوا يكونون جيشا كبيرا يبلغ عشرين الفــــــا ويسيطر على البلد سيطرة تامة فكانت هذه الزعانف تأتمر بأمرها وظهر ذلك واضحا وجليا عندما ارادت مصر ان تفتح الطريق الى جنيف فكان كلما تقدم العرب اليه خطوه رد تهم روسيا عنه خطوتين وكانت مصر بعد حرب اكتوبر فـى

اشد حالات المعاناه اقتصاديا لانها كانت تريد ان تعوض السلاح الذى فقدته فى هذه الحرب كان تريد ان تدفع تعويضات الشهداء والجرحى — والشعب كان يرى روسيا تطالبنا بديونها دون ان تجدول هذه الديون حتى الديون العسكرية كان يطالب بفوائدها وهذا غير جائز والرئيس السادات فى هذه الحالة حائر لا يستطيع ان يقول للشعب (شدوا الاحزمة على البطون لان الزعماء فى عهد الاحتلال عودوه على ان يتقربوا الى اى طائفة من الطوائف التى لها قدرة على الكر والفر فى مجال الانتخاب ان يمنحوا أفرادها علاوة او درجة ويمثل ذلك فى قرارات الانصاف والتنسيق والتيسير قرارات ماقبل ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢.

مع العلم كان السادات لا يعذره أحد عندما يعرف انه واجه خزينة مفلسة قبل قيام الحرب وقابل خزينة اشد افلاسا عندما أراد أن يدفع تعويضا لشهداء الحرب وجرحاه وكان يدفع هذه التعويضات بسخاء حتى تجعل الشعب لا يكفر بالوطنية ويمسح ذلك المثل من امامه الذى يقول (الشعوب الجائعة لا تؤمن بالمثل العليا وقابل دولة هى روسيا تضغط عليه وتطالبه بديونها وفوائدها حتى الديون العسكرية منها — كان السادات فى مواجهة هذه العوامل يستطيع ان يصارح الشعب ويصدر القرارات بوقف العلاوات والترقيات لمدة خمس سنوات على الاقل ولا أحد يلومه ولكنه تمشيا مع طبيعة الشعب ما عوده عليه زعماؤه فى الحالات

العادية ان يطبقها هو ابضا فى الحالات الاستثنائية فيعد هم بمنح وعلاوات ودرجات بلغت فى معظم الاحوال الى ان ارتقى راتب كل موظف وصاحب معاش فى عهد السادات الى ضعف راتبه وفى كثير من الاحوال الى ثلاثة امثاله حتى اصحاب المعاشات الذين كانت تنظر اليهم الدولة على انهم لطعموا صلتهم بها فلا يطبق عليهم ما يطبق على الموظفين من منح وعلاوات ودرجات أصبحوا مساويين للموظفين فى كل شئ حتى العامل الذى كان مقررا لعلاوته نصف جنيه كل سنتين او ثلاثة اصبحت علاوته التى تمنحها له الدولة عشرة فى المائة وعشرين معا بتقاضاه فى المعاش بحيث تبلغ هذه العلاوة فى بعض الاحوال عشرين جنيها حتى الارامل الذين لم يكونوا من قبل فتح الرئيس السادات عليهم مظلة التأمينات حتى شملتهم جميعا ، واصبح هذا الشعب الذى كانت تنطبق عليه تلك العوامل الثلاثة (الجهل ــ الفقر ــ المرض) الغيت كل هذه العوامل من قاموس الشعب المصرى ــ واصبح الذى يريد ان يخرج زكاة اى زكاة ليبحث عمن يستحلها بالمنظار الفاحص فلا يجد هذا المستحق •

ومع ذلك فلقد اعان الله السادات على سداد كثيرا من ديون تلك الدولة الشاقطة عليه •

فأعلن رسميا اننا سددنا مما اقترضناه فى عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٤ ثلاثة آلاف مليون وماتين وتسعة وثلاثين مليونا من الجنيهات وهذا

مبلغ كبير جدا ما كنا نستطيع ان نسدده لو بقى الحال كما هو وان العون الذى كانت تمدنا به الكويت والسعودية فى هذه الحالة لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو مائة وعشرة مليون دولار كما أعلن ذلك السيد / محجوب رئيس وزراء السودان .

واذا رجعت الى الحديث عن المنابر فانى أقول : لم اكن متجنيا على الحقيقة عندما تناولت الرأى العام فى تعليقى فى الجزء الثانى من كتابى (تطورات السياسة المصرية فى الميزان) وهو الذى ينتهى بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأثبت فى تحليلى ان الرأى العام او بمعنى ادق الاغلبية اذا لم تكن داعية وتنحاز فى تأييدها الى شخص معين نتيجة لدعاية ناجحة فان هذا التأييد يخلق دكتاتورية تكون اكثر ضراوة ، واشد ايلاما من تلك الدكتاتورية القائمة على الاغلبية اذا كانت فى الحكم تبطش بمن تريد وهى آمنة من مؤيد يهما بانهم سيسوون الحساب ، ويطلقون اجهزة التشويش ليزينوا الحق باطلا ، والباطل حقا ، ولا يكفى ان ينتصر الحاكم لنفسه من الخارج عليه وانما يضاف الى ذلك تسفيه هذه الاغلبية لهذا الخارج ، وتحقيرها اياه ، فيعيش منزويا فى الوسط الذى يعيش فيه يساوره الخوف والانفعال والاضطراب . فاذا كان تاجرا قاطعته هذه الاغلبية مقاطعة علنية ، وساعدها هذا الحاكم الذى يمثلها بأساليب خفية حتى تكسد تجارته ويعلن افلاسه ، واذا كان موظفا لا يتورع زملاؤه الذين يحملون رأيه الاغلبية من ان يلفقوا له اتهاما للايقاع به وطرده من وظيفته والتحقيقات

تأخذ مجراها ، وهو لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ضرا ، والحاكم لا يلام على شيء فعله لان الشعب هو الذى الصق به الاتهام ، ولقد رأينا فى عهد ماقبل الثورة ان الحاكم او زعيم الاغلبية كان يسترك تأديب الصحافة المعارضة الى مؤيديه من الاغلبية فتقوم مظاهرات التأييد التى تذهب الى دار الصحيفة لتحطيمها ، وكل ما يوجه الى الحاكم فى هذا الوقت انه تهاون بعض الشيء فى حراسة هذه الصحيفة او وضع عليها حراسة عادية فى الوقت الذى كان يجب ان تشدد عليها الحراسة .

ولقد رأينا فى عهد ماقبل الثورة ان المعارضة عندما تتناول موضوعا بالنقد فان الاغلبية تقلب هذا النقد على صاحبه ، وبدلا من ان يكون هذا النقد صحيحا ١٠٠٪ فان الاغلبية تزيفه تقلب الحقائق ويصبح هذا الناقد هو المخطيء والحاكم هو المصيب ، ويكون هذا الناقد هو المارق الخائن ، والحاكم هو الرجل الوطنى الساهر على مصلحة بلاده ــ والعامل على راحتها وسلامتها ــ وانى ابتعد عن ذكر التفاصيل لانى لو ذكرتها لاضطررت الى اعادة ما اوضحته فى الجزء الثانى .

اما ما رأيناه فى عهد الثورة فانها لم تكن الا ما رأيناه قبلها رأينا عبد الناصر يعلن انه يمقراطية بادىء ذى بدء كما يحدثنا عن ذلك الرئيس أنور السادات فى كتابه ثم يغضب ويتصالح حتى يتولى

عبد الناصر زمام الامور فيطيح بالديمقراطية الى هوة سحيقة ولا يكون امامه سوى الدكتاتورية يطبقها قولا وعملا بل يسبق فى تطبيقهـــا البلشفيه والفاشستية لان هؤلاء كانوا يكتفون فى تطبيق الدكتاتورية بالقتل والاعدام اما عهد عبد الناصر فلقد تفنن فى هتك الاعراض قامت هذه الدكتاتورية بجوار هذه الدعاية الطويلة العريضة فغطت على هذه الدكتاتورية ولم يظهر منها بصيص لاى مواطن عادى ، ولقد قال الاستاذ مصطفى امين فى مذكرته انهم كانوا يأتون بالكلاب المدربة على نكاح الادميين ليمكنوا الكلب من الشخص المعتقل حتى يهتك عرضـــه ويأتوا بالنساء لتهتك اعراضهم امام رجالهم ولذلك عاش جمال لا تؤرقه سمعه معارضه ، ولا يؤذ به موقف سلبى من اولئك الذين يتشدقـــون بالديمقراطية .

وأنا فى الواقع لا أؤيد هذه الديمقراطية الفوضوية وبالتالى لا أؤيد هذه الدكتاتورية المجردة من كل انسانية أو رحمة .

الدكتاتورية فى يد السادات

لقد كانت الدكتاتورية فى يد السادات دكتاتورية ليس لهـــا انياب ولا اظافر فهى قبل ان يعلن من المنابر وتكوين الاحزاب ، تـــان الشعب يخضع لان تحركه ليعلن الثورة فى وجهه ، وكان ذلك بعـــد أن الغى المصادرة والحراسات واخرج المسجونين والمعتقلين من سجونهم

ومعتقلاتهم — رأيت طلاب الجامعات تحركهم الايدى المتآمرة على عمل المظاهرات والامتناع عن الدروس ، وتحريضه العمال على القيام معهم والتعرض لوسائل المواصلات بالتخريب فى الوقت الذى بدأ الرجل عمله بغلق السجون والمعتقلات ، وابطال المصادرة والحراسات و لا يستطيع أن يفسر احد ذلك الا بانهم يريدون ان ينتقموا من سلفه فى شخصه لان سلفه لم يمكنهم من الانتقام منه — ثانيا — ان السادات كان يردد دائما بانه شريك لعبد الناصر فى الحكم فلم يفهموا انه كان يلقى هذا التفسير على سبيل الوفاء لمن ضمه الى اعضاء الثورة ومن انابه عنه — ولكن التاريخ عندما يكتب لا بد ان يحاسب كل انسان على عمله قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) وقال جل شأنه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) (وان ليس للانسان الا ما سعى) قامت المظاهرات والفت مضجع الرجل وهو مشغول بالتخطيط لحرب اكتوبره ولكنه لا يريد ان يفصح خوفا من ان يعرف نواياه ذلك الضيف الثقيل الذى لا يستطيع ان يخرجه والقذافى ومستشاره هيكل لهم مآرب فى هذه المؤامرات والمال فى يد القذافى والتوجيه والقلم موجود فى يد هيكل — كان الواجب على السادات وهو يخطط لحرب التحرير ان تستمر القوانين العارية سارية وحتى فى وجود هذه القوانين كان السادات لا يطبقها معتقدا بأن الشعب لا بد ان يقدر عمله لان الرجل لم يسىء الى مخلوق . بل بالعكس

كان يصلح ما أفسده الدهر او ما أفسده سلفه .

لقد استطاع عبد الناصر بتلك الدعاية التى كان يقوم بها دعاته ليلا ونهارا ان يصم الآن بعض الانصار عن مناصرته ومبادئه وينسى الشعب ذلك المعبود القديم المسمى بالوفد فأغلق خزائن التاريخ وقطع كل صلة بين هذا الشعب وذلك المعبود ولم يبق هناك اى صلة تربطه به سوى اولئك المسنين الذين كانوا يجرون فى الشوارع لا يعرفون رؤوسهم من ارجلهم — واعتقد جمال انه بذلك قد قضى على تلك الاغلبية التى تتساوى عندها العقيدة الحزبية بالعقيدة الدينية وانه فى استطاعته بعد ان نحى زعماء هؤلاء الاحزاب ان يقيم حياة نيابية بانتخاب مباشر تسفر عن نواب يرتضيهم ويطمئن اليهم — عندئذ رشح جمال كثيرا من اعضاء الثورة والمنتمين اليها .

هل سار جمال فى طريق الديمقراطية

الصحيحة لارساء قواعد انتخاب المجلس الجديد

برغم ان جمال عبد الناصر احاط نفسه بكل الضمانات التى تطمئنه على ان اغلبية الشعب قد نسيت معبودها وهو الوفد فشطب اسماء زعمائه من قوائم الانتخاب وصادر أموالهم وحدد اقامتهم الا أن الشعب كان مازال على عهده القديم . ولما كنت انا ممن يراقبون الموقف عن كثب . وكنت اعرف تغلغل هذه العقيدة عند الشعب . وأعرف ايضا بان الثورة كان من اهم عوامل نجاحها هو عدم وجود التحاسر زعيم الاغلبية

في مصر وقت قيامها لانه لو حصل ذلك لكان الملك فاروق استنجد به ولا ستجاب الى استغاثة الملك في الحال واصدر بيانا الى الشعب وحدث في الامور اموولان النحاس رغم مجافاة الملك الا انه كسان يخطب وده باية صورة والدليل على ذلك ما حصل من النحاس يوم تشكيل وزارته بعد انتخابات حسين سرى والملك حاقد على حصول النحاس على الاغلبية التى اهلته لتشكيل الوزارة اذا به يفاجيء الملك فساروق بانه لا يريد منه الا ان يعطيه يده ليقبلها .

لقد عرفت عن طريق حاستى السياسية ان الشعب يتربص الدوائر بهذه الثورة وانه يبيت لها امرا خطيرا وقت الانتخاب اذا ما اطمأن رجال الثورة وادارو الانتخابات بحرية .

ما هي النصيحة التي ذكرتها لسكرتير عام هيئة التحرير؟

قد هبت الى الدكتور الطحاوى سكرتير عام هيئة التحرير وكسان وقتها يقال له (الصاغ الطحاوى) وهو اللقب الذى كان يحمله في الجيش وكانت قد ربطتنى به معرفة وثيقة من ناحية الفكر ووجهت اليه سؤالا خطيرا لم يستطع ان يوجهه اليه احد غير لثقته في ولانه كان المشرف على ادارة الناحية الانتخابية قلت له : _ هل الانتخابات القادمة ستكون حرة ؟ فقال طبعا . قلت له اذن فكل عسكرى يحمل رتبة من الجيش على كتفسه يجب ان يذهب الى بيته ويستريح من الآن اذا كان مرشحا في هسذه الانتخابات فقال لى هذا كلام خطير كيف تقوله فقلت له : " انا علسى استعداد لان تذهب معى الى جمال عبد الناصر لاقوله امامه واثبت لسه

بالدليل القاطع . وذكرت له احد اثنا جرت امامى وقلت له فى استطاعتك وانت رجل يبين يديك مباحثك ومخابراتك ان تحقق ما أقول . فأرجأنى الى ان ينتهى من مقابلاته ، واخيرا طلبنى أن اركب بجواره فى سيارته لتمر من طريق منزلى ، وفى اثناء ذهابنا قال لى لا تخف علينا فنحن نوارب الباب لنرى من خلاله من لنا ومن علينا ثم نغلقه ثانيا ، وأنسا وقتها طبعا كنت أشفق على الثورة أن تتنكر لان العقيدة الحزبية التى كانت متغلغلة فى الشعب كانت عقيدة مقلوبة .)

ثم عرفت يوم اجراء الانتخابات بان الثورة اتفقت على علسق الدواخل فأغلقت الدوائر على كل من ترى فيه الثورة بانه موال لها وأمرت كل من هذا هم باسترداد تأمينهم ليستريحوا فى بيوتهم وهكذا كانت انتخابات أول انتخابات للثورة .

هذه هى الديمقراطية التى لم يذكرها الذين هاجموا السادات عندما سمح لهم باقامة منابر وتكوين أحزاب .

لماذا سمح السادات باقامة منابر وتكوين الاحزاب

وهو يعلم ان العواصف ستهب عليه من ناحيتها ؟

ان السادات كان يريد ان يعالج قضية بلده باخلاص بمعنى انه كان لا يريد ان يبنى المجد لبلده وعرف انه لا يمكن ان يبنى المجد لنفسه الا من طريق بناء هذا المجد لبلده اولا وأخذ شاهدا من سلفه فلقد قضى سلفه ثمانية عشر عاما فى صراع مستمر بين الشعب والاخوان

المسلمين وبين زملائه أعضاء الثورة الذين شاركوه فى قيامها وانتهى بان المكاسب التى حصلت عليها تعرضت فعلا للزوال قبل وفاته وتحقق لروسيا ما كانت تتمناه من أن عبد الناصر اسند الى روسيا بعد النكسة ان تدافع عن البلد ، وان تكون هى المتحدثة عن مصر وعن القضية العربية أمام امريكا بلسان مصر ، وان النكسة التى نكبت بها مصر ومرغت جباهها فى الوحل والطين ، واضاعت كرامة مصر وكرامة جيش مصر قد جعلت عبد الناصر لا يرفض لهم طلبا بل عين رجلهم على صبرى رئيسا للوزراء ، وكل ارادوا ان يضعوه فى اى موقع لم يخيب لهم طلبا ، بل ذهب الى أبعد بأن طلب منهم أن يعلن انحيازه لروسيا ويضرب بمركزه فى دول عدم الانحياز عرض الحائط ، ولكن الروس لم يعجبهم هذا وقالوا له : (ان احتفاظك بثقل مركزك فى دول عدم الانحياز يفيد لنا اكثر مما تنفصل عن هذه الدول) .

وعليه فان السادات بعد ان تخلص من مراكز القوى وأراد أن يواصل السير نحو استرداد حريتنا التى ضاعت وارضنا التى سلبت ، وكرامتنا التى اهدرت ، وجد انه لا يمكن ان يسير قدما فى هذا الطريق الا بمعاونة الشعب ، ورأى ان الجفوه التى بين الثورة والشعب يجب ان تزول فاغلق المعتقلات والسجون والذين تآمروا عليه من الشيوعيين وغيرهم ممن يعملون فى الصحافة وكان قد ابعدهم عن مواقعهم رده‍م

ثانيا الى مواقعهم قبل ان يقدم على انجازاته ، واعتقد هؤلاء الناس انه عمل هذه المصالحة معهم من ضعف لا عن قوة ، ولكنه فى هذا الوقت كان يخطط لحرب اكتوبر ليقف على اول سلم الانجازات التى يريد ان يحققها ، ولم يعبأ بفهم المتآمرين له او عدم فهمهم فالمسألة الامر هو اخلص وجهه لله وللوطن وكفى .

هل كان استعداد السادات لحرب اكتوبر انتحارا أم نتيجة لافكار مدروسة ؟

لقد عرف الرئيس السادات وتأكد أن الروس لم يكونوا جادين معه فى تحرير الارض بدليل تلك البطاريات التى طلبها منهم للدفاع بها عن المنشآت العاربة فى القناطر اسنا ونجع حمادى ولم يرسلوها وبدليل عامل الحسم الذى أخبر الروس به وأعد لهم قوائم من السلاح تحتاج اليها هذه العملية ، ولكنهم ماطلوه ولم يرسلوا اليه شيئا ليكون اضحوكة امام الشعب وأمام العالم ، ويظهر بأنه تواكل لانفصال ، ولكن السادات عندما تحمل هذا واجه الروس بسرد حاسم فما هو الرد .

طرد الخبراء الروس

عندما تأكد له ان الروس تتربص به الدوائر طرد جميع

الخبراء الروس وكان عددهم يتجاوز السبعة عشر الف خبير روسى فى جميع المجالات الاستراتيجية وما دام ينوى ان يحارب اسرائيل فانـــه رأى ان بقاء هؤلاء الخبراء بمصر يكونون شوكة فى ظهره ـ ثانيا عنـــد الانتصار سيسند هذا الانتصار اليهم لا الى مصر ، ولقد اثار طـــرد هؤلاء الخبراء ثورة فكرية عند الروس وعند الامريكان فالروس قالـــوا ان هذا كان هو الحائط الذى تستند اليه مصر وما دام قد ازالـــه فلا بد انه يريد ان يستبدله بحائط غيره لا يقل قوة عن قوته وانتظـــر الامريكان ان يأتيهم رسول من مصر ، ولكن شيئا من هذا لم يحصـــل ، وقد هلت روسيا ورد السادات على هذا بقوله " ليس من شيمتنا ان نطعن الصديق فى ظهره •) وعندما زار كيسنجر وزير خارجية امريكا مصر قال للسادات (لو انكم طلبتم من امريكا ثمنا لنظير هذه الضربة لما توانـــت امريكا ولكنى اعتقد ان الثمن كان لا يرضى مصر لان صلف اسرائيل وكبرياءها هما كان يجعلها دائما تصر على (نظرية الامن) التى تتمسك بهـــاه والتى تجعلها لا تفرط فى اى مكان استراتيجى فى سيناء" •

لذلك فان الناظر الى هذه التصريحات التى يصرح بها السادات بان الحرب آتية لا ريب فيها لا يشك لحظة فى ان هذه التصريحات للاستهلاك المحلى وعندما عرف السادات بان الفريق صادق وزير الحربية لم ينفذ أوامـــره بالتعلية • • ٢ التى امره بها ولا يأخذها مأخذ الجد ، واعتقد ان هذا كـــان

له صلة وثيقة بصداقة هيكل له لان هيكل كان كالاخطبوط يريد ان تكون له صلات بجميع المراكز المتنفذة حتى انى لا أبرىء هيكل من انسلاخ اسماعيل فهمى عن السادات عند زيارته للقدس ولكن المثل يقول (رب ضارة نافعة) فاتفق الرئيس السادات مرا مع المشير أحمد اسماعيل على ان يكون جاهزا لوزارة الحربية .

كيف جهز الرئيس السادات لحرب اكتوبر أمام الموانع ؟

لم يخف على السادات ان اسرائيل اتخذت من سيناء حصنا منيعا لها حتى اطلقت عليها نظرية الامن التى لا يمكن المساومة عليها ـ فكانت القناة مانعا طبيعيا كبيرا لا يمكن اقتحامه سيما وان شواطئها حادة وليست مستوية فعززتها بأنابيب غازية تفتح صنابيرها ولت اللزوم لتجعلها شعلة ملتهبة تلفح على كل من يحاول عبورها ـ كذلك وضعت على حافتها ساترا ترابيا عاليا فى العلو يبلغ مداه اثنان وعشرون مترا وتبلغ كثافته تسعين مليونا من الامتار المكعبة وأقامت على رأسه خطا اسمه خط بارليف على غرار خط ماجينو الغربى وخط سجفريد الالمانى وهذا الخط مزود بجميع وسائل الراحة مزود بفوهات المدافع التى تطل على القناة وعلى محافظاتها وكل مدفع يجلس خلفه اسرائيلى وسن

وراء هذا كثبان رملية تحميها الطائرات ، ثم الممرات التي لا يستطيع ان يفلت منها جندي واحد ، فهي كالمصيدة او المصفاة — اطمأنت اسرائيل الى هذه التحصينات ، واستحدثت لغة جديدة في التخاطب الدولي تقول (بنظرية الامن) او الحدود الآمنة ، ولذلك عندما بدأ روجرز مبادرته ، ورأت اسرائيل انه يريد فعلا ان تعقد اسرائيل اتفاقا مع مصر حتى ولو كان هذا الاتفاق في جانب اسرائيل كان صلف اسرائيل وكبرياؤها يدفعها الى الرفض وقد استعملت اسرائيل ، أو بمعنى أدق جولدا مائير رئيسة وزرائها مع روجرز اسلوبا غير مهذب جعله يستقيل من وظيفته كوكيل لوزارة الخارجية الامريكية .

وجد الرئيس السادات ان اسرائيل تريد ان تفاوضنا مفاوضة الغالب للمغلوب حتى ان كسنجر الذي جاء بعد روجرز عندما حاول هو الآخر دخول مصر في مفاوضات مع اسرائيل — قالت له جولدا مائير ماذا يعنيك من أمر هؤلاء العرب اننا نعرفهم اكثر منك انهم جثة هامدة فلا يمكن ان تتحرك ولا بعد خمسين عاما .

هنا عرف السادات ان مفاوضاتنا مع اسرائيل لا يصح ان تجيء من موطن ضعف ، وما دامت اسرائيل تعرف اننا جثة هامدة فلابد لنا ان نتحرك وان نشعر اسرائيل باننا لا يمكن ان ننام على ضيم لنا .

من هنا كان التحضير لحرب اكتوبر — ولما كانت هذه المواقع

التي نواجهها من المستحيل التحامها من هنا ايضا كان الخـــداع والتمويه الذى خلقنا فيه ضد اسرائيل •

ولذ لك عندما قامت الحرب ، وا ستنجدت جولدا مائير بامريكا ويكث ذكرها كيسنجر بما قالته عن مصر بانها جثة هامدة وقال لها : (ان امريكا ليس عندها طلبات اسرائيل ولكنها ستدبر هذه الطلبات مـــن الاحتياطى ولم ينس ان نبه عليها بانه ليكن فى علمك ان تعتبرى نفسك مهزومة من الان بمعنى انه عندما تتاح الفرص للمفاوضة لا تذكر ما سبق ان ذكرته من قبل •

ولما جاء كيسنجر الى مصر وقت حرب اكتوبره وقابل الســـادات واراه الموقف على حقيقته ، وبين له ان الثغرة ما هى الا ظاهرة تلفزيونيــة وان مصر تستطيع القضاء عليها فورا ـ فقال له كيسنجر اذا اردتم ان تسيروا فى طريق الحرب فان امريكا لا يمكن ان تترك اسرائيل وحدها فسألـــه السادات اذن ماذا تريدون ؟ فقال كيسنجر (السلام) (أو المصالحـــة) وهنا نظر الرئيس السادات الى الموضوع بنظرة فاحصة وقال له (أنا موافق ، واقنع كيسنجر الرئيس الامريكى بان مصالحة مصر مع اسرائيل هى فى صالح امريكا لان امريكا تساعد اسرائيل فى سبيل ان اسرائيل تقضى على المـــد الشيوعى ، ومصر الآن لا تخضع لروسيا ولا تسلم لها زمامها وقد سقطت الورقة التى تلعب بها روسيا مع العالم العربى بحجة انها تتكلم بلسان مصــــر وجاء كيسنجر فى رحلات متكررة بين مصر واسرائيل وامريكا وسميت برحلـــة

(المكوك) وبرغم ان روسيا استطاعت سوريا الا انه تم فشلا شاملا لان الاول ووقفت سوريا موقف المعارض في كل شيء ٠

وقد رأى ان تذهب الدول المتنازعة جميعها الى جنيف ٠ وعندما رأى السادات انهم جميعا كلما قرب الطريق امامهم الى جنيف ابعده روسيا باستقطابها لهذه الدول العربية التي وضعتها في جيبها - وفي نفس الوقت كانت ترى اسرائيل من ناحية اخرى انها لا تريد من امريكا ان تفتح لمصر صدرها ٠ فصارت توحي الى امريكا بان العرب لا يريدون مصالحة ٠ وانما يريدون حربا وقد كانت فعلا متعطشة الى الحرب لتأخذ بثأرها ٠ وفي نفس الوقت تمنع امريكا ان تمد مصر باية معونة علما بانها عرفت تماما ان العرب تغير موقفهم مع مصر بعد الحرب ٠

رأى السادات كل هذا فقام بمبادرة القدس التي غيرت جميع المفاهيم في العالم ٠ ولكن وزير الخارجية اسماعيل فهمي في غمرة هذه المظاهرة التي قامت من العرب والفلسطينيين ضد السادات ٠ وضد هذه الفكرة اعلن عدم موافقته على المبادرة لانه غير مقتنع بها ٠ واعتبر ذلك خذلانا للرئيس السادات لم يزعزع هذا فكره ٠ وطلب منه ان يقدم استقالته مادام غير موافق على فكره ٠

هل كان تخلف وزير الخارجية عن ذهابه مع السادات نصر للسادات أم هزيمة له ؟

لقد كانت اى مبادرة ضعيفة ضد ذهاب السادات الى القدس مرتكزير

شكوكا قوية وتغيير مفاهيم سائدة ولكن الواقع ان القدر أراد ذلك لان المبادرة عندما تنجح وقد نجحت فعلا يسند الناس نجاحها الى وزير الخارجية على اعتبار ان التفكير فى موضوع كهذا يكون من شأن وزير الخارجية نفسه ثم يعرضه على رئيس الجمهورية ليوافق عليه ولكن المسألة هنا جاءت بالعكس اذ أن الفكرة نبتت فى رأس السادات والذى لم يوافق عليها هو وزير الخارجية فالقدر هنا اراد ان يسند الفضل الى صاحبه وهو السادات اما المعارضة التى تاهت عقولهم ومازالوا يبحثون عنها ولم يجدوها فاننا لا نناقش الذين يركبون رؤوسهم لان اناسا مازالوا تائهين فى صحراء التيه بعد ما وضحت الرؤية ، وظهرت الحقيقة ، وبعد ما استولت مصر على سيناءها وانفاقها ومزارعها وسادتها وبترولها ومعراتها ، ومطاراتها ورأيت احد هؤلاء الحالمين يناقش صحفيا كبيرا فى مجلة اكتوبر ويقول له ، هلا كان من الافضل ان ننقذ جنوب لبنان ، وان نمنع ذلك التمزق الذى يسود العرب الآن فى كل مكان ونرجئ سيناء حتى تكون مصر بجانب اخواننا العرب .

ليت شعرى كم كنت اود ان اكون مجردا من العقل حتى لا يورثنى هذا المنطق .

هل الاستيلاء على سيناء هو الذى مزق العرب ، وفرق شملهم ام ان هذه هى طبيعتهم ، وكانوا يريدون ان تشاركهم مصر هذا التمزق؟ وهل كانت مصر تستطيع ان تساعدهم وهى تحت وطأة الاحتلال وسيناء

حبيسة عنها والقناة معطلة ومحافظاتها مهجرة اكثر وهى محررة ارضها ومحررة قناتها ، ومحرر اقتصادها ؟

هل كان استهلاؤنا على سيناء هو الذى جعل ايــــران تضرب العراق والعراق تضرب ايران ؟ هل كان استهلاؤنا على سيناء عن طريق كامب د يفيد هو احدا بالرئيس السورى حافظ الاسد يذبح المنظمة فى تل الزعتر ويتفق مع القذافى ليحاصر عرفات ورجاله فــى طرابلس لبنان ، ولولا ان مصر اتخذ ت مركزا ممتازا مع امريكا عن طريق كامب د يفيد لما استطاعت ان تتوسط لانقاذ عرفات الذى كان يحيط به اربعة الاف من المسلحين من انصاره وكانوا عرضة للهلاك جميعــا ولكن الرئيس حسنى مبارك بما اكتسبه من تلك العلاقة التى قامــت بيننا وبين امريكا عن طريق كامب د يفيد استطاع ان ينقذ عرفـــات ورجاله من ذلك الحصار فهل لو كانت مصر ارضها ما زالت محتلـــة ، ويعايرها اشقاؤها بانها المتسول الذى يريد ان يبتز اموالهم هل لـو كانت بقيت على ما هى عليه هل كانت استطاعت ان تدلى بد لوهــــا فى الدلاء ؟

ماذا قال إسماعيل فهمى بعد تقديم استقالته ؟

ان اسماعيل فهمى وزير خارجية السادات عندما اختلف معه على مبادرة السلام قال : (انى اراهن ان تفرط اسرائيل فى شبر من سيناء لان اسرائيل تعتبر ان سيناء هى (نظرية الامن) التى تدافع عنهـــا فاذا فرطت فيها فقد سقطت حجتها والآن بعد ان تسلمنا سيناء كلهـا ماذا يقول وزير الخارجية اسماعيل فهمى .

ماذا يقول وزير الخارجية اسماعيل فهمى •

هل كان واردا فى برنامج مفاوضات السادات لاسرائيل

ان يحل قضية مصر اولا ثم يثنى بالحل الشامل ؟

لم يكن واردا فى برنامج الرئيس السادات ذلك بدليل الخطاب الذى القاه فى مبادرة القدس فلقد ثار عليه الفلسطينيون ومن ساندهم من العرب وقالوا اننا لا نعطيك صكا بالدفاع عنا ، وشجبوا مفاوضاته مع اسرائيل ونعتوه بالخيانة لمجرد انه قبل التفاوض مع اسرائيل ولا أدرى كيف أخلص ارضى من عدو يستولى عليها فى الوقت الذى لا أستطيع ان أحاربه حتى اخلص ارضى منه فهل خصامى له سيدفعه الى ان يجلو عن الارض ويضع عليها لافتة يقول فيها تعالوا ياعرب خذوا أرضكم التى اخذتها منكم ؟ ان مجرد الحوار مع اسرائيل يعتبره هؤلاء العرب خيانة ولكن بعد ان اعطتهم اسرائيل درسا قاسيا فى لبنان هرعوا جميعا الى امريكا وطالبوها بان تساعدهم لحل قضيتهم بعد ان رأوا ان روسيا قد خذلتهم وسلطت عليهم الاسد والقذافى واعترف الفلسطينيون والعرب بموقف السادات منهم وانه هو الوحيد الذى كان يسعى لمصلحتهم وبعد ان كان عرفات يقول لا أكون خائنا كالسادات واضع يدى فى يد بيجين اصبح يقول لريجان انا سأجمع زعماء المنظمة ونذهب الى اسرائيل ونعمل حوار معها اى انه سيضع يده فى يد الاسرائيليين جميعا •

فهل يلام السادات اذا فصل قضيته بعد ذلك وجعل كامب دفيد عبارة عن مرحلتين مرحلة للقضية المصرية ، ومرحلة تبدأ في التفاوض للحكم الذاتي الفلسطيني — ان اية مبادرة عملها ريجان او الامير فهد لا تخرج عن نطاق (كامب دفيد) فهي يحيط بها الاطار نفسه .

ان هذا التاريخ الذى اكتبه لم انقله عن أحد ، وانما اعاينه واعاصره واراه بعيني ، واحسه بنفسه ، والاحداث التي يلعبها الرؤساء والقادة على المسرح بعيدا عنى انتظر حتى يكتب عنها الراضون والساخطون وحتى تتبلور امامي ، وتتضح لي رؤيتها فأكتبها كما اراها فانا ادونها والدماء مازالت تنزف منها .

هل اعطى الشعب للسادات بقدر ما أعطاه السادات ؟

بالعكس لقد حاسب الشعب السادات على سيئات لم يكن له صلة بها لان الرجل ذهب به وفاؤه الى ان يسند سيئات عبد الناصر اليه ويقول لمن يتحدث عنها انا كنت شريكه في الحكم بل بالعكس ايضا جاء هو ليبنى ثورة ٢٣ يوليه من جميع الرواسب التي مرت بها ، ولكن الكل من اخوان مسلمين الى مراكز قوى الى شيوعيين الى عرب تعاونوا جميعا على هدم هذه الثورة ممثلة في انور السادات وبالرغم من ان السادات انتصر انتصارا مذهلا فلقد كان بقدر هذا الانتصار بقدر ضراوة هذه المعارضة لدرجة ان المعارين الى الدول العربية كانت هذه الدول ترضعهم لبان الكراهية وكان هؤلاء

المحاربون يزيدون عن ثلاثة ملايين لماذا كان لكل واحد من هؤلاء ثلاثة اولاد أو اربعة لنعرف عند ذلك مدى اتساع هذه المعارضة ومدى ضراوتها ولولا ان الدول الحضارية لها رأى واضح كل الوضوح فى هذا الرجــــل لما شككنا لحظة فى ان التاريخ سيتهاوى امام هذه المعارضة الجارفــة

أقوال مأثورة لزعماء الغرب عن الرئيس محمد انور السادات

من حق التاريخ بعد هذا التحدى والهجوم المتواصل مـــن دول الرفض وعملاء الشيوعية على مصر ورئيس مصر سيما بعد ان اغتيل واصبح فى رحاب مولاه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ... من حق التاريخ أن يعرف هذا الجيل الذى اعماه التضليل ودفعه الى تواطؤ لم يستطع الخروج منهــــا وكذلك الاجيال اللاحقة من حق التاريخ ان يضع امامهم جميعا ما قاله الزعماء المتحضرون فى هذا الرجل الذى ترك الظروف والوقائع ترد عليهم لتسقـــط حجتهم تلقائيا .

قالت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والملقبة بالمرأة الحديدية :

" ان الذى يريد ان يبحث عن مواصفات الزعامة البناءة فليس عليه الا ان يرى زعامة انور السادات "

ما يكل فوت زعيم المعارضة فى بريطانيا يقول بعد لقائه بالسادات ان الرئيس السادات معلم فى تحركه التاريخى ومعلم فى التفاؤل لكيــــف لا أكون متفائلا بمستقبل الشرق الاوسط وفيه زعامة السادات وإذا كان هــذا

هو حديث اللاعبين على مسرح الحكم فى بريطانيا فان حديث رجـــل الشارع أكثر روعة ، والدليل على ذلك ما قاله الاستاذ موسى صـــبرى عندما قال : "كنا نقف فى بهو فندق كلاريدج ومعنا الاستاذ صـــلاح جلال نقيب الصحفيين، ومحمد عبد الجواد رئيس وكالة الشرق الاوسط عندما تقدم الينا احد العاملين فى الفندق ليسأل هل يزعجكم ان تقابلوا سيدة ، ولم تلح فى ذلك ، وقلنا بل تتفضل ، ونزلت السيدة من سيارتها امام الفندق لتسلم علينا فى حرارة وانفعال وهى تقول : " ليس من اللائق ان اتحم عليكم وجودكم ولكنى لم استطع الا ان افعل ذلك لاننى اريد ان تعرفوا المصريين ان ادعو الله ليل نهار ان يكمل انور السادات رسالته لكى يتحقق السلام فى العالم كله لا فى الشـــرق الاوسط فقط ، ان رئيسكم هو منحة السلام لكل البشر واعتذرت السيدة الفولو عن اقتحامها للمرة الثانية ، وانصرفت وعينا ها مبللة بالدموع.

والحديث عن شخصية الرئيس السادات فى امريكا اصبـــح معتادا (هنرى براندون) عميد المراسلين الاجانب فى امريكا يقـــول للاستاذ موسى صبرى وهم يتناولون الغذاء " كلمة "ريجان" فى الترحيب الرسمى بالسادات لم توجه الى رئيس دولة من قبل ، وكان ريجان تعبير عن السادات انه يمثل نقطة تحول فى حضارة العالم (مثل اكتشاف حجر رشيد) .

السناتور الامريكى بيكر زعيم الغالبية فى مجلس الشيوخ الامريكى يقول ايضا للاستاذ موسى صبرى بعد ان قابلنا الرئيس السادات فى المناظر

منذ شهرين وكنا فى مجموعة تمثل الجمهوريين والديمقراطيين فى الكونجرس اذكر ان حديثنا جميعا فى الاتوبيس العائد الى القاهرة كان حول افتراض اثار شعورنا جميعا :

وسألته ما هو هذا الافتراض ؟

قال انه لا يصدق .. ولكننا كنا نقول : " انه لو كانت هناك حكومة واحدة تحكم العالم كله ، وكان رئيس هذه الحكومة بالانتخاب لكان هذا الرئيس هو أنور السادات .

اما بوش نائب الرئيس الامريكى فلعل وكالات الانباء نقلت قوله للرئيس معبرا عن اعجابه المذهل ..

ولقد اعترفت كل صحف امريكا بأن البيت الابيض لم يشهد منذ ان تولى ريجان مثل هذا التزاحم من الاعداد الهائلة من رجال الصحافة والتلفزيون والاذاعة ، ولا من الجماهير المتطلعة الى رؤية السادات ولم يكن غريبا ان تسأله صحفية امريكية وانت يا سيدى بهذه العظمة كيف تتقبل نقد من يحاولون النيل منك ؟

وشكرها الرئيس السادات على ثنائها .

ولقد عرف الرئيس كارتر السادات على حقيقته وكذلك الرؤساء الامريكان الذين عاصروه وقبل الرئيس كارتر طالعتنا مذكرات كيسنجر الذى قال " ان السادات اعظم الزعماء فى كل العصور . " ومذكرات موشى ديان الذى يراه واحدا من أعظم الساسة فى عصرنا .

لماذا رفض العرب السادات وتآمروا عليه ؟

ان العرب فى عهد عبد الناصر كانوا لا يستطيعون أن يتطاولوا عليه لان عبد الناصر كان يكيل لهم الكيل كيلين وروسيا كانت تؤيده ، ولكن بعد الهزيمة التى مرحلته فى الوحل ضعفت شوكته ، وخفت صوته ، وتبرأ العرب من هذه الهزيمة بان قالوا ان مصر قد انهزمت ، واختفت النكسات التى كان يطلقها عبد الناصر على العرب لورددها اولاد البلد فكثيرا ما كان ينعت بورقيبه بأنه (بولحيية) والملك حسين يطلق عليه (ملك الجيب) لصغر حجمه والملك فيصل يقول عنه واحد جالس يقتل فى دقنه هذه أمثلة من نكات عبد الناصر التى توارت عقب الهزيمة . وبرغم هذا لم نجد هؤلاء العرب يتتبعونه ويواصلون هجوما عليه بل اكتفوا بان الهزيمة فيها الكفاية لاسكاته الى الابد وللنا لعل هذه الهزيمة قد آلمتهم لانهم يرون فى مصر السند القوى لهم — ولكن بعد ان جاء السادات أراد أن يصلح الجوهر بيننا وبين العرب ، وان يعالج الجروح التى كانت تستنزف دماء من الشعب وهذا كله كانت روسيا لا ترضى عنه ، لان هذا يريح مصر ويجعلها تلتفت لبنائها الداخلى وهى لا ترضى لمصر ان تستريح حتى تظل مادة يدها اليها — وقد تأكد السادات من ذلك فكان يخطط لحرب اكتوبر سرا دون ان يأخذ رأيها سيما بعد طرد الخبراء الذين كانوا يقيمون دولة داخل الدولة ، ولما انتصر فى حرب اكتوبر كان هذا النصر الجزئى الذى حصل عليه يفك الاشتباك الاول والثانى نصرا مزدوجا لمصر وللعرب فى آن

واحد لانه رفع سعر البترول الذى لدى العرب ، وجعل هذه الدول تتحكم فيه بعد ان كانت شركات البترول هى التى فى يدها كل شىء ورفعت هذه الدول اسعار البترول وبحث من وراء تحريره من الشركات التى كانت مسيطرة عليه ربحا فاحشا يربو على آلاف الملايين من الجنيهات .

هل نظرت هذه الدول الى ما أضافته مصر من مال وما استنزفته من دماء فى سبيل هذا النصر ؟ كلا انهم كانوا يرسمون مصر فى جرائدهم كالمتسول الذى يطلب منهم احسانا — انهم كانوا يريدون ان يعطونا قرضا بفوائد باهظة ويعملون سندوتا للذين يشرفون عليه لمحاسبة مصر كما كانت تفعل الدول الغربية ابان احتلالها لمصر ولكن السادات رفض كل هذا ؟

انهم كانوا يقولون انهم يخشون على اموالهم من الضياع وهذا منطق لا يؤيده منطق ولا عقل لان السادات قام بحرب اكتوبر من فراغ وهذه الحرب كلفته سلاحا ومالا تعجز اكبر الدول عن تدبيره فى وقت كانت الخزينة ليس فيها نقير ولا قطمير فلم تكن الخزينة امامه ملأى بالمال ويبعثرها بل بالعكس عندما عرف الناس والعالم انه اقدم على حرب اكتوبر والشعب فى حاجة الى ان يوفر له الخبز بعد شهرين فقط قالوا انه عرف انه ميت لا محالة فأقدم على هذه الحرب لينتحر .

اذن لماذا بعد ان رأى العرب يخرج من هذه المحنة منتصرا

يصعدون هجومهم عليه ، ولا يفكرون فى مساعدته بشيء من هـــذا المال الذى جاء عن طريق البترول الذى حررته الحرب لهـــــم ؟ وعند ها اكتفوا بأن قالوا ان العرب قد انتصروا . ان العرب كانــوا يرون ان مصر هى العملاق بينهم فانتهزوا الفرصة لان الحـــرب اضاعت مالها ورجالها ، وان البترول قد أفاض على خزائنهـــــم بالاموال الطائلة التى احتاروا فى تخزينها فأودعوها فى البنـــوك اليهودية بأمريكا دون أن يأخذوا عليها فوائد ، وكان الاولـــــى ان تستفيد مصر بهذه الاموال فى بنوكها وتأخذ هى فوائد هـــــا التى تذهب الى اليهود .

لكنهم لا يريدون لمصر ان تظل عملاقة بل هم يريـــدون ان يرغموا على مصر حتى تحاذى رأسها مواطىء نعالهم .

ولقد رأوا فى السادات الرجل الصابر المتسامح الـــذى لو وزع صبره وتسامحه على العالم كله لفضل منه .

ما هو الخلاف الذى لاحظه كثير من المراقبين السياسيين والعسكريين بين حرب اكتوبر وغيرهـا ؟

لقد كان هناك خلاف كثير بين حرب اكتوبر وغيرها من الحروب

ـ فلقد اختلفت حرب اكتوبر عن غيرها فى الاعداد والتنفيذ والنتائـــج

ـ لقد كانت حرب ١٩٦٧ مكشوفة لاسرائيل وغير اسرائيل .

كان سائق الاتوبيس عندما يصل الى مطار سرى من المطـارات التى أقامتها الدولة فى حقل من الحقول كان ينادى على ركاب ويقـــول بين اللى نازل فى المطار السرى وهكذا أصبح المطار السرى علنا لكـــل من هب ودب .

دور باروخ ندل الجاسوس الاسرائيلى فى هزيمة ١٩٦٧ ؟

ثانيا ـ استطاع باروخ ندل ان ينتحل شخصية تركية لبائع أسلحة وهو جاسوس اسرائيلى ، ودخل مصر وتعرف على القادة من المشير الى الخفير واختارت له الدولة منزلا وضع فيه أجهزة مخابراته ، وباتصاله بالمشير اتصـــل بقائد الطيران وغيره من القادة الكبار ، وبذلك استطاع ان يتصل باسرائيـــل ليعرفها اماكن الطائرات الحقيقية ، ويوضح لها الفرق بينها وبين الطائـرات النموذجية ، ولقد طلبت اليه اسرائيل ان يعمل دعوة لجميع ضباط الطيران فى الليلة التى قامت فيها الحرب ، وبالنسبة لان جمال كان قد خطب فيهم وقـال لهم على حد علمى ان ضربة اسرائيل لا تتأخر عن ٥ يونيه ١٩٦٧ وقد علـــم زكريا محى الدين بهذا الحفل فسأل من الذى أقامه فقيل له رجل تركى فطلـــب من السلطة أن تحضره له ، ولكن هذا الندل التجأ الى المشير وقال ، كيـــف

أذهب اليه ونحن الآن فى حالة انبساط وكان الحفل مدعوا فيه المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات فنمر المشير رسول وزكريا وانتهت الليلة على ما يرام وحزم باروخ شنطته ، وسافر فى الفجر وقامت اسرائيل بالحرب بعد سفره مباشرة .

ثالثا ــ ان اختيار القادة فى سيناء كان للولاء لا للكفاءة فكان هؤلاء القادة لا يعرفون عن طبيعة ارض سيناء شيئا ، ولم تكن عندهم اى فكرة ينفذ ونها .

رابعا ــ جمع الجنود دون تدريب أو خطة لتقوم بعمل مظاهرة لا لينفذوا فكرة .

خامسا ــ ان الدولة لم تحسن المعاملة السيئة التى كانت تعامل بها الانطاعيين والاخوان المسلمين والشيوعيين ، ولم تسو ما بينها وبين الدول العربية فالقطيعة كانت قد وصلت الى منتهاها .

سادسا ــ كانت طبيعتنا الصراخ والصوت العالى وطبيعى ان المضروب هو الذى يصيح ويصرخ أما الضارب فلا أحد يسمع له صوت .

سابعا ــ ان الدولة اعتمدت على من اعتمدت عليه فى حرب ١٩٥٦ فلقد اعتقدت ان روسيا ستتدخل لتحول بينه وبين الهزيمة ، وكان شمس به رأى وزير الحربية قد هزه عطف وزير الدفاع السوفييتى عندما ربت على كتفه وقال له ، " سر ولا تخش شيئا فنحن من ورائكم " .

ثامنا ــ ان المشير اعتقد بان (الموقعات كلها زلابيه) كما يقولون وان اسرائيل لو احتلت سيناء اليوم لان امريكا ستأمرها عن طريق روسيا

أن تجلو عنها ولذلك انسحب المصريون ولم يكلفوا أنفسهم أدنى عناء وكان في استطاعتهم ان يستمروا في الحرب فترة أطول سيما وأن الممرات كانت مازالت في ايديهم .

تاسعا - الخلاف الذى كان بين المشير وبين رئيس الجمهورية جعل المخابرات التابعة لهذا تتناقض مع المخابرات التابعة لذاك .

أما من ناحية حرب اكتوبر فلقد التزمت القيادة بالسرية التامة والمفاجأة وتبنى أفكارا معينة واستعمال التمويه والخداع على العدو ورغم انه كان يملك أكبر مخابرات في العالم وفهم الجندى قضيته بأنها قضية الدفاع عن أرض الوطن وشرفه وعزته وكرامته .

كيف واجهت مصر التحصينات الاسرائيلية ؟

ان القيادة المصرية واجهت هذه الموانع كلها بألوان من الخداع والتمويه - واسرائيل بالنسبة لانها كانت ترى مصر بأنها الرجل المريض الكسيح الذى لا يمكن ان يغادر فراشه فانها كلما رأت الرؤيا أمامها واضحة أغمضت أعينها ولم تر شيئا .

ا - من ذلك ان التحركات السورية عندما بدأت في ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ وبعدها بيومين كان موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلى هو أول من أقر بأن في الامر ما يثير الاهتمام وفى ٢٦ سبتمبر قام موشى دايان بتفقد القوات

الاسرائيلية في الجولان ضمن جولته السنوية في اليوم السابق على بداية السنة اليهودية الجديدة وأخبرهم ان على طول الحدود السورية ترابط مئات من الدبابات والمدافع السورية وأيضا شبكة مضادة للطائرات بكثافة مشابهة لما فعله المصريون على امتداد القناة وقد أصبح دايان قلقا وفي نفس اليوم قام بوضع الجيش في حالة تأهب على كلا الجبهتين وخلال ايام العطلة الثلاثة قام بتعزيز اللواء المدرع في الجولان بقوات أخرى على رأسها لواء من أحسن الالوية في الجيش الاسرائيلي هو اللواء السابع المدرع ، وان الشك الذى يقترب من اليقين هو الذى يتخذ هذا الاحتياط ومعنى هذا انه كان يرى الشيء واضحا ولكن الثقة التي كانت تطغى على قيادة اسرائيل كانت تجعلهم في حالة تحذيره ولولا ان دايان عزز القوة بهذا اللواء احتياطا وقامت الحرب لكانت القوة الاسرائيلية في هذه الجبهة انهارت تماما .

٢ـ قام عربيان عرفا نفسهما بأنهما من نسور الثورة الفلسطينية بالاستيلاء عند الحدود النمساوية على قطار يحمل خمسة من اليهود وموظف جوازات نمساوى كرهائن ، وطلبا ان تنهي النمسا باغلاق مركز ترانزيت في فيينا يسمى قلعة (شرنو) كان يستخدمه اليهود الروس في طريقهم الى اسرائيل مع العلم بان مستشار النمسا يهودي ومع ذلك وافق على الطلب وترك العرب احرارا شعرت اسرائيل بالخنق الشديد من هذا العمل ــ ان الرجلين ينتميان الى منظمة فلسطينية تقدتها سوريا ، وتشرف عليهما السلطات السورية ــ لاشك ان وزير الحربية السورى كان يريد ان يشتت

الانتباه ، وان تنجح خطة الدفاع .

٣- صرح كيسنجر وزير خارجية أمريكا بأن فنا بحاا اسرائيليا في المخابرات أخبر أمريكا بان كل ما توصلت اليه اسرائيل هو أن مجموعة عربيا يحتمل ان يكون وشيك الوقوع ، ومن ناحية أخرى فان المعلومات التى أعطتها اسرائيل خلال الايام العشرة السابقة على الحرب تؤكد اعتقادهم بان الزعماء العرب ليسوا مستعدين للحرب .

ومما يدل على ان اسرائيل كانت ترى المعلومة واضحة وامامها وتطردها أن سفير روسيا في باريس اخبر السفير الاسرائيلى بموعد قيام الحرب لان سوريا ومصر اتفقتا على ان تعطى روسيا خبرا بذلك ولا ندرى أراد أن يسير كل شيء في المجرى المقدر له فان سفارة اسرائيل لم تهتم بما نقلته اليها سفارة روسيا وربما اعتقدت ان روسيا لا تصدقها الحقيقة وروسيا في الواقع كانت تلف امام حالتين هي تعتقد ان مصر ستهزم لضعفها ان قامت بحرب وهذا ما تريده لانها في هذه الحالة تستطيع تغيير الرئيس السادات بأى عميل من عملائها - اما الحالة الثانية فهى تخشى ان اسرائيل تقوم بضربة وقائية فترجع مصر عن المضى في الحرب وهو ما لا تريده روسيا لأن مصر عندما تخسر الحرب سترجع الى روسيا تائبة مستغفرة .

٤) بالنسبة لان خبراء الحرب أجمعوا على ان عملية مصرية من شأنها ان تحرك المعركة ضد اسرائيل ليس ضرب من ضروب الانتحار فان مصرا استعملت التمويه والخداع الى ابعد حد وكان هذا التمويه

١ التمويه والخداع في حرب اكتوبر

والخداع ينطلى على اسرائيل بأقصى سرعة ـ ولهذا فان وزير الحربية الذى اختاره السادات لهذه المعركة وهو المشير أحمد اسماعيل كان يرسل لواء فى الصباح ، ولا يعيد منه سوى جزء صغير منه حوالى ثلثه فى المساء لكى يعطى انطباعا بان القوة كانت فى مهمة تدريبية ، ولقد عادت بعد ان أتمتها ، ولذلك يبقى ثلثا اللواء فى كل مرة فى ميدان القتال .

٥ـ كذلك أخر معدات العبور الى أقصى حد ممكن فقد كان يؤكد ان خروج هذه المعدات من مخازنها كفيل بتنبيه العدو الى نوايانا ولذلك وضع لبعض هذه المعدات صناديق خاصة لا تشعر أحدا بأن اللوارى التى تحملها هى لوارى مهندسين ، ثم رتب لهذه المعدات حفرا على جانب القناة نزلت اليها فور وصولها فى الليل .

٦ـ بالنسبة لان صحيفة الاهرام كان رئيس تحريرها هيكل وكان من أنصار عدم قيام معركة وكتب فى هذا كثيرا فلقد كتب (تحية الى الرجال) يقصد الجيش وكانت هذه التحية عبارة عن تيئيس للشعب كله وكتب فى مقال آخر بان مصر تدربت على السلاح الروسى عشرات السنين فلو ان مصر أرادت ان تستبدل بالسلاح الروسى سلاحا آخر غربيا فلا اقل من عشر سنوات للتدريب على هذا السلاح الجديد بالنسبة لان هيكل كانت هذه أفكاره وبصفته رئيس تحرير الاهرام فقد اعطت القيادة اشارة الى الاهرام بان ضباط الجيش يستطيعون الحصول على اجازات للقيام بأداء العمرة .

وطبعا هيكل رئيس التحرير بارك هذه الاشارة وأعلنها فـــى الاهرام ليثبت للشعب أن افكاره هى الصحيحة وباعداها فلا ، ولكـــن الانذار لم تجعل هذه الافكار تنزل الى الارض فحسب بل جعلتها تهوى الى قرار سحيق .

٧ـ وهناك عمل فعال قام به المسئولون المصريون للتمويـــه فلقد قال هؤلاء المسئولون للسلك السياسى الاجنبى فى القاهـــرة " ان مصر تستعد ضد ضربة اسرائيلية متوقعة انتقاما لحادث (شرنـــو) وقد ثبت انه قبل ان تبدأ الحرب بأربعة ايام فقط كان دافيد اليعازره رئيس اركان الحرب يخطط للقيام بمثل هذه الغاره الانتقامية التى قام بها على سوريا بينما وكالة المخابرات الاسرائيلية الامريكية منزعجة ، وقلقة فـــى اجتماع مجلس المخابرات لان المخابرات الاسرائيلية كانت ما تزال معتقـــدة بقراءتها للنوايا العربية وتصرف النظر عن التقدير المرتفع الذى تنظر بـــه واشنطن .

٨ـ طبعا القيادة عندما كانت تفكر فى العبور عملت ترتيبهـــا على ان توقف مفعول الغاز المسلط من الانابيب على القناة ، وفكرت فى ازالة الساتر الترابى واستعملت فى ذلك كل ما يمكن من قنابل ومدافع فلم تفد شيئا ، ولكنها وجدت تجربة جديدة جديرة بالذكر وهى المضخات المائية ، ووجدت ان هذه أسلم طريقة لانهيار الساتر الترابى فارسلت خبراء منا لمعهد سوين الزراعيين لشراء مضخات منا لمانيا ولم ترسل خبراء من العسكريين حـــتى

لا يحصل شك من العدو •

٩) خروج وفد من رياسة الجمهورية الى ألمانيا لاستئجار جناح في أحد المستشفيات هناك لعلاج الرئيس السادات ، وقد عدد أحمد فؤاد اكتوبر عمليات التمويه هذه بانها زادت عن خمسة وستين عملية •

ولقد سبق ان قلت ان الثقة الكبيرة التي كانت تسيطر على اسرائيل في قوتها فانها ترى الشيء رأى العين ولكنها كانت لا توليه اهتمامها — لذلك عندما رأى اليعازر رئيس اركان الحرب ان تكون القوات في اقصى حالات الاستعداد العسكري وقال بالغاء كل الاجازات والتنبيه على الوحدات بانه من المحتمل استدعاء الاحتياطي ولكن جولدا مائير اجتمعت بوزرائها مساء هذا اليوم وقرروا عدم استدعاء الاحتياطي — وكان اجتماعها بالوزراء والمقربين اليها ، وعندما كانت تجتمع بهم كان يطلق على هذا الاجتماع (وزارة المطبخ) وقد تم اتخاذ قرار في هذا الاجتماع بعدم كسر الهدوء وأى عدم استدعاء الاحتياطي برغم ان اليعازر كان يريد استدعاءه ، ولكن غلب عليه أمره ، وما ذلك الا لان المولى جل شأنه لا بد ان اراد الله تسير في طريقها ، ولا يستطيع ان يوقفها احد •

وبالرغم انه في الساعة الرابعة صباحا من يوم السبت الذي قامت فيه الحرب انكشف الغطاء لان اجهزة الانذار الاسرائيلية والامريكية التقطت اشارات الرادار التي لا تخطىء ، والتي تكشف عن الاستعدادات المصرية

الاخيرة ، وقد عرفت هيئة اركان الحرب ان الحرب اصبحت حتمية، ومرة اخرى اقترح اليعازر ان يقوم السلاح الجوى الاسرائيلى بشبه ضربـــة وقائية عند الفجر ولكن جولدا مائير اعترضت على هذه الخطة أيضــا ، وكان الخوف من رد الفعل الامريكى هو المسيطر عليها ـ وقد وضعـت امام وزرائها هذا السؤال : (كم من الاصدقاء سيظلون معنا لو فعلنا هذا ؟)

لكن بارليف قال لها فى كل مره نقرر فيها ان نأخذ آراء الاخرين فى الاعتبار ولكنا ندفع ثمن ذلك بالدم .

ولكن هذا الجدل حسمه السفير الامريكى فى اسرائيل فلقد تم ايقاظه فى السادسة صباحا ، واستدعى لمقابلة جولدا مائيره وفى الاجتماع حذرها من ان اسرائيل لو ضربت اولا فان الرأى العام العالمى ســوف يجعل من الصعب على امريكا ان تمد اسرائيل بمعدات الحربه وان اسرائيل لو تركت العرب تضرب أولا فان العرب سيقيمون الدليل على أنفسهــم انهم هم المعتدون .

ولو قلنا ان القدر قد هيأ هذا النقاش ليكون الجو فى صالح مصر لنلمس معنى هذا ان نجرد القادة من حقهم ، ونقول ، " ان الحظ كان له اثر كبير لالانه ار تعملا كانت فى صف القيادة المصرية لان المولى جل شأنه حاسب الدوله على ضميرها الذى دخلت به الحربه وانها لم تتعال ، ولـم تتكبر على الله ، وانما كانت فى كل مرة تستمد العون والتوفيق منه جل شأنه

ولا تريد ان تكسب الشعب بمكسب واهى ، وانما كانت تريد ان تكون هذه الحرب ابتلاء لها فى حاضرها ومستقبلها .

ماذا قال الرئيس حسني مبارك عن عملية التمويه . ؟

١٠- يقول الرئيس محمد حسنى مبارك " لقد كانت عملية التمويه على مستوى القيادة رائعة وممتازة ، وكان الاحتفاظ بالسرية أبرز ما تم فى حرب ١٩٧٣ ويكفى ان تعلم ان قادة كثيرين يعرفون السر الى ما قبل تنفيذ عملية (صدام) وكانت القصة كالآتى ،

فى الساعة الرابعة الا عشر دقائق بعد ظهر يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ رفعت سماعة التليفون بمكتبى بقيادة القوات الجوية لاتوجه بالحديث الى خمسة من كبار ضباط السلاح لاقول لكل منهم وكانوا جميعا ينصتون على الخط الداخلى " امام كل منكم ساعتان لتجهيز البيانات المطلوبة اذ تقرر سفركم معى فى مهمة عاجلة الى ليبيا تستغرق اربعا وعشرين ساعة وستخطرون بموعد الاقلاع ، وبعد المكالمة قام سكرتيرى العسكرى بالاتصال العاجل بالملحق العسكرى فى طرابلس لابلاغه بموعد وصول الطائرة التى ستقلنى مع هيئة القيادة الى ليبيا ، وفى نفس الوقت تقريبا — وعلى تليفون داخلى آخر تلقى قائد احدى القواعد الجوية بمنطقة القاهرة اشارة بتجهيز طائرة القائد لسفره ومجموعة قيادته الى ليبيا — وتلقى سكرتيرى العسكرى فى الساعة الخامسة من مساء الجمعة ٥ أكتوبر بلاغا من قائد الطائرة بتمام الاستعداد ، وتم تأجيل الطلعة الى باكر السبت فى العاشرة صباحا — اجلنا موعد الاقلاع الى الواحدة

والنصف بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ـ وفى اللحظة التى انصرف فيها قائد الطائرة لاتخاذ الاجراءات الخاصة بتنفيذ التعليمات الجديدة صدرت من مكتب سكرتيرى العسكرى اشارة عاجلة موجهة الى كبـــار الضباط بقيادة القوات الجوية تدعوهم الى الاجتماع فى قاعة الاجتماعات الكبرى بمركز القيادة الرئيسى فى تمام الساعة ٣٠ر١٢ اى قبل الموعــد المحدد لسفرى الى ليبيا بساعة واحدة فقط •

وتم الاجتماع العاجل فى موعده ومكانه وتلقى منى ضابط الاركان وقادة التخصصات المختلفة فى السلاح الجوى تعليمات التلقين النهائـى قبل تنفيذ المهمة التاريخية •

ثم طلبت من الجميع ان يحتلوا أماكنهم فى غرفة العمليـــات الرئيسية للقوات الجوية وعندما تأهبت لدخول غرفة العمليات الرئيســـة استعدادا لاطلاق اشارة البدء بتنفيذ العملية (صدام) اخطرت بــأن قائد الطائرة المعدة لرحلة ليبيا يسأل بالتليفون هذه كانت وسيلة اخــرى من وسائل الخداع التى اخفيت على القواد المكلفين بالعملية نفسها •

عرض المعركة فى ٦ مارس ١٩٧٣ على اللجنة المركزيــة
ومجلس الشعب

كان طبيعيا ان الرئيس السادات يعرض موضوع المعركة فى اجتماع مغلق على اللجنة المركزية ومجلس الشعب وينا قشهم فى القواعد التى حملتــه

على اتخاذ قرار المعركة وهنا كانت اهم الاسئلة الموجهه اليه تبحث عن مدى كسبنا للمعركة •

فلقد وجه اليه العضو الاستاذ محمود ابو وافيه السؤال الآتى ،

هاوزين معركة كسبانه ١٠٠٪ وقال آخر هل نحن مطمئنون الى كسب المعركة ١٠٠٪ ؟

فكانت اجابة الرئيس واضحة وصريحة •

من يضمن هذا ؟

اننا اذا لم ندخل المعركة فاننا سننفجر من الداخل ، واليهود لا يخفون هذا التوقع •• انهم يكتبون فى صحفهم •

واحب ان اصارحكم امريكا تقاوم الآن اى تحرك لكسر وقف النار والاتحاد السوفييتى يقول لنا ستخسرون المعركة •

ولكنى الآن انظر نظره مجردة لمصلحة هذا الوطن ، ولمصلحة قضيته ، ولمصلحة اجيالنا ، اذا انتظرنا بدون كسر وقف النار سيكون هو الامر والواقع ، وستظل روح اليأس والانهزامية متسلطة علينا •

هل اترك العدو يحرك كما يشاء حتى انفجر من داخلى •

وكل يوم يتلقى العدو من امريكا ما يريد حتى وصل الى درجة الاشباع ويتلقى الضمانات وانا بالكاد احصل على مجرد الدخول فى المعركة — وكون امريكا تحقق لنا حلا سلميا الآن هذا اصبح حديث خرافة لان امريكا لا تريد ان تسير

فى هذا الطريق الا اذا كان هناك تنازلات من جانبنا ومتى بدأنـــا بالتنازل عن اى شيء فان التنازلات تجر بعضها بعضا الى ان تأخـــذ اسرائيل ما تشاء ــ وكذلك روسيا تطالبنى بأن اختار الحل السلمى .

هل كان السادات يستطيع ان يريح نفسه ويناور
حتى تنتهى مدة رياسته ؟

لقد قال السادات لمن عارضوه فى قيام المعركة " لقد كنـــت استطيع ان اريح نفسى وأناور فى المدة الباقية لى من رياسة الجمهوريـــة فاعلن عن مؤتمر قمة عربى فى نوفمبر ــ ونخرج من المؤتمر كما دخلناه ــ ندخل على عام ١٩٧٤ ــ الروس متقلون على صفقات سلاح فى ١٩٧٣ واجزاء منهـــا فى ١٩٧٤ احضر اليكم واطلب منكم ان تنتظر حتى منتصف ١٩٧٤ لتنفيذ الصفقات ستمتد بنا الى آخر ١٩٧٤ بعدها ندخل فى ١٩٧٥ وبهذا تنتهى مدة رياستى وانا اناور .

ولكنى اعرف تماما بانى ان فعلت هذا سأكون خائنا لبلـــــدى هذا اذا لم اعطل للمعركة واخطط للمعركة .

فانا كمواطن ارفض رفضا باتا ان انفذ ما يريده الاعداء .

فأنا أعرف تماما ان استمرار وقف النار موت كامل لهذه القضية .

اما اقتناعى بانى احمل قدرية فلابد ان ادخل المعركة .

واذا لم نستطع تحرير الارض تحريرا كاملا فليكن كسر وقف النار حتى لا يفرض علينا العدو الامر الواقع .

ان من يريد أن يعيش موفور الكرامة عالى الرأس فلابد ان يواجه ويدفع الثمن . واذا كان هناك من يقول عاوزين معركة كسبانه ١٠٠٪ فأنا اول على قدر قوتى يجب ان ادخل المعركة.

العسكريون عندنا على اعلى مستوى . والسلاح الذى فى يدهم ممتاز - المهمة التى سيؤدونها هم يخططون لها بأقصى ما لديهم - ونحن سياسيا نعمل بالعمى ما نستطيع .

القضية - صراع طويل . وليست معركة قناة السويس فقط .

امامنا معركة مصالح امريكا

امامنا معركة الطاقة

امامنا معركة الحشد العربى .

اية تكاليف .. اية تضحيات يجب ان تكون جاهزين لادائها .

وهناك تساؤل آخر.

كيف نحارب والواقع العربى كله خلافات .. ثم هذه احداث لبنان مع الفدائيين ؟

الجواب ، كان رد الرئيس عن الواقع العربى بان لنا مع الملك فيصل اتصالات متكاملة .. والعراق يشترك اشتراكا محدودا . وسوريا معنا .

أحمد اسماعيل قائد الجيش، ولكن هل ننتظر حتى يتغير الواقع العربي ؟

ولقد قال البعض . لا معركة قبل ان تتم الوحدة العربية .

فقلت له : " الواقع العربي لن يتغير الا اذا بدأنا وتحملنا مسئوليتنا القصوى يمكن ان نأخذه من الواقع العربي .. والواقع الاسرائيلي .. الا عندما تكون لنا ارادتنا ونكسر وقف النار . اما من ناحية لبنان فلقد ارسلت رأيي الى الرئيس فرنجية والحالة أهدأ الآن ، ونحن سائرون لايجاد اساس لاجتياز هذه المحنة .

وهناك تساؤل رابع :-

كيف نحارب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟

الجواب هذه حقيقة ، ولكن عندما نعود بالذاكرة الى الحرب العالمية الثانية وقد عشتها ضابطا وسياسيا كان الالمان متفوقين على الروس بفجوة تزيد كثيرا عن الفجوة مع اسرائيل .

بل بدأ الالمان وهم متفوقون على انجلترا وفرنسا وأمريكا التي اتجهت الى الانتاج الاستهلاكي ، ولكن هذه الدول الثلاث جمعت قواها وهاجمت بعد خمس سنوات فلا يهمنا اذا انتظرنا ست سنوات . ولكن الروح الانهزامية هي دخلت على نفوس البعض فأرادوا أن يكونوا فلاسفة .

الفجوة كانت ضخمة بين المانيا وروسيا ، وروسيا كانت لاتزال في مرحلة البناء

وعندما وصل الالمان الى ١٥ كيلو مترا من موسكو لم يقل الروس بامعركة كسبانه يا بلاش ٠

ماذا فكر الروس عندما وصل الالمان إلى ١٥ كيلو من موسكو ٠ ؟

ستالين استدعى القادة العسكريين ، وسألهم ماذا نستطيع أن نفعل ٠ ؟

وكان الالمان قد احرقوا كل شيء اكثر من ٦٠٪ من الصناعة والزراعـــة الروسية دمرت تماما ، وعاد المارشال تيموشنكو الى ستالين بعد يومـــين وقال له : " من الممكن ان تستعيد الموقف بشرط تسخير كل المــــوارد للمعركة ٠

وقد اكتشف ستالين ان جزءا من الانجازات الاقتصادية كان مكتوبا في التقارير ومع ذلك بدأ يبني ماعنده ، وطلب من الحلفاء ان يساعـــدوه ٠ لم يتخاذل ستالين ، ولم يتردد لحظة واحدة ٠

بدأ منطلق الحرب لا من أجل تحرير الارض فقط ، ولكن لاعـــادة بناء روسيا بالتكنولوجيا الحديثة ٠

ولذلك يجب ان تكون استراتيجيتنا قائمة على ان القوة الاساسية للدفاع عن مصر يجب ان تصنع في مصر ، ولا ننتظر الصفقات الحربيـــــــة ولا نشرب من صنبور يمكن ان يقفل في اية لحظة ٠

وبدأ ستالين ٠

خسروا في لينتجراد مليون شخص منهم نصف مليون دفنوا فـــي جبانة واحدة ولم يستسلموا ٠

بهذا الاسلوب تحدث الرئيس السادات الى اللجنة المركزية ومجلس الشعب أبان لهم بأن الاحجام عن المعركة هو اعتراف بالامر الواقع، وموت للقضية، وانفجار لنا من الداخل، وانه لا يمكن لاحد ان يمد يده الينا الا اذا أثبتنا رجولتنا، واثبتنا وجودنا، وانه خير لنا ان نموت أعزاء ولا نموت اذلة كما قال الشاعر (ومعزة بالموت احلى وأعذب) .

حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣

لقد سميت هذه الحرب بحرب ٦ أكتوبر أو حرب العاشر من رمضان او حرب التحرير، أو حرب الساعات الست كما كانت حرب ١٩٦٧ حرب الايام الست .

ولقد تحكم فى تحديد موعد هذه الحرب عدة عوامل منها

١) ان تكون قبل حلول الشتاء فى سوريا .

٢) ان تكون بعد وصول انواع معينه من الاسلحة .

٣) ضوء القمر .

٤) المد والجزر فى مياه القناة .

٥) ظروف سوريا .

واخيرا تقرر ان تكون ساعة الصفر الثانية بعد ظهر ٦ أكتوبر واذا قلنا ان هذه الحرب كانت معجزة القرن العشرين فان تحديد هذا الموعد والاتفاق عليه مع سوريا فى هذه الايام من عام ١٩٧٦ يعتبر هو الآخر معجزة .

ان الرئيس السادات عندما تقابل مع الملك فيصل وصارحه باتفاقه مع الاسد شككه الملك فيصل وقال له احذر منه لانه لا أمان له ولكن الرئيس السادات كان يعتمد على الله ٠

اعتبر اتفاقه مع الاسد هو معجزة ايضا لان الاسد كان ولتها مواليا لروسيا وروسيا كانت تدبر المؤامرات مع مراكز القوى لتبعد السادات عن موقعه فى رياسة الجمهورية ، وسوريا هى التى كان من الواجب على السادات ان تكون على علم بكل شىء من ناحية تنسيق الحرب بين الطرفين مصر وسوريا ، وروسيا كان السادات يخشى منها ان تضع ما تعلمه تحت يد روسيا وروسيا تبلغه بدورها الى اسرائيل وهذا الذى حصل بالفعل ولكن اسرائيل لم تأخذ ما قاله سفير روسيا فى باريس لسفير اسرائيل مأخذ الجد واعتقدت اسرائيل ان روسيا تموه عليها — وروسيا لم تؤكد لها جدية الخبر لانها كانت تخشى ان تضرب اسرائيل مصر ضربة وقائية لترجع مصر عن تنفيذ نيتها من القيام بالحرب لانها كانت مؤكدة ان مصر ستهزم هزيمة شنعاء واخبرت سوريا بذلك وطلبت منها التريث فى البدء مع مصر ٠ والاسد هو الذى تبنته روسيا بعد اتفاق مصر على فض الاشتباك الأول ولم يقبل ايقاف الحرب ، وهو الذى اتفق على الوحدة مع العراق فى الوقت الذى اكتشف العراق تآمره عليه ، والاسد هو الذى تبنى منظمة التحرير وخلق شعارا جديدا يطلق عليه اسم دول الصمود والتصدى ومعنى ذلك ان الدول التى فى هذا المجال وهى التى ترفض مصر مع المنظمة هى التى

تتصدى لعدوان اسرائيل ومصر امامها واذا بنا نرى سوريا تحتل جزءا من لبنان وتضرب الفلسطينيين فى تل الزعتر وتذبح منهم عشـــرات الالوف ثم تكرر هذه العملية فى سهل البقاع وتحاصر عرفات ورجاله فى طرابلس لبنان ، ولا يرى عرفات سوى مصر يستغيث بها ويلجأ اليهــا ، ومصر بجهودها وبمكانتها التى اعترفت بها الدول الحضارية كلهــا ، عن طريق مفاوضات كامب ديفيد التى مازالوا يحاربونها قد استطاعــت ان تخلص عرفات من هذا الحصار وذهب عرفات الى مصر ليشكر مصـــر وليقر ويعترف بجميلها على العرب كلهم مع ان كامب ديفيد التى جاء بها السادات هى نفس كامب ديفيد التى يسير على هديها الرئيـــس حسنى مبارك — ولكنا رأينا بعد ذلك وبعد ان اخذ عرفات حريتـــه ان مسئولا من منظمته يقول نحن لا نقترب من مصر الا بقدر ما تقترب مصر من الصف العربى ولا نعرف ماذا يقصد بالصف العربى؟ هل مـــازال هناك صف عربى ؟

~~بالصف العربى~~ ؟ هل مازال هناك صف عربى ؟

أفيقوا ايها المجانين — لقد اصبحتم اضحوكة العالم كله . لقد كتـــب أحد الفلسطينيين الذين يعيشون فى الدول الاوربية الدكتــــور عبد العظيم رمضان الكاتب بمجلة اكتوبر يعترض على تأييده على كامب ديفيد ويقول له " ان ديمقراطية القرار تعنى ان تتبع رأى الاغلبية ، وما أظن أنـه كان للسادات ان يدخل القدس ويفعل ما تسمونه سلاما وترونه بطولة

لو عاد ولرأى امته واهل الحكمة واصحاب منطق الاسلام . ه وواضح من رسالة هذا الشخص انه لم يقدم بديلا سوى مطالبة الدول العربية بالاستشهاد .
رأى فلسطينى فى كامب ديفيد .

ان السادات قبل ان ينفذ فكرته عرض الامر على امته ووافقت الامة على رأيه وكانت المعارضة المترددة تخشى الا تأخذ هذه الفكرة طريقها ه وان يثنينا اليهود عن عزمنا ولكن الرؤيا واضحت تماما وحتى بعد توقيع المعاهدة شككوا فى ان اليهود لم ينفذوا ما تعهدوا به ولكنها نفذت بحذافيرها وحررت مصر ارضها وفتاتها ورفعت رايتها ولم يبق فى المعاهدة الا الجزء الخاص بالدول العربية والمنظمة وهو الجزء الذى تركه السادات للعرب انفسهم بعد ان اوقفهم على عتبة الحل الصحيح لانهم هم الذين قالوا له لم تتصلب وصيا علينا فهل اذا ترك العرب لطبيعتهم وضربوا بعضهم بعضا يقال لمصر انها المسئولة هل مصر هى المسئولة عن حرب ايران والعراق ؟ هل مصر هى المسئولة عن ضرب عرفات ورجاله وحصار الاسد له والقذافى فى لبنان ؟ هل مصر هى المسئولة عن اعتداء القذافى على تونس او حربا لمغرب مع البوليزاريو والجزائر ؟

ان الاخ الفلسطينى يطالب باستشهاد العرب وهم فعلا يستشهدون كل يوم بمئات الالاف فهل يريد استشهاد اكثر من هذا ؟

لقد قال كوسيجين الزعيم السوفييتى للرئيس الراحل " هوارى بومدين " (ان ثورية الكلام اذا لم تستند الى قوة فعلية تكون خيانة) .

ونحن نرى ان العرب فى كل مكان لا يملكون سوى الشعارات التى لا تؤيدها اى قوة ، أليس فيكم رجل رشيد يستطيع أن يقول كلمة حق ويرجع الى صوابه ، ويعترف بالسادات بصنيعه ويقول لاهله انتسا ما رأينا عليه من سوء ؟ .

بدء الحرب

لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء التى حددها الفريق اول احمد اسماعيل القائد العام للقيادة الاتحادية المصرية والسورية استمر القتال ثلاثة وعشرون يوما تحطمت فيها تلك الاساطير التى طلعت بها اسرائيل على العالم ومحت صحائف من التاريخ ، وحلت محلها صحائف اخرى ، وذهبت المزاعم والخرافات والاباطيل والزيف ، وحل محلها الصدق والحق .

فى هذا الوقت انطلقت الطائرات تشق عنان السماء ، وتدك حصون اسرائيل وبدأت نيران المدفعية تحمى العبور وعبرت قوات الفرقة ١٨ وعبر قائدها وبدأ تنفيذ الخطة على الفور . لم تكن المعركة سهلة كما تصورها البعض أنها كانت بمثابة نزهة على النيل ، وتصور البعض ان الاسرائيليين هربوا منذ الدقيقة الاولى لانهم اعتقدوا ان الخداع والتمويه الذى قامت به مصر ازاء العدو جعل العدو يهرب من أول لحظة وقد تحقق النصر لنا دون تعب او عناء ، وهذا تصور خاطىء ان الخداع والتمويه الذى اجريناه قد امتص فعلا جانبا كبيرا من تلك القوة التى كنا

سنواجهها والتى لولم تلم بها لما استطعنا ان تطأ أقدامنا شرق القناة الا بعد ان نكون قد فقدنا ثمنا فادحا جدا .

لقد كانت هذه الموانع حاجزا كبيرا يجعلنا لانستطيع أن نقف معهم على مستوى واحد فى المواجهة ولكن الخداع والمفاجأة والتمويه جعلنا ننتصر بقرب من ٨٠٪ من هذه الاستعدادات ، واستبسال الجندى المصرى وتصميمه على الثأر لكرامته ، والحفاظ على عرضه وشرفه جعله يتفوق بما فى يده من سلاح وعتاد يقل كثيرا عما هو فى حوزة العدو وقد اختار القائد المصرى ان يهاجم تحصينات بارليف فى معظم نقاطها ومن الامام لا من الخلف ، اختار المواجهة وهى المهمة الصعبة .. وفى التحصينات البعيدة هاجمها من الخلف والاجناب .

كيف دارت المعركة فى القنطرة شرق .؟

كانت المعركة فى القنطرة شرق صعبة لاسباب عديدة منها أن موقع الهجوم المصرى فى الضفة الغربية منخفض (أرض زراعية) وموقع العدو مرتفع فى الشرق ، كما ان ارض المعركة ليست جافة معظمها (سبخ) لا تصلح للسير ولا التحرك العسكرى شرقا او غربا كما ان تحصينات العدو فى الشرق خط بارليف وهى من أكبر تحصيناته .

وقد حاصر القائد المدينة بسرعة وانقاع لوى .

وكانت أمامه ٧ نقاط لخط بارليف ، وكانت مسألة المواجهة ٣٧ ك.م فاختار أولا ان يركز قواته وهجومه على امتداد ١٨ ك.م . فقط

امام النقاط الرئيسية وهى أربع ، واقتصر ضربه على النقاط المتطرفة شمالا ويمينا بالضرب بالنيران ، واختار اولا ان يهاجم النقطة الاولى ، والنقطة الرابعة .. وان يحيطها بدرع من قواته خلفهما حتى يكون فى وضع يتصدى فيه لاحتياطات العدو الخلفية عند تقدمها .

تم احتلال مصر للنقطة الاولى والنقطة الرابعة بعد ٢٥ دقيقة من العبور بالمشاه والاسلحة الخفيفة ، ورفعت القوات المصرية الاعلام فيهما وبدأ حصار المدينة بعد ٣٥ دقيقة ، ثم هاجم القائد المنطقة الثانية واحتلها ثم سقطت النقطة الثالثة التى قاومت بشدة حتى الساعة الثامنة من المساء .

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلى حوالى الساعة الثالثة الا ربعا واستمرت هجماته المضادة حتى الغروب فى الساعة السادسة مساء فشلت هذه الهجمات المضادة أمام مقاومة المصريين بالاسلحة الخفيفة ، وكان العدو يهاجم من اليمين واليسار وفى المنتصف بهدف فك الحصار عن قواته داخل مدينة القنطرة ، وفى السادسة والربع مساء ركز العدو ضربة شديدة على الجانب الايمن ، واخترق الحصار المصرى فعلا وتخلت القوة المصرية عن مسافة تتراوح بين كيلومترين ونصف وثلاثة كيلومترات الى الوراء وركز القائد المصرى مواقعه الدفاعية بسرعة ، وعلى اعماق متتالية ومن هنا اطمأن الى ان العدو لو انه اخترق هذه الدفاعات فانه سيكون فى مصيدة نيران من جميع الجهات ، وكانت مساحة هذه العمليات بعرض من ٦ الى ٨

كيلومترات ، واستمرت المعارك طوال الليل وكانت الدبابات المصرية قد عبرت (على المعديات لا على كباري ٠)
المقاتل في اليوم الأول -

وكان يمكن ان تؤدى نجاح هجمات العدو الى نتائـــج خطيرة لانها اولا عطلت قدرتنا على عبور الدبابات وبعد تركيز الضرب على المعديات ثم قوة الهجوم الاسرائيلي على الجانب الايمـــن ٠٠ لذلك لم نتمكن الا من عبور عدد بسيط من الدبابات فقط كل ساعة ٠

ولكن الاختراق من الجانب الايمن لم يفلح ٠ لقد استعاد العدو الموقع الحصين شمال البلاح ٠ ثم استعدناه واستمر المونـــع طوال الليل مناصفة بيننا وبين العدو ، ولكن الجندى المصرى لم يخرج منه أبدا ٠

ولا ننسى اننا فى الساعة السادسة والنصف من مساء ٦ أكتوبر قضينا على اللواء المدرع الذى يقوده عساف ياجورى وبذلك تكون قـــد انتهت المهمة الاولى المكلفه بها قواتنا فى الفرقة الثانية وهى تدمــير الاهداف القريبة ٠

حاصرنا النقط القوية وتم الاستيلاء على نقطة منها ، وتم عـــزل ٣ نقط وحصارها ، ولم يتوقف القتال ٠٠

بدأ لواء مدرعات العدو ٠٠ الرابض خلف موانعه ويســـــى (الفليز) الهجوم بأكثر من ٣٥ دبابة تتقدم بأصوات رهيبة ٠٠ وكنا الاث مشاة ٠ ٠ دباباتنا لم تصل بعد ، امر القائد بان تهاجم هذه المدرعات

اطلق التناصر الدبابات ومعنى اطلق التناصر انها مجموعات من ٣ الى ٤ أفراد تقترب من الدبابات على بعد ١٠٠ متر مائة متر وتضربهـــــا بصواريخ محمولة بالايدى وقد تدربوا على هذه العملية آلاف المـــرات خلال السنوات الماضية •

وكان هؤلاء المقاتلون يختارون بمواصفات خاصة حتى يكـــون التعاون بينهم كاملا •

تقدمت مجموعات المشاه

ضربت كشافات الدبابات اولا • ومر جزء منها •

أطفأ العدو باقى كشافاته •• واعتمد على الاشعة تحت الحمـــراء •• وهى محدودة المدى •

تقدمت الاطقم نحوها •

هاجمت بعدد كبير •• ودمر منها ١٢ دبابة •• حدث الارتباك • اختلطت الدبابات فقدت اتجاهها ــ بعضها ضرب بعضه •

كانت هذه المعركة من اولى مفاجآت ضرب المدرعات بواسطة المشـــاة مشهد الدبابات مخيف ــ حجم كبير ــ صوت مفزع ــ مجهزة بمدفعيـــة ابسط اسلوب للهجوم عليها ان تقترب منها جدا وتكون فى حماية من ضربها لكى تهاجم الفيل (اليد تحت ودله) كما يقول المثل العامى ــ وكان هذا المثل هو التطبيق العملى لحرب المشاه للدبابات ــ انها عملية انتحارية تحتاج الى شجاعة ــ حسن رماية ــ لياقة بدنية ــ وقد ساعد فى معركـــة

(لواء المليز) .. ان احدى دباباته انفجرت وظلت مشتعلة طوال الليل مما سهل لرجالنا الضرب بالصواريخ بعد الضربات الاولى تقدمت كتيبة دبابات اخرى للعدو وهاجمت من اليمين ودخلت وسط قواتنا ، لم يبق الا دبابة واحدة كلها دمرت وهربت الدبابة الوحيدة وسارت على غير هدى الى ان ضربت وتوقفت ـ وتم اسر طاقمها .

كيف تقدم القادة الصفوف في هذه الحرب . ؟

وسط كل هذه النيران لم ينس القائد عروسه ، ولم ينس انه استمتع بيوم واحد من شهر العسل .

وقد عاد البطل بعد وقف القتال ورتبة اللواء على كتفه .

الساعة الخامسة ، فرقة المشاة كلها على الشاطىء الآخر وكتيبة برمائية عبرت من منتصف بحيرة التمساح ، وكانت هذه هى المفاجأة لان هذه البحيرة مشطوبة عليها من العسكريين فى اية خطة لان الماء ضحل ، ولا يصلح لاى عبور ، ولكننا أخذنا المواقع والاساليب التى لا يتوقعها العدو ـ إستفدنا تماما من الدروس السابقة .

وكان قائد الفرقة قد عبر وهذا هو ما التزمت به ملحمة ٦ أكتوبر ان يكون القائد فى المقدمة وسط الجنود يدير المعركة معتمدا على الرؤية فى قلب اللهيب وقد نتج عن هذا نسبة خسائر كبيرة فى القيادات لم تحصل فى اى حرب غيرها .

استولى الجنود على المصاطب الترابية فى الشرق .. تسللوا بأسرع ما يمكن القائد فى موقع قيادته الجديد .

الالتحام الاول بدأ بعد ٤٥ دقيقة من العبور .

المشاه المصريون أمام دبابات العدو والتى بدأت تهاجم من الجانبين بالاحتياطى القريب — اشارات عديدة تصل الى القائد — (ظهـرت دبابات . انني قادر على تدميرها — (دمر)

فشلت الهجمات المضادة — القائد يصدر أوامر بالتقدم شرقا لتنفيـذ المهمة الثانية — الكل يجب ان يكون فى موقعه على الخط الجديـد على ابعاد تتراوح بين ٤ . ٦ ك.م. شرقا الكل يستعد للضـرب انتظارا لوصول مدرعات العدو

هذه احرج الاوقات — الوقت المحدد لعبور الدبابات . ووصولها الى المواقع الشرقية هو التاسعة مساء . ٢٠ دقيقة على احسن تقديـر المشاه ستظل وحدها تقاوم هجمات المدرعات .

ماذا لو نجحت هجمات العدو قبل ان تعبر الدبابات ؟ ستستطيـع دبابات العدو ان تصل الى الشاطىء — ستوجه نيرانها على المعابـر والكبارى — وتعوق العبور — لقد دمرنا الاحتياطى الاول — بقى امامنا الاحتياطى الثانى من مدرعات العدو — لحظات فاصلة سنقاتل بشراسـة مهما كلفنا الامر — هذه هى الحماية الحقيقية للعبور بل لكسب المعركة كلها . لقد قدرنا ان تنجح هذه المفاجأة التكتيكية وهى تواجه تسليـح مدرب على الضفة الشرقية فى توقيت لا يتوقعه العدو . وفى امكنة تفاجـىء هجماته المضادة .. كان المكان الذى تم فيه العبور مفاجأة .. استخدام

البرمائيات كان مفاجأة .. الانتشار السريع فى اماكن مجاوره لمواقع العدو الحصينة .. كان مفاجأة .. المشاه تواجه المدرعات مفاجأة ولكن هذا كله لا يمنع ان عبور الدبابات هو المقياس الفاصل للنجاح لان القائد كان يواجه موقفا رهيبا عندما يرى قواته من المشاه فى الشرق .. واسلحته فى الغرب ، وبينهما القناة — اى اختلال فى التوقيت يهدم الخطة كلها .
من الخطأ الفاحش أن البعض اعتبر العبور نزهة .

وفى الساعة التاسعة والدقيقة ٢٠ بدأت الدبابة الاولى تعبر اى بعد سبع ساعات وربع من قيام الحرب

العبور لم يكن نزهة — طائرات العدو تغير — مدفعيته تضرب — ضوء القمر النصفى لا يسعف — قذائف الانوار تنطلق — دبابتان برمائيتان غرقتا فى الماء — الكوبرى الاول تعطل — المرساه لم تكن مضبوطة تماما فرست دبابة عنده وصولها — وراءها مئات من الدبابات واقفا . ضربة من العدو ممكن ان تحطم العبور كله — ولكن يجب ان يصل الى الضفة الشرقية ينتشل الدبابة — المهندسون الابطال يصلحون مرساة الكوبرى الدبابات الواقفة تتقدم . الدقيقة لها ثمن هو الانتصار أو الانكسار .
الكوبرى الثانى ضرب . لا بد من ابدال الوصلة من احتياطى قطع الكبارى المخبأ على الشاطىء — اقتضى الامر بعد ذلك تحويل الدبابات كلها الى كوبرى واحد والفاصل بين الكوبرى رقم ١ والكوبرى رقم ٢ يزيد على ٥ ك . م .

ولنتصور تحويل عبور الدبابات من كوبرى الى كوبرى والنيران تغطى السماء والقائد فى الشرق يستعد لتطوير الهجوم ليواجه هجوما اسرائيليا مضادا

ولقد شهد المراسلون العسكريون الاجانب بان مرور العبور بالدبابات كان اكثر تنظيما من مرور السيارات فى القاهرة .

القوات تتدفق وحدة لها نور خاص ملون حتى تعرف مرابضها ولهـا دليل يقودها الى المواقع ، ومن الممكن ان تتخيل الصورة فى الظلام والعابرون فى النهاية وصلوا الى اكثر من ٥٠ الف مقاتل فى الجيش الثانى فقط ، وحتى صباح يوم ٧ أكتوبر ، وعلى اتساع الجبهة العريضة وبمختلف الاسلحة التى تعرفها الحرب الحديثة .. وبكل الاجهـزة الدقيقة العدو يزداد ارتباكه ـ العدو يطلق النار فى كل اتجاه .. تائهت دبابتان للعدو وسط قواتنا . وجدناهما على الطريق ـ تـم تدميرهما على الفور ـ تراشق النيران مستمر ـ العبور البالغ السرعـة افقد العدو القدرة على القيام برد فعل ، لا هجوم الليلة على مواقـع بارليف القوية . المهم محاصرتها واسكات نيرانها لمنعها من الانسحاب ونحجب وصول اى امدادات اليها ، كل الجهود فى مواجهة الخطـر مركزة الان من الهجمات المضادة المتوقعة من احتياطيات العدو فـى العمق . اول هجمة مضادة فى العاشرة مساء من احتياطى العدو ، نقط الملاحظة تتقدم . التصنت على الاصوات ـ استراق الاشارات للعـدو اللاسلكية ـ المعلومات تتجمع .. القائد مع مجموعة القيادة يستعـد للمعارك المقبلة .

المحاربون فى الليلة الاولى لم يتطرق النوم الى اجفانهم .

يوم ٧ أكتوبر — القائد منذ الفجر يتفقد كل مواقع القوات ، الاوامر مستمرة لتعديل المواقع ، وحل المشكلات المفاجئة ، عبور الدبابات مستمر ، العدو يبدأ هجوما كبيرا فى الثامنة والنصف صباحا فى الجانب الايمن للقوات من اتجاه قوة الهجوم ٥٠ دبابة ووحدة مشاة ميكانيكية امكن صدها وتحقق تدمير ٢٠ دبابة — المعركة على بعد ٣ك م فقط من مركز القيادة — مسرح العمليات امامه يراقبه ، ويوجهه بالعين المجردة — المعركة دائرة وطيران العدو يركز ضرباته منذ اول ضوء على جميع مناطق العبور ، حائط الصواريخ فى الضفة الغربية يؤدى مهمته بنجاح ساحق — قوات من الدفاع الجوى قد انتقلت شرق القناة — المعارك بكل انواع الاسلحة — القوات الجوية تنطلق فى طلعات اعتراض ، الملاحظ اننا تمكنا من كسر موجات هجمات العدو بالطيران — كانت على ارتفاع منخفض كل موجة من ٨ طائرات الى ١٢ طائرة ، وكل مجموعة اربع طائرات ، الاخبار سارة — الضرب على المعابر غير مؤثر بسبب كفاءة الدفاع الجوى ، الغرور الاسرائيلى هيأ لهم انهم قادرون على ما فشلت فيه قوات الطيران الامريكى فى فيتنام . (قالت البعثة العسكرية الامريكية التى جاءت الى المنطقة لدراسة حرب اكتوبر " ان اسرائيل لم تأخذ العبرة من درس فيتنام) كل هذه الطلعات لم تحدث اصابة مباشرة الا فى كوبرى واحد — صاروخ اصاب احد البراطيم — فك البرطوم ابدل بآخر من الاحتياطى المجهز على الشاطئ الغربى ..

هجوم ثان من العدو بالمدرعات عند الظهر من نفس قطاع الهجوم الاول

قوة الهجوم ٥٠ دبابة دمرنا ١٥ تراجع العدو واستمرت المعركة اكثر من ساعتين ـ قواتنا مستمرة فى التقدم . (الهدف الوصول الى منطقة الطالبة ، وتطويقها (الطالبة) تبه محكمة بسبب ارتفاعها ٢٩ مترا تسيطر على الارض حتى القنال ، وكانت هذه هى المهمة الاولى ابتداء من العبور مباشرة امكن تحقيق الجزء الاكبر من المهمة ـ لابد بعد ذلك من السيطرة على ثلاثة مواقع تحيط (بالطالبة) .

ابو طربوش ـ وارتفاعها ١٠٩ مترا . الخيل وارتفاعها ١٢٣ مترا .

ابو دقعه وارتفاعها ١٠٣ أمتار . بير حبيطه وارتفاعها ٨٧ مترا .على اليسار قوات الفرقة الثانية من الجيش الثانى هناك فاصل التقدم يعنى ايضا الالتحام مع قوات الفرقة الثانية وتكوين رأس كوبرى موحد اسمه العسكرى رأس كوبرجيش . . استمر الليل هادئا من المعارك حتى الصباح . ترا شاات بشعلة بالنيران . العدو يستعد لهجوم جديد ـ قواتنا تستعد للتقدم ومواجهة الهجوم .

الساعة الثالثة صباحا من حق القائد ان يستريح ساعة واحدة فقط .

٨ اكتوبر العدو يهاجم الجانب الايسر للقوات مرة ثانية فى الثامنة صباحا نفس الاتجاه ـ بدأ الهجوم بـ ٥٠ دبابة لم ينجح . العدو يعاود الهجوم فى نفس الاتجاه فى العاشرة والنصف صباحا . قوة الهجوم ٥٠ دبابة المعركة تستمر ثلاث ساعات .

قواتنا تستغل هذا النجاح لتحقيق المهمة النهائية . الاستيلاء على مواقع

الخيل وابو طربوش • وأبو وقفه •

أوامر اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بتطوير الهجوم وذلك بالتعاون مع الفرقة الثانية وفى نفس الوقت •

القوات تتقدم فى ثلاث اتجاهات كما تتقدم الفرقة الثانية فى ثلاثة اتجاهات أخرى •

الساعة الرابعة مساء والعدو يحاول الهجوم على يسار قواتنا لكى يمنع الاتصال مع قوات الفرقة الثانية — الهجوم بالغ العنف هذه المرة عند اخر ضوء أمكن التحام قوات الفرقتين — تم انشاء رأس كوبرى الجيش الثانى • تجهيزا لمواقع الحديدة — القادة يتبادلون التهانى •

تم اخلاء الجرحى والشهداء — اصلاح الدبابات التى اصبحت لا تزال قابلة للعمل — حفر الخنادق طوال الليل • مشاورات بين قادة مختلف الاسلحة لتعديل المواقع • وحدات الاستطلاع تقدم المعلومات اشارات من القيادة فى القاهرة بما التقط من اتصالات العدو • استخدام العدو حوالى ١٠٠ دبابة — تركيز متتابع على الجانب الايسر قائد لواء اليسار العقيد عادل يسرى يدير المعركة من الحد الامامى • القائد يرفض ان تقدم له معونة من اى فرد بعد ان نقل رباط الميدان فى وقف النزيف المقاتل الشامخ يقلل الجرح برمال سيناء • لم يكن مجرد جرح لقد فقد ساقه بأكملها — طارت الساق من عنف الاصابة — استمر يقاوم نزيفه بساق واحدة وهو يصدر امرا لا يقبل المناقشة (استمروا فى القتال) — القذائف

تدوى زوابع الرمال تغطى المكان كله ـ صرخات انتصار وصرخات موت وصرخات هزائم • دبابات تحترق ـ احياء يتحولون الى فحم فـــى دقائق ـ القتال لا يتوقف واخيرا وبعد اكثر من اربع ساعات ـ قــدر العدو ان تقدمه مستحيل • بدأ يتراجع •• قائد اللواء البطـــل العقيد عادل سليمان يسرى لا يزال يتابع المعركة بساق واحدة ـ رمال سيناء لم تلو على اندفاع الدم • كان دمه متعطشا الى مزيـــد من الرمال ـ لواؤه يسجل الانتصار والعدو يتقهقر • وامتزجت دمــوع الانتصار بدموع الالم من عيون رجاله ـ تم اخلاء العقيد البطل الــى المستشفى حيث اسعف بالعلاج ـ حضر الى القيادة من روى قصــــة الجريح البطل ، ابلغت قيادة الجيش الثانى باشارة عاجلة ، فى نفـس اللحظات يتلقى اشارة مفرحة •

قائد اللواء المكلف بمهاجمة نقطتى الدفرسوار انجز مهمته ـ اتم هجومه من اجناب الموقعين الحصينين • ومن الخلف • الاشارة تقول " تــــم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار • تم اسر ٣٧ من قوات العدو الرد الف مبروك ارجو ان يتم التماسك بهذه النقطة ولا يسمح للعــدو باسترداد ها مهما كانت الاسباب ـ رحلوا الاسرى الى الخلف •

يتبين ان اثنين من الاسرى من قوات البوليس الدولى • قالا " ان قصـف المدفعية المصرية حول كشك البوليس الدولى الى قطعة من النار ، ولذلــك اضطر الى الاحتماء داخل ملاجىء الحصن ، وانتهى هذا اليوم وطويـــت

هذه الصفحة بصفحة جديدة بدأت بيوم ٩ أكتوبر .

٩ـ اكتوبر . لقد قال القائد ان العدو حتى الآن لم يقم بالهجمات الحاسمة النهائية ان محاولة منع الالتحام مع الفرقة الثانية كانت اول مؤشر لضرباته القوية المقبلة . طوال ليلة امس . الاستعداد لهذه الضربة المعلومات تقول انه حشد اللواء المدرع ٦٠٠ بالاضافة الى القوات الموجودة اصلا لديه فى التاسعة صباحا بحوالى ١٥٠ دبابة ـ الاستطلاع يقول . " ان هجوم العدو على شكل نصف دائرة .. القائد يقدر الموقف سريعا .

كان العدو يبحث عن نقطة ضعف ينفذ منها .

ليس هدف العدو هذا الهجوم المواجه ليست هذه كل قوته .

الهدف هو ان يشغل قوات المواجهة حتى يختار نقطة ضعف ليخترقها بقوة وبسرعة وباعداد ضخمة لا تزال فى الخلف . وبذلك يشطر قطاع الفرقة الى شطرين وعليه يستطيع الوصول الى شاطىء القناة .

ولهذا احتفظ القائد بجميع الاحتياطات فى الخلف وعلى الاجناب حتى يتبين تجاه الضربة الرئيسية للعدو .

فى التاسعة والنصف اندفع العدو الى منتصف التشكيل بقوة اللواء المدرع ٦٠٠ بالكامل .

احتياطينا المدرع والمضاد للدبابات يدخل بهجمة مضادة عنيفة . القتال لم يتوقف ..

العدو يحاول شغل الاجناب ويعود الى الالتحام من الوسط قواتنا

تتصدى ببسالة خارقة .. المواجهة بين الدبابات لاتزيد على مائة متر فناصة الدبابات يقومون بأعمال خرافية .

الاقتراب بخفة امتار من الدبابةالمهاجمة لا يخيفهم .

مجموعة منهم دمرت ٢٩ دبابة على التوالى .

العدو يرد ولكنه يعاود التقدم .

محاولات مستميته من الاسرائيليين لنقل جرحاهم .

الدبابات تحترق كأنها من خشب .

قائد الجيش الثانى اللواء سعد مأمون يتابع المعركة دقيقة بدقيقة ويعاون الفرقة بامكانيات عديدة .

الساعة السابعة مساء . القائد العام الفريق احمد اسماعيل يرسل برقية مكتوبة الى العميد عبد رب النبى حافظ يشيد فيها بموقف الفرقة البطولى فى صد وتدمير اللواء المدرع الاسرائيلى .. ٦٠٠ ويتمنى للقوات استمرار النصر .. العميد عبد رب النبى يأمر بابلاغ تهنئة القائد العام الى قادة اللواءات ومنهم الى الجنود ..

الروح المعنوية فى قمة ازدهارها .

فقدنا اليوم الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء الاوسط .

كان فى سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية ضد اقوى هجوم على رأس شاطىء الفرقة فى كثيب ابو طربوش ..

كان فى سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية فى الخط الامامى يواجه

خطر الموت كل لحظة • ارتد الهجوم ولكن طلقة دبابة اصابت سيارته فتحولت بمن فيها الى رماد في لحظات •

١٠ أكتوبر يوم مشهود هجمات العدو لم تتوقف

بدأت فى الخامسة صباحا • نفس الهدف اختراق التشكيل من الوسط للوصول الى القناة •

الهجوم فى هذه المره بأعداد الى سبعون دبابه بعد تمهيد المدفعية والطيران — ولكن العدو لم ييأس ••

بدأ هجوما ثالثا على يمين التشكيل فى الخامسة من المساء • وانتهـــى ايضا الى انسحابه •

الخسائر كبيرة من الجانبين فى العتاد والارواح •

فلسفة العدو القتالية انه يتجنب دائما الخسائر الكبيرة •

وهو يحاول بالحيل العسكرية ان يختار مناطق الضعف • ويجهدا ستغلالها وهو يستخدم اسلوب الارباك فى اكثر من جهة باعداد قليلة • ثم يلتحم بكل قواه وهو يقاتل الى آخر المدى •• وهو فى اليومين الاخيرين كـــان قد تمالك نفسه وتخلص من ارتباك مفاجأة العبور • ونظم قياداته •• وهـــو فى كل مرة كان يريد ان يحقق هدفا واحدا : • الاختراق — بأى ثمـــن للوصول الى شاطىء القناة ثم العبور الى الغرب•

١١ أكتوبر هجمات العدو المضادة مستمرة — التركيز على الجانب الايسر الهجمات لا تزال قوية •

ضعف هجمات العدو .. وضوح الارهاق .. كان ينتظر تجمع الاحتياطات استولينا على النقطة القوية من خط بارليف فى تل سلام . رفع عليهـــــا العلم المصرى — نجا الشهيد عبد رب النبى من الموت بأعجوبة . وهــذه هى المرة الاولى التى ينجو فيها من الموت .

١٣ أكتوبر بدأ العدو يسحب قواته من الجانب الايسر — سحب النيران لا تزال تملأ الفضاء — احتياطيات جديدة للعدو تصل من جبهة سوريـــا معارك تصادمية بالدبابات بدأت من السادسة والنصف صباحا . لم يحقق العدو أهدافه — بدأت تظهر اسلحة جديدة فى القطاع الشمالى — استولينا على دبابتين دالرتين هرب منها الافراد دون اصابة الدبابات — عــدد الدبابة كان متوقفا عند الكيلو ١٧٠ .

من هنا عرف ان الامدادات الامريكية تصل الى العريش مباشرة .

يوم ١٤ — أكتوبـــــر مبادءة فى الثغرة .

وفى هذا اليوم استغاثت بنا سوريا لان دمشق كادت تسقط ولم يكن بيـــن اسرائيل وبينها سوى ٢٠ك.م وبرغم ان سوريا كانت تسلحها روسيا بأكثر منــا نكاية فينا لان التقارب كان تاما بينهما فقد خسرت سوريا فى يوم واحد ألفــا ومائتى دبابة .

لذلك لم يكن هناك كما قال الرئيس السادات لان ندفع بالفرقة ٢١ المدرعــة الى الشرق . والواقع انه لم يكن فى خطتنا ان ندفع بهذه الفرقة الى الشرق وكنا اعددنا منطقة قتل فى سيناء . وكان قائد يرنا أن اليهود سيندفعون الى هذه

المنطقة من باب الغرور العسكري لان المفروض الا يندفع احد الى منطقة القتل عسكريا لان هذه المنطقة كل ما يظهر فيها ينبغي القضاء عليه حتى ولو كان من بين ما تعرض له لواء عساف ياجوري الذي قضى عليه في عشرين دقيقة ـ وكان المفروض ان مثل هذا اللواء يستمر سنة او سنتين • ولكن لما استغاثت سوريا وخشينا على دمشق من السقوط ـ وافقت للمشير احمد اسماعيل على انتقال الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق حيث اشتبكنا مع اليهود وقلت نسبة خسائر اليهود بالنسبة لنا من ٣ ـ ١ الى ٢ ـ ١ وكانت النتيجة ان خسائر الدبابات عندنا بلغت ٥٠٠ دبابة كما بلغت سوريا ١٤٠٠ دبابة ، وخسائر اسرائيل اكثر من ١٠٠٠ دبابة •

يوم ١٥ ـ اكتوبر •

الثغـــــــرة واتجاه إسرائيل لتوسيعها

لقد كان الجيش الثاني والثالث يحتلان المسافة من السويس الى بورسعيد اى حوالى ١٨٠ ك•م وكان هناك مفصل بين الجيشين والمفصل دائما هو نقطة ضعف فنبهت الاقمار الصناعية الامريكية الى هذا المفصل وهذه النقطة الضعيفة بعد ان استغاثت سوريا بمصر لان اليهود كانوا على بعد ٢٠ ك• مترا من دمشق وطبعا روسيا هى التى كانت تشد ازر سوريا وتوسعها فلما رأت روسيا ان مصر مشغولة واليهود يبحثون عن ثغرة

لينفذوا منها الى الغرب فلم يجدوا هذه الثغرة فتعاونوا مع سوريا وطلبوا منها ان تستنجد بمصر فما كان من مصر الا ان نقلت الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق لتشتبك مع اليهود حتى تخفف الضغط على سوريا ولذلك عندما أعطت الاقمار الصناعية الامريكية اشارة الى اليهود ودلتهم على هذه النقطة الضعيفة جاء اليهود اليها ثم فتحوا فيهـا مسافة بلغت ٦ ك٠م ولم يتزحزح الجيش الثانى او الثالث عن موضعهما ففى الساعة العاشرة مساء ١٥ ــ اكتوبر ليلة ١٥/١٦ تمكنت قوة صغيرة للعدو تتكون من ٧ دبابات ان تصل الى غرب القناة بالبحيرات المرة وفى هذا الوقت بالذات كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قد فاجأه المرض منذ صباح ١٤ أكتوبر حيث اصيب بنوبة قلبية ونقل من مقر قيادته الى المستشفى وتولى رئيس اركانه مسئولية القيادة الى ان عين اللواء عبد المنعم خليل قائدا للجيش الثانى ٠

وكانت اولى الاخطاء التى ساعدت على اتساع هذه الثغرة ان القيادة العامة لم تبلغ ــ لقد اكتشف رئيس اركان الجيش الثانى هذا التسلل ، ولم يبلغ القيادة العامة الا فى صباح يوم ١٦ ــ اكتوبر وكان تقدير رئيس الاركان انه تسلل بسيط وان فى وسعه ان يتعامل معه دون حاجة الى القيادة العامة كان رئيس الاركان ليس مستقرا على قرار بل كان يتظاهر بأن الدبابات اتجهت الى الشمال ، وبعضها اتجه الى الغرب ، وبعضهـا اتجه الى الجنوب عادت الى الشمال زاد عدد الدبابات المتسللة الى

٣٠ دبابة بعد أن كانت سبع فقط وبالعكس كانت الثغرة أكبر مما تصورها القائد المحلي ، ورأت القيادة العامة عدم ترك الموضوع للقائد المحلي ، وانه يجب ان يعالج على مستوى القيادة العامة .

صدر الامر باستخدام لواء كامل من احتياطي القوات بالغرب ، ولكن مقاومتنا للدبابات لم تنجح لان الدبابات تفرقت في المنطقة الجبلية في عدة جهات وكانت لها حماية طبيعية ، واستشهد في هذا الهجوم قائد لواء ، وقائد فرقة ، وقائد كتيبة .

اتسعت الثغرة لأن الفريق الشاذلي ذهب وذاق خانتها .

يوم ١٦ - اكتوبر ضربوا موقعين من مواقع الصواريخ حتى المساء وقد كلف الفريق الشاذلي بان يكون في الاسماعيلية بعد ساعة ونصف لتطويق بحيرة الدفرسوار بحيث ينحصر اليهود في هذه المنطقة - ولكن بعد ثلاثة ايام اتصل الفريق احمد اسماعيل بالرئيس السادات بعد منتصف ليلة ١٩ أكتوبر ليقول له ان رأى الشاذلي ان ننسحب من سيناء ، ولكن الرئيس السادات لم يقبل هذا الرأى واستطاع ايقاف القتال عند خط ٢٢ أكتوبر وهو الخط الذى كان يسميه العسكريون المصيدة ، لم يكن الشاذلي يعارض وقف النار كما اشيع ، وانما كان يطالب بالانسحاب من سيناء وعين الرئيس الجمسى بدل الشاذلي رئيسا للاركان وبقى هذا القرار سرا طيلة شهرين وعين الشاذلي سفيرا في لندن ، واستمرت القوات المصرية في مقاومة العدو في الثغرة وبذلنا مجهودا كبيرا نتيجة لخطأ القائد المحلي

وهو الفريق الشاذلي وعرض قائد الجيش الثاني سعد مأمون .

ولو تدارك القائد المحلي الدبابات وعددها سبع فقط لاستطاع ان يبيدها ، ولما دخلت بعد ذلك دبابة واحدة ولكني اعتقد ان عدم الاخلاص والحقد كان له دخل كبير في اتساع هذه الثغرة مما جعل اليهود يقفون في المساومة مع مصر موقفا صلبا ، ولولا ان الرئيس السادات كانت عقليته متفتحة وملهما في حواره مع كيسنجر لتغلب عليه الجانب الثاني الذي كان يؤيده هيكل رئيس تحرير الاهرام الذي كتب في جريدته وتحت العنوان المفضل عنده بصراحة كتب يقول " انا كل ما أقوله انه ليس هناك نصر أو هزيمة ولا معنى لهذا انه يقول لكيسنجر اذا كنت تريد الفصل بين الطرفين فليرجع من كان في الشرق الى الشرق ومن كان في الغرب الى الغرب) ولكن كيسنجر كان نظره ابعد مما رآه هذا الهيكل لانه عرف انه يتكلم عن غرض وكان فعلا يهدف السلام بين مصر واسرائيل .

وقف القتال يوم ٢٢ اكتوبر

كانت المفاوضات دائرة والقتال مستمرا الى أن كان يوم ٢٢ أكتوبر أوقف القتال ولكن العدو لم يوقف هجومه بل اراد ان يحقق نصرا في الغرب حتى يستطيع ان يقول ان مصر حققت نصرا في الشرق ، ونحن حققنا نصرا في الغرب ، ولذلك فان اسرائيل شددت الضغط على السويس ، وحاصرتها ، واستولت على المحاور الموصلة اليها ، ولكنها لم تستطع ان تدخل البلد والدبابات التي دخلتها دمرت داخلها ، ولم يستطيعوا دخول المدينة برغم تشديد الحصار

والغارات عليها .

وقف القتـــال الفعلـي

لقد تم وقف القتال الفعلي ظهر يوم ٢٨ أكتوبر بعد وصول قوات الامم المتحدة ، واعتبارا من ٣١ أكتوبر بدأ تنفيذ حرب الاستنزاف مخططه ضد العدو غرب القناة وشرق القناة - كانت امامنا مهمة رئيسية وهـي الا نسمح للعدو بتمركز أو يقيم خنادق ويثبت اقدامه في الغرب الـى ان يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة ، وقد وضعت خطـة لهجوم شامل ونوقشت هذه الخطة وصدق عليها القائد العام وتقـرر أن يعين لقواتنا في الغرب قيادة منفصلة تقود جميع القوات لتصفية الجيب وتترك قوات بدر في الشرق تقاتل معركتها ، وفعلا سلمت الخطة لجميـع قيادات القوات المسلحة ، الطيران - الدفاع الجوى - البحرية - واختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم ، وتنفيذ الخطة ، وصدق عليهـا الرئيس السادات في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف كان طبقـا للتخطيط الموضوع لها -

وطبقا لبيانات الامم المتحدة كانت خسائر العدو من حـرب الاستنزاف في الثغرة كالآتي ، ١١ طائرة ، ٤١ دبابة ومدرعة ، ١٠ رشـاش ثقيل ، ٣٦ معدة هندسية ، ١٨٧ قتيلا - وكانت ساعة الصفر لتصفية الثغرة يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ ولكن طبعا ترك تحديد ساعة الصفر للقائد الاعلـى لاختيار الوقت المناسب سياسيا .

وكان عدد دبابات اليهود في الثغرة حوالي اربعمائة دبابة واستطاعت مصر ان تجمع حوالي ٨٠٠ دبابة - قال الرئيس طلبت من تيتو ان يرسل لنا بعض الدبابات فارسل لنا على الفور ١٤٠ دبابة بالذخيرة والوقود والرئيس بومدين ارسل ١٥٠ دبابة وكان عندنا مائة دبابة أخرى وضعها معمر القذافي في مرسى مطروح فأخذناها رغم أنفه وكان الرئيس بومدين دفع للسوفييت ١٠٠ مليون دولار أثناء المعركة ثمنا لـ ٤٠٠ دبابة وصلت مصر فأصبح ما عندنا حوالي ٨٠٠ دبابة ، وكان القرار هو تصفية الثغرة كما اوضحنا آنفا .

الاتفاق على فـك الاشتبـاك

في يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٣ اجتمع كيسنجر وزير خارجية امريكا بالرئيس السادات وقال له ان حاربتم من جديد فان امريكا ستقف الى جانب اسرائيل ، ونحن نعلم انكم تستطيعون تصفية الثغرة ، ولكن امريكا ستقف ضدكم وتكون مع اليهود ، فسأله الرئيس السادات اذن ما هو الحل ؟
فقال كيسنجر : " الحل هو ان نعمل فض اشتباك ويعودوا هم الى الشرق بدون قتال فسأله الرئيس السادات ومتى يمكن ان يتم هذا ؟
كان الحديث في ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ورغم هذا الاتفاق فان الرئيس السادات كان حذرا وعين قائدا للثغرة هو سعد مأمون محافظ مرسى مطروح الآن وكان قبل ذلك قائدا للجيش الثاني وقت العبور ، ولقد دعا الرئيس السادات رؤساء

كانت إسرائيل ترى أن فك الاشتباك سيسجل عليها الهزيمة .

تحرير الصحف الى اجتماع خاص فى اسوان فى الساعة ١١ مساء يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٧٤ واخبرهم بان كيسنجر حضر فى نوفمبر بعد وقف النار وانتهى معه الى نقاط ست وقال الرئيس السادات انه خير الامريكان بين فك الارتباط وخط ٢٢ أكتوبر ولكن الاسرائيليين رحبوا بفك الارتباط لان وجودهم فى خط ٢٢ أكتوبر يجعلهم فى مأزق ومعنى فك الارتباط ان اسرائيل ترحل من الغرب كاملا وترجع الى الشرق، وتدخل الى المضايق وتأخذ خطا محددا على خريطة محددة وهو عبارة عن اتفاق عسكرى، وخطنا باق كما هو تعدل بارض زيادة ـ العمليات متساوية تماما ـ متوازية مع خطنا من القناة الى الشرق ـ خطهم من امام المضايق الى الخلف الانسحاب سيتم فى ٤٠ يوما . لجان العمل ستراقب واول تنفيذ للاتفاق سيكون فك حصار السويس وفرقتى الجيش الثالث ويوم يتم هذا نعامل امريكا كما نعامل اوربا فى حظر البترول، وكانت فكرة فك الارتباط هى فكرة الرئيس السادات لانه قبل حضور كيسنجر ارسل اسماعيل فهمى وزير الخارجية الى امريكا وقال لهم ان خط ٢٢ أكتوبر يشكل مصيدة لاسرائيل، ولذلك حاولوا أن يأخذوا السويس او الاسماعيلية ففشلوا .

واقتنع كيسنجر بانه بدل ان يضع ثقل امريكا فى خط ٢٢ أكتوبر يضع كل ثقلها فى فك الارتباط ـ ولقد لقى كيسنجر وقتا طويلا فى تطويع اسرائيل لان اسرائيل كانت ترى ان الاتفاق يسجل عليها هزيمة لا شك فيها

سوريا عارضت الاتفاق يا يعاز من روسيا .

لانها ستترك ارضا كانت تستولى عليها ـ ثانيا ـ ستجلو عن الغرب الذى كان معها كورقة رابحة تلعب بها ، واسرائيل كانت تنتظر من امريكا ان تقف بجانبها لتزيل كل اثار الهزيمة ، ويرجع المتحاربون كل الى مكانه كما قال هيكل فى مقاله (بصراحة) ورغم ان فك الارتباط هذا قد سجل الهزيمة على اسرائيل ، واراح مصر كثيرا من تلك الثغرة التى كان سبب توسيعها بهذا الشكل الحالد وعدم الاخلاص ممن اسندت اليه بعد مرض القائد اللواء سعد مأمون برغم هذا خرج كثير من العرب كعادتهم والا لوا ان هذه تنازلات من جانب مصر ، واتصل حافظ الاسد بالرئيس السادات وطلب منه تأجيل توقيع الاتفاق الذى سيوقع غدا الساعة ١٢ ظهرا ولكن الرئيس السادات قال: "انى اتفقت وسأوقع الاتفاق ولا اقبل ان يكون أحد او دولة ولى أمرى ، ولقد وقع الاتفاق فعلا فى الميعاد الذى حدد .

وطبيعى ان روسيا هى التى اوعزت الى الاسد بأن يعرقل هذا الاتفاق بأية وسيلة لانها كانت ترى بان هذه الثغرة تشكل عبئا على مصر وهذا العبء حتما ستقابله بمجهود حربى كبيره وهذا المجهود سيضنيها اذا ما دخلت امريكا بجانب اسرائيل دخولا مباشرا سيما وان روسيا رفعت ايديها عنا من ناحية المساعدة ، ولكنها لم ترفعها من ناحية الضغط علينا فاذا كان هذا الاتفاق يحمل بين جوانبه ان اسرائيل ستجلو عن هذه الثغرة دون ان تراق قطرة واحدة من الدم ، وانها ستترك لنا كل الاراضى التى استولينا عليها ـ فان هذا ولا شك سيريح مصر وسيجعلها تلتقط أنفاسها ، ولذلك

ثارت ثائرة روسيا ، وحرضت الاسد على عرقلة الاتفاق الا أن الرئيس السادات كان حصيفا فلم يلتفت وراءه ، وسار فى طريقه ينفذ ما يمليه عليه ضميره وما تمليه عليه ارادته وارادة مصر .

وطبيعى ان الاستطلاع الذى كشف هذه الثغرة للاسرائيليين هو نفس الذى كشف لامريكا مدى استعدادنا لتصفية هذا الجيب اى ان اقتناع امريكا لم يأت عن طريق موضوع انشائى او خطبة النيت فى احتفال أو مقال كتب فى جريدة او مجلة ، ولو كانت اسرائيل ترى انها تستطيع البقاء فى مكانها دون ان يكلفها ذلك خسائر لا قبل لها على احتمالها لما تزحزحت قيد شعره ولما رأى كيسنجر استعدادنا لتصفية هذا الجيب قال للرئيس انور السادات ، "ان امريكا لا تسمح مطلقا بهذا " وانكم اذا اقدمتم على هذه التصفية فان امريكا ستتدخل مع اسرائيل بطريق مباشر لمواجهتكم فقال الرئيس لماذا ؟ فقال لاننا لا نسمح لان تهزم اسرائيل هزيمة كاملة بسلاح روسى ، وان امريكا ترى ان انسب شىء هو الحل السلمى ولذا كان الاتفاق .

هل كان الاتفاق حلا منفردا او حلا جزئيا ؟

وهذا الاتفاق عبارة عن عملية عسكرية بحتة ولعها رؤساء الاركان وواضح انه ليس حلا منفردا ولا حلا جزئيا كما يقولون .

لقد جاء كيسنجر لزيارة مصر بقصد المباحثات لفصل القوات الاول مرة فى نوفمبر ١٩٧٣ واتفق مع الرئيس السادات على النقاط الست ثم تلا ذلك عودته فى ديسمبر ١٩٧٣ ثم فى يناير ١٩٧٤ ولقد ظهر من امريكا انها اتخذت موقفا مؤيدا للسلام القائم على العدل والتزمت به بواسطة الدكتور كيسنجر فى كل تصرفاتها

ذلك الارتباط على الجبهة المصرية ليس سوى تنفيذ البند الاول من قرار مجلس الامن وهو وقف اطلاق النار لكي تدخل الى تنفيذ البند الثاني من القرار ، وهو التنفيذ الفوري للقرار ٢٤٢ أما صلب القضية والجانب السياسي فيها فمكانه في جنيف بمؤتمر السلام .

ولقد ظلت المباحثات التي يجريها كيسنجر بين سوريـــا واسرائيل تتأرجح الى ان كان يوم الخميس الاول من جمادى الاولى ١٣٩٤ الموافق ٢٣ مايو ١٩٧٤ طلعت علينا الصحف بان وزير خارجية امريكـا يتوقع انتهاء مهمته غدا الجمعة ـ وأخيرا اعلن في نهاية مايو بان الاتفاق سيوقع يوم الجمعه ١٣ مايو في مؤتمر جنيف .

ولقد ضرب كيسنجر ارقاما قياسية في ساعات الطيران التي بلغت اربعا وعشرين ساعة متواصلة في ثلاث عشرة رحلة ذهابا وايابا في خمسة وعشرين يوما في مائة وخمسين ساعة مباحثات وخمسة وثلاثين الف كيلومترا طيران ، وخمس وعشرين ساعة داخل سيارة مصفحة من والى مطـار دمشق وتل ابيب ، وحقق بذلك اكبر نجاح دبلوماسي واصبح ايضا القاسم المشترك الاعظم في حل جميع مشكلات العالم السياسية .

هل جاء اتفاق فصل القوات نتيجة
ضغط امريكي على اسرائيل ؟

لقد تعرض كيسنجر لمحاولة اغتيال في اسرائيل ، كما تعرض لمحاولة ضربه . وعندما اعلن كيسنجر ان الحكومة الاسرائيلية مازالت تضع العقبة بعـد

الاخرى فى طريق التوصل الى اتفاق لفصل القوات بدأ يستخدم اسلوبا وصفته المصادر السياسية (بالضغط الاقرب الى التهديد) والامثلة كثيرة على هذا .

فى احدى مقابلاته مع دايان عندما وجد اسرائيل متمسكة بمدينة القنطرة قال كيسنجر معنى هذا ان الحرب الشاملة ستنشب مرة اخرى ويعنى أن اقول لكم " ان الولايات المتحدة لن تقف بجانبكم كما وقفت خلال حرب ٦ أكتوبر .

ماذا قال كيسنجر لاسرائيل .

ثم قال لدايان بأن الجسر الجوى الذى نقل اليكم الاسلحة والطائرات فى اكتوبر لن يعود مرة اخرى اذا نشبت الحرب الجديدة الشاملة .

بأى أسلوب مارس نيكسون الضغط على إسرائيل ؟

وايضا طلب من الرئيس نيكسون ان يمارس اسلوبا من الضغط المباشر على اسرائيل ، وبالفعل ارسل نيكسون خطابات سرية الى جولدا مائير وقد أفصحت صحيفة معاريف الاسرائيلية بان معنى هذه الخطابات ان كيسنجر سيبقى فى المنطقة حتى يتم الاتفاق ، واذا عاد وزير الخارجية الامريكى صفر اليدين فان معنى هذا لا يغيب عن فكر الحكومة والشعب فى اسرائيل ، وعلى اثر سماع الشعب الاسرائيلى بهذا الضغط خرجت المظاهرات العنيفة ضد كيسنجر فى تل ابيب والقدس المحتلة ورفعت لافتات تقول : (اسمك لم يعد هنرى كيسنجر ، وانما اصبح محمد كيسنجر) ، لم تعد كيسنجر وانما كلينجسر وهذا هو القائل .

زيارة نيكسون رئيس أمريكا لمصر

هذه الزيارة هي أول زيارة يقوم بها رئيس أمريكي لمصر لبحث العلاقات الامريكية والمصرية ، ولقد قام الرئيس الامريكي روزفلت ايام الاحتلال الانجليزي بزيارة مصر منذ ثلاثين عاما ولم تكن لزيارة المسئولين فيها ، وانما لمقابلة الحلفاء الذين يحاربون مع امريكا دول المحور المانيا وايطاليا واليابان والكل يذكر موقف امريكا منا وموقفنا من أمريكا قبل حرب اكتوبر بانها كانت اسرائيل كانها قطعة منها ، وكانت تفتح لها خزائنها وترسانة اسلحتها على مصاريعها لتغترف منها ما تشاء في أي وقت تشاء .

واليوم وبعد ان قامت حرب اكتوبر تغيرت الاوضاع وقلبت الموازين ورأت امريكا الامناص من تغيير موقفها فبعد ان واصل الرئيس السادات العمل على اقناع امريكا بحق مصر وحق العرب على مدى ثلاث سنوات وانتهى الى لا شيء "وكان الاقتناع الامريكي والعالم كله ان مصر اصبحت جثة هامدة غير قادرة على الحركة وانها بهذه الصورة لا يمكن ان يأتي من جانبها اي تهديد للسلام وليستمر وقف النار الى مالا نهاية ، واستخدام البيان المشترك بين نيكسون وبرجنيف العبارة المشهورة وهي حالة الاسترخاء العسكري، وكان قرار العالم كله اننا لسنا قادرين على الحركة كما روى الدكتور الزيات قبل بدء حرب اكتوبر بساعات ، ولكن بعد القرار التاريخي قرار ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الذي غير

الاستراتيجية السياسية والعسكرية في كل مواسم العالم لتبدأ التغيير الايجابي في السياسة الامريكية الذي يحمل مسئوليته الرئيس الامريكي نيكسون ووزير خارجيته .

لم تركب امريكا رأسها امام حليفتها اسرائيل ، وانما عادت الى المنطق الطبيعي وهو منطق المسئولية عن السلام كأكبر واقوى دولة في العالم والمواجهة الجديدة التي اختارها نيكسون لم تكن بالامر السهل لعدة اسباب :-

١ - ان القوى الصهيونية الامريكية في داخل امريكا والتي نزلت عليها الهزيمة الاسرائيلية كالصاعقة هي قوى متغلغلة في كل المواقع المؤثرة التي تسيطر على صنع السياسة الامريكية .

٢- الاخطبوط الصهيوني العالمي الذي حاول بعد ٦ أكتوبر ان يوجه نشاطه الى التحذير من القوة العربية الجديدة .

٣- الحملة الداخلية على رياسة نيكسون باستغلال فضيحة ووترجيت باسلوب يسخن ويبرد في الوقت المناسب .

٤- احتمالات تهديد سياسة الوفاق العالمي فليس سرا ان المعارضين في القيادات السوفيتية لبرجنيف المتبني لهذه السياسة هم نفس المعارضين لتسليح مصر والدول العربية باحدث الاسلحة القادرة على كسب الحروب .

وكان يمكن ان تؤدي هذه الضغوط العاتية الى ان يختار نيكسون الطريق الدموي الذي لا يحمله هذه المسئوليات ، ويعفيه من المتاعب كلها ويتأ ر

لهزيمة السياسة الامريكية فى المنطقة العربية ، ولهزيمة السلاح الامريكى فى يد اسرائيل بل لهزيمة امريكا فعلا امام الجندى المصرى .

ولكن نيكسون لم يلجأ الى هذا الاسلوب المباشر الذى كانت السياسة الامريكية تهددنا به قبل اكتوبر ١٩٧٣ ، وبذل نيكسون ومعه كيسنجر الجهد السياسى الداخلى مع القوى الصهيونية الامريكيـــة للاقتناع بنظرية والعمية امام واقع جديد فرضته الادارة المصرية والعربية . وتجاوبت السياسة المصرية والعربية الرشيدة من موقع القوة والكرامة — فاحسنت استخدام سلاح البترول .

كما ان الوفاق الامريكى السوفييتى تمكن من ان يجتـــاز الصعاب القائمة نتيجة للوجود السوفييتى فى الشرق يشاركه الآن وجـــود امريكى له فعاليه فى جهود السلام .

ولذلك فنحن عندما نرحب بالرئيس نيكسون فى بلادنا فلانـــه اختار فعلا طريق السلام .

واعطى له كل ثقله السياسى العالمى ، ولا نستطيع ان نقـــول ، " ان هذا التغيير الامريكى ليس انحيازا للعرب او تضحية امريكا باسرائيل فأمريكا مازالت متبنية لالتزاماتها الا نحو اسرائيل ، ولكن ليس على حســاب الحق العربى . ونرحب بالرئيس الامريكى ضيفا على بلادنا لتدعيم سياستنا القائمة على توطيد كل صداقة مع مصر المستقلة التى لم تفرط ولن تفرط فى سيادتها ، ولا تتحدث بوجهين ، ولا تعلن سياسة ، وتخفى اخـــــرى ،

ولا تتاجر بموقف على حساب آخر . ونرحب بالرئيس نيكسون ضيفا علـى بلادنا لاننا مقتنعون بان السياسة الامريكية التى تتبناها الآن هـى تنقل العالم من مرحلة الحرب الباردة الى مرحلة التعايش السلمى .

فك الارتباط الثانى

عودة كيسنجر وزير خارجية الى الشـرق الاوسـط .

لقد عاد كيسنجر فى التاسع من اكتوبر ١٩٧٤ الى منطقـة الشرق الاوسط بعد مرور عام كامل على حرب اكتوبر ١٩٧٣ وبدأ مباحثاته فعلا فى هذا اليوم مع الجبهتين المصرية والسورية وهى ستوضح مـاذا كانت اسرائيل مخلصة فى رغبتها فى السلام ، ومستعدة لتنفيذ الشروط التى تحققه . ام انها لاتزال تسيطر بأطماعها التوسعية ـ وبعد انتهاء الرحلة الاولى من المباحثات قال كيسنجر للصحفيين " ان اسرائيل على استعداد للتوصل بالفعل الى تسوية ذات مضمون حقيقى ـ (لقـــد استعرضت العلاقات الثنائية بين مصر والولايات المتحدة الامريكيـــة ولقد كانت مباحثات ذات طبيعة بناءة جدا ، ونمت فى ظل الجو الودى المعهود كما اكد التزام الرئيس فورد بان التقدم فى السلام لا بـــد ان يستمر على ان يعود بعد مؤتمر قمة الرباط .

كيسنجر مرة أخرى

بعد ان نجح مؤتمر القمة بالرباط نجاحا لم يكن فى الحسبان عاد كيسنجر الى منطقة الشرق الاوسط يوم الثلاثاء الموافق ٥ نوفمبر ١٩٧٤ للمرة الثالثة وقد اقترنت عودته بسحابة من التشاؤم أضفاها مؤتمر القمة الذى عقده الملوك والرؤساء بالرباط ، ووضعت امامه علامات استفهام كثيرة — هل اصبحت القضية فى وضع يسهل حله من ذى قبل ؟ أم انها تعقدت ؟ وكانت اجابة كيسنجر فى البداية ان المسألة زادت تعقيدا واصبحنا نواجه صعوبات اكثر مما كنا نواجهها — ورغم ان كيسنجر نفسه قال فى ختام احدى رحلاته الى المنطقة ان المشكلة هى عدم اتفاق الجانب العربى "فلما اتفق الجانب العربى تعقدت المشكلة " وكان الاسرائيليون يقولون ؟ (ان العرب والفلسطينيين بالذات يرفضون التحدث معهم والان اصبحت اسرائيل هى التى ترفض ولقد سافر كيسنجر فى المدة السابقة وقال ، " انه فى انتظار قرارات مؤتمر الرباط " ثم قال ، " ان المسألة لم يعد فيها اى تعقيد لان الذين يفاوضون عن فلسطين هم الفلسطينيون وهم الذين يمثلونهم زد على هذا ان الامم المتحدة استمعت اليهم ، واعترفت بهم " واصبحت القضية الفلسطينية يتولاها ابناؤها الشرعيون ولكن الامر ازداد صعوبة بالنسبة لاسرائيل لان الورقة التى كانت تلعب بها وهى الخلاف العربى قد اصبح بعد مؤتمر القمة غير قائم ، وكانت اسرائيل دائما تحرك سياستها فيما يزكى هذا

الخلاف ، وذلك التناقض، وبعد مؤتمر الرباط كان رد الفعل واضحا في اسرائيل اذ قال شيمون بيريز اننا نرفض تماما اجراء اى اتصال مع المنظمة — وقال اسحق رابين "ان القرارات التى اتخذها مؤتمـــر القمة لا يرجى منها اى خير لاسرائيل ."

بدأ تلاعب اسرائيل بكسنجر عندما طلبوا منه ان يقوم برحلة على مرتين المرة الاولى فى فبراير — والمرة الثانية فى مارس لاتمام فسخ الاشتباك الثانى .

وبالفعل بعد مقابلة كيسنجر لكل من رابين والون — ابلــغ الرئيس بانه سيحضر الى المنطقة لكى ينهى العملية على دفعتين حدد تواريخهما فى فبراير ومارس ولكن الرئيس السادات رفض حضوره على مرتين طالما ان المسائل محدده والحلول معروفة . ولذلك فانه من المفضـــل ان ينهى العملية فى زيارة واحدة كما تم فى فض الاشتباك الاول، لان حضور كيسنجر مرتين سيسبب للرئيس متاعب مع المزايدين التقليديـــين من العرب — ولكن كيسنجر اقنع الرئيس فورد بنظريته فى الحضور الـــى المنطقة مرتين فارسل فورد خطابا الى الرئيس السادات يرجوه فيـــــه الموافقة على رأى كيسنجر على ان تكون الرحلة الاولى استطلاعية والثانيـة لاتمام الموضوع — عندئذ وافق الرئيس السادات على رجاء الرئيس فـــورد . وبالفعل جاء كيسنجر فى فبراير فى رحلة استطلاع وكان الرئيس الســادات قد حدد بوضوح اهداف مصر فى المضايق والبترول، واكد عدم استعداده لاية مناقشة فى اقل من هذا ، ولكن الاسرائيليين كعادتهم أرادوا أن

تدخل المفاوضات فى متاهات تبعدها عن خط سيرها الاصلى ، من هذه المتاهات اصرارهم على انهاء حالة الحرب ، ومناقشة وضع المضايق والبترول على ان نتسلم المضايق فيحصلون على مضيق ونحن على مضيق ـ كذلك البترول الذى تقع آباره فى الشمال والجنوب ارادوا اقتسامه بنفس اسلوب اقتسام المضايق وفى الزيارة الثانية بدأها كيسنجر فى مارس وكان الرئيس فى اسوان وبدأ شوط التنقل بيننا وبين اسرائيل على مدى ١٧ يوما حاول فيها كيسنجر بكل امكانياته اقناع الطرفين بالوصول الى اتفاق لفض الاشتباك ، وبعد عشرة ايام من رحلات المكوك بين اسوان واسرائيل قال الرئيس لكيسنجر تذرع بطول البال ورجا الرئيس السادات ان يمنحه الفرصة لكى يبذل آخر جهد ممكن .

وقد اعلن الرئيس السادات انه لا انهاء حالة الحرب الا بعد الحل النهائى فى جنيف ، وفى اليوم العاشر للمفاوضات ابدى كيسنجر للرئيس السادات تفاؤله لان اسرائيل وافقت على عدم مناقشة انهاء حالة الحرب ، ولكن الرئيس لم يقابل هذا التفاؤل بتفاؤل من ناحيته بل قال لكيسنجر ان الطريقة التى تجرى بها المفاوضات توفير لذلك من البوادر والعلامات تدل على ان موقف الرئيس الامريكى ووزير خارجيته من الضعف بحيث عجزا عن الزام اسرائيل باتفاقاتها مع الحكومة الامريكية ولكن كيسنجر اصر على تفاؤله واكد انه طالما صرفوا انظارهم عن انهاء حالة الحرب فان الامل كبير فى اتمام الاتفاق .

وقد عاد فعلا كيسنجر الى اسرائيل ولكنه رجع منها بخفى حنين .
وقال : " انهم رفضوا تحديد اى خط على اساس انهم يريدون الاحتفاظ (بمويترز) (جهاز كشف التحركات عن بعد .) فى مضيق من المضايق كما انهم يرغبون فى ان يظل الخط متعرجا فى بعض المناطق ، وان تصل الى البترول عن طريق الشرق بحيث تمر الى البترول فى ارض يحتلها الاسرائيليون)

ثم سأل كيسنجر الرئيس السادات عما اذا عاد من اسرائيل فاشلا فهل يرجع لمقابلة الرئيس السادات ام يذهب الى الولايات المتحدة رأسا فقال له الرئيس السادات ليتوجه الى الولايات المتحدة رأسا .

وسافر كيسنجر الى تل ابيب حتى نفس يومين او ثلاثة وفوجئنا بوصول برقية الساعة العاشرة مساء تفيد بان بيان فشل مهمة كيسنجر سيذاع الساعة الحادية عشرة مساء ـ وكان الرئيس السادات فى اسوان ولتنها فطلب من السيد / اسماعيل فهمى وزير الخارجية اذاعة بيان الفشل فى الساعة الحادية عشرة تماما مع اذاعتهم ، وانهيار السياسة الامريكية القائمة على الخطوه خطوه بسبب تعنت اسرائيل وتلاعبها وتسبب هذا الاعلان فى ثورة الوزارة والرأى العام فى اسرائيل على رابين لاننا نجحنا فى ان نسبق اسرائيل بمدة ١٤ ساعة فى اذاعة النبأ لان رابين عقد مؤتمرا صحفيا بعد ١٤ ساعة لكى يعلن النبأ .

اجتماع الرئيس فورد بالرئيس السادات

طلب الرئيس فورد ان يجتمع بالرئيس السادات فى سالزبورج وكان معنى هذا ان الرئيس فورد يريد ان يدخل الميدان بشخصه وثقله كرئيس للولايات المتحدة بهدف الوصول الى حل للمشكلة . والحل الامثل هو ان يتم حل نهائى للمشكلة ، ولكن بالنسبة للظروف التى يجتازها الموقف الامريكى داخليا بعد ووترجيت وموقف الكونجرس من الرئيس الامريكى فان المتاح هو محاولة الخطوة خطوه مرة أخرى .

واتفقنا على ان من الممكن فى هذه المرحلة هو الخطوة خطوه مرة أخرى فى سبيل الحل النهائى ، الذى يكون فى جنيف بحضور جميع الاطراف .

ولقد كانت هناك ضغوط صهيونية على الرئيس فورد بدليل انه قبل ان يغادر فورد واشنطن على طريقه الى سالزبورج وقع ستة وسبعون شيخا امريكيا على عريضة تطالب الرئيس الامريكى بتقديم كافة الاسلحة الحديثة والمعونات الاقتصادية والمساعدات العينية الى اسرائيل لان تفوق اسرائيل هو الضمان الوحيد لاستقرار السلام فى المنطقة ولكن الرئيس فورد هون هذا العمل امام الرئيس السادات وقال له : " انت كنت رئيس المجلس النيابى وتعرف كيف يعمل الاعضاء" بمعنى ان يكتب عضو عريضة ويمر بها على زملائه ليأخذ منهم التوقيعات ، ثم قال له : أن اسرائيل لا يؤيدها من هولاء الستة والسبعين سوى اثنين وعشرين عضوا وقد اتصل به بعضهم

فعلا وقالوا له "اننا ولعنا العريضة اثناء نرفض السلام ".

وكان الاسرائيليون بعد اعلان نبأ الفشل يعتقدون ان التحرك نحو السلام قد فقد قوة الدفع واطمأنوا بعض الشيء ولكن كان الواجب على مصر الا تترك زمام المبادرة يفلت من ايديهـا ، ولذلك انتهز الرئيس السادات فرصة اجتماعه بالرئيس فورد ليضع امامه القضية ويقول له ، "ان مفتاح الموقف كله في يد امريكا لا نه لا حياة لاسرائيل بدون امريكا سيما بعد ان قال له الرئيس فورد "ان امريكا لن تسمح بتجمد الموقف او تجميده مرة اخرى ، ولما كان الرئيس السادات يعرف عن الرئيس فورد الصراحة والصدق والحزم فقد وضع امامه القضية كاملة وبابعادها من كل جوانبها ثم قال الرئيس السادات ان السياسة الاسرائيلية تقصد من وراء المماطلة والتسويف كسب الوقت وتضع في اعتبارها دائما ان العرب عاجزون عن التماسك مدة طويلة وهي في انتظار التفكك ان عاجلا او آجلا من هنا كانت استراتيجيتها لكي تكسب الوقت بقدر الامكان .

ولقد تدخل كيسنجر مستفسرا عن النقطة التي توقفت عندها المفاوضات من المرحلة الماضية ، وكنا قد وقفنا عند نقطتين

الاولى ــ مدة صلاحية الاتفاق .

الثانية ــ جهاز الانذار المبكر الذى تضعه اسرائيل على المضايق لكي تكشف به كل التحركات على جبهتنا .

وفيما يختص بالنقطة الاولى كان الاسرائيليون يطالبون بان ينص الاتفاق على ان تكون مدته من ثلاث الى خمس سنوات ، وبالطبع رفضنا هذا الشرط الذى نوقش في مفاوضات كيسنجر في مارس ١٩٧٥ وحدد الرئيس

السادات كلمته فى انه مستعد لتجديد بقاء قوات الطوارىء الدولية سنويا بدلا من كل ستة اشهر وذلك على اساس ان عملية السلام مستمرة ولا يحاول ان تجدد الاتفاقية كل سنة بينما عملية السلام متجددة وستراعى مصر فى ذلك سنة الانتخابات .

اما بالنسبة للنقطة الثانية التى تدور حول جهاز الانذار المبكر الذى يكشف عن تحركاتنا فان الاسرائيليين يبدون استعدادهم للخروج بشرط استبقاء هذا الجهاز فى موقعه ، ولما رفضت مصر هذا العرض قال كيسنجر اذن هل هناك حل من جهة مصر ليستطيع الرئيس فورد ان يتقدم به لحل هذه المشكلة ؟

فطلب الرئيس السادات من امريكا ان تتحول من موقع الخصم المعادى لنا الى موقف الخصم الشاهد المحايد فتقوم ببناء جهاز مبكر لنا شبيه بذلك الذى اقامته لاسرائيل حتى يكشف لنا ايضا عن التحركات الاسرائيلية وبشرط ان يشرف على هذا الجهاز مدنيون يكونون شهودا على تحركاتى وتحركات اسرائيل على الجبهة ، وبالطبع سيكون كسبا كبيرا لقواتنا المسلحة لاننا سنشتريه من امريكا بعد ان كنا نحاول ان نشترى اقل منه من روسيا فلم تقبل وثمن هذا الجهاز مائة مليون دولار

وفعلا اقتنع الرئيس فورد بما قاله الرئيس السادات ووضع كل ثقله لانجاز هذه الخطوة الثانية وعليه تم الاتفاق الثانى .

واستولت فيه مصر على آبار البترول بابورديس والمضايق .

واضاف الرئيس السادات الى هذا ان يتم فض الاشتباك على الجبهة السورية وان يحصل ضمان امريكى بعدم اعتداء اسرائيل على سوريا .

ان يشترك الفلسطينيون فى التسوية فى مؤتمر جنيف .

ان ينعقد مؤتمر جنيف بعد اتمام فض الاشتباك الثانى على الجبهتين .

جبهة الرفـــض

ما كاد يعلن نبأ الاتفاق الثانى حتى علت أصوات حـــزب البعث ، ومن ورائه المنظمة الفلسطينية ومجنون ليبيا والاردن ليعلنوا بان مصر خرجت عن الخط العربى ، ومصر خانت الامانة ، وان الرئيس المصرى الذى وقع هذا الاتفاق خائن ، وظلت الدعاية تملأ اذاعاتهـــم وصحفهم ، وتشوه النصر الذى حصلت عليه مصر، ولكن الله جلت قدرتـه المطلع على السرائر والذى يمهل ولا يهمل لم يدعهم دون ان يكشف الغطاء عنهم لبعد ان ملأوا الدنيا ضجيجا وعجيجا ضد مصر ولعنهـــم فى بعضهم قد خلت سوريا لبنان وكان اول خطاء كشفه الله زجاء سوريا لامريكا بان تتوسط لدى اسرائيل لتعطيها الضوء الاخضر حتى تدخل لبنان ، وتتولى هى تصفية المقاومة نيابة عنها وكان أساس المخطط هو

اشعال الحريق بلبنان حتى اذا ما دخلت مصر لانقاذها تكاثر الكيل عليها ، وأمدتهم روسيا بكل ما يريدونه من سلاح ، وفي هذه الحالة تكون لبنان مصيدة لمصر ، ولكن الرئيس السادات كان رجلا بعيد النظر فلقد قال ، "انا لا يمكن ان ارسل جنديا عربيا لهبوب الرصاص الى جندى عربى مثله .

ومسألة وساطة امريكا اذ بعث ، وقيل ان اسرائيل اشترطت على سوريا ألا تتخطى الخط الاحمر ، وفعلا دخلت سوريا لبنان بكل ثقلها ، وضربت المقاومة ضربا عنيفا ، حتى ان المقاومة كانت تريد منها وقف القتال لفترة تنقل فيها الجرحى ولكن سوريا كانت تأبى لدرجة اجهزت على الاطفال والنساء والشيوخ في تل الزعتر ، ومنعت عنهم الغذاء والدواء — هكذا فعل الاصدقاء ببعضهم الذين تآمروا على مصر من قبل ، ورجع الفلسطينيون الى مصر ليقدموا فروض الطاعة ، ويقولون لها عفا الله عما سلف ، ولكن المنتشرين منهم في البلاد العربية مازالوا يسبون مصر ، ويلعنونها حتى الذين تأويهم ، وتعطف عليهم ، وتمد لهم يد المساعدة ، ونحن نرى الذين يتكلمون باسم هذه المقاومة يعتذرون رسميا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون هذا ما كان من امر سوريا والمقاومة — اما القذافي المجنون فلقد وجد ان رسل الصلح من السعودية والكويت قد قاربا ان يجمعا المتخاصمين في مصر وسوريا فخشى ان يتم لهما النجاح فارسل جلود رئيس وزرائه

الى سوريا وطبعا كل شيء يشترى بالمال ، وطبعا رفض الصلح ، ولما وجد هذا المجنون واليد العليا التى تخطط له ان الرئيس السادات مازال كما هو كالطود الشامخ — بعث القذافى بجيش من المرتزقة كان يدرب فى ليبيا لغزو السودان ، ويقصد من هذا أن يقبضوا على السودان ويعزلوها عن مصر ولكن هذا الغزو انتهى بالفشل وكان لمصر يد كبيرة فى هذا الفشل — بعدها ارسل القذافى المجنون عملاء له يضعون القنابل فى مصر فى المحطات والمطارات والمجمعات وكان فى كل عملية من هذه يثير سخط الرأى العام عليه وكان كل مصاب فى كل اسرة او فى اى بلد يتمنى اهله واقاربه انهم لو رأوا هذا المجنون لقطعوه اربا .. اربا ..

التعليق على هذه الاحــــداث

لقد كانت هذه الفترة التى تولاها الرئيس السادات فيصلا فى تاريخ مصر ، وتاريخ الامة العربية كلها ، ولقد تسلم الرئيـــس السادات البلد ، وهى مشرفة على انهيار اقتصادى ، وعسكرى ، وسياسى لا يعلم مداه الا المولى جل شأنه .

فلقد عجزت مصر عن تسديد أقساط الديون ، وفوائدها فى نهاية ١٩٦٦ وطلبت من الدول الدائنة ان تؤجل لها الاقساط وفوائدها الى سنة ١٩٧١ كما باعت فى نهاية هذه السنة ١٩٦٦ ثلث احتياطى الغطاء الذهبى مما اثر على تدهور عملتنا وجعل الجنيه المصرى ينخفض سعره الى ٤٣٪ وكانت حرب اليمن لها آثارها السياسية التى اثقلت الدولة فيها ما يقرب من

خمسة آلاف مليون جنيه ، وهذا المبلغ وحده ، لو وزع على قرى الجمهورية كلها التي يبلغ عددها حوالي اربعة آلاف قرية لا ارتفع مستواها الى احسن ما نسمع عنه في بلاد أوربا ، ثم جاءت بعد ذلك الكارثة الكبرى ، والطامة العظمى في ١٩٦٧ وهي الهزيمة التي خلفناها بلفظ النكسة فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير ، والتي قال عنها الرئيس جمال عبد الناصر انها اضاعت من سلاحنا وعتادنا ما يزيد على ٨٠ ٪ وكانت هذه الهزيمة نتيجة لتلك الحرب التي هيأتها روسيا للرئيس عبد الناصر ، وذهب وزير حربيته شمس بدران الى روسيا فربت القائد الروسي على كتفه وقال له سر ونحن وراءك .

فلما حضر الى مصر وسأله بعض الوزراء ماذا نفعل لو ان امريكا وانجلترا ارسلتا اساطيلها الينا فقال وزير الحربية باريت يجو كنا نوريهم ، وهكذا سمينا اسلوب الصغار وطبيعي ان عبد الناصر عندما رد على الصحفيين الاجانب وقال لهم اذا تعرضت لنا امريكا وانجلترا فانهم سيجدوا قوة لا يتصورونها — هذا الرد دفعه اليه وزير الحربية ايضا وجدت روسيا بعد حرب ١٩٦٧ انها قد وصلت الى الهدف الذي تريده ، وان عبد الناصر سيجيء اليها شاكيا باكيا — وعليه كانت اوامرها تنفذ ١٠٠ ٪ لدرجة ان عبد الناصر ايهد اليها الدفاع عن مصر والتحدث باسم مصر بعد ان رأى الطائرات الاسرائيلية تغير علينا في النهار قبل الليل ، وطفت وبغت مراكز القوى ،

واطلقوا صيحة مسموسة بالا يعلو صوت فوق صوت المعركة ٠ وحلها هذا الصوت الا يلتفت احد وراءه ٠ ولا نقاش ولا جدال فى مصير هذا البلد ٠ ومن يفكر فى هذا يلق حتفه ٠

أبت الاقدار ان يموت عبد الناصر فى نهاية سبتمبر ١٩٧٠ ويترك هذه التركة المثقلة بالاوزار والآثام الى الرئيس محمد أنور السادات وهو كما اوضحت فى مستهل هذا الكتاب ان الحماسية التى رآها من سلفه بالنسبة له جعلته لا يفصح عن اى شئ عن خلفيته الوطنية التى تميز بها دون زملائه ٠

وكانت الدعاية العريضة التى تعمل لحساب جمال عبد الناصر ليلا ونهارا جعلت الناس لا يصدقون بان هناك من يستطيع ان يحل محل جمال ٠ وليس هناك من يستطيع ان يشغل فراغه ٠ ولم يعرف احد شيئا من الحقيقة الا من كان قريبا من المسرح لدرجة ان بعض المفتونين به يقولون (لقد كان انانيا لانه لم يعلم غيره الزعامة كان الزعامة هى دروس يتلقاها الزعيم من مدرسة ٠

والغريب ان السادات وهو الذى تسلم الحكم بعده قد ثبت هذه المزاعم فى نفوس الكثير ممن آمنوا بعبد الناصر

لانه لم يسمح لاى من الشعب ان يفصح عن شئ مما تميز به عهده من قسوة طاغية وظلم صارخ وكان يتصدى لهم السادات ويقول (لقد كنت شريكه فى الحكم ٠) فنظر اليه الشعب على انه هو الجانى الذى لا بد ان يأخذ حقه منه وانتهز فرصة ازاحة ذلك الكابوس الذى فرضته قوانين الدكتاتورية الظالمة ، وظل يطالب بمزيد من الديمقراطية المطلقة التى وصلت الى الفوضى ، وظل حكم السادات ستارا كثيفا يوارى حكم عبد الناصر حتى لم يعد احد يذكر عبد الناصر بسوء ، بل ان سيئات عبد الناصر أكلت حسنات السادات ، وساعد على ذلك حقد الحاقدين ، وتغير المرائضين ٠

موقف العالم اليوم وموقفــه بالامـــــس

لقد كان موقف العرب بالامس الرفض دائما ــ لا مفاوضـــــة مع اسرائيل ، ولا اعتراف باسرائيل ، ولا يمكن ان توجد اسرائيل فى المنطقة والذين يقولون هذا القول ماذا يعملون لتنفيذه ؟ لاشئ انه لا يمكــن تنفيذ أى شئ من هذا الا بالقوة ، فأين هى القوة التى يعتمــــدون عليها ؟ ان اشد جبهات الرفض التى كانت تبهج الشعارات والمزايدات كانت تلقى العبء على غيرها على مصر فى الوقت الذى كانت مصر فـــى اشد المعاناة ، وكانت محكومة لدول تحكم قبضتها على عنقها ، فمن لـــم تكن تخرج من سيطرة الغرب ، حتى دخلت فى سيطرة الشرق ، وان كنـــا دخلنا فخ الشرق بطريقة أقرب الى الشراك الخداعية التى لم يكد يتحقق منها الانسان حتى تنفجر فيه ، فالدولة التى فتحت لنا صدرها بعد الاحتلال البريطانى دخلت معنا على ان حربها للاستعمار هى مصلحة مشتركة بيننـا وبينها ولذلك أمدتنا بالسلاح الذى نستطيع ان نقف به على أقدامنــــه ولكن على ان نظل ثابتين فى أماكننا بحيث لا نتقدم خطوة الى الامام ، وزينت لنا الاشتباك مع العدو والمقيم على حدودنا وهو اسرائيل وروسيا التى رفضت لنا ذلك تعلم ان الدولة العظمى الثانية تمده بكل ما يطلب من مال وسلاح فهل هذه الدولة كانت جادة فى صداقتها لنا ؟ ومعاونتنا على هذا العدو بالعكس لقد تركته يضرب شمالا ويمينا ، وشرقا وغربا حتى جعلتنا نرجوونستنجد بها ان تدافع عنا بعد ان غدرت بنا ، ودخلنا مع العدو فى معركة أوهمـــته

روسيا لوادنا انها ستكون معهم ، ورهن اشارتهم حتى اذا ما بدأت المعركة كانت كالشيطان) الذى قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى ارى مالا ترون انى اخف الله والله شديد العقاب .

بدأت بعد هذا تظهر النوايا على حقيقتها ـ بدأت تشمت هزمنا ، وتمد عدونا بالمهجرين من شعبها الذين اتوا الى بلادنا ودرسوا امكانياتها ومعالمها ، وبدأت تمسك يدها عن ارسال السلاح الذى نحتاجه فى الوقت الذى كانت تتصاعد قوة العدو يوما بعد يوم لان أمريكا لم تتوان عن مساعدته اقتصاديا وعسكريا على اعتبار انها بذلك تواجه مساعدة روسيا لنا ، وكانت حالتنا آخذة فى التدهور يوما بعد يوم سيما بعد تلك النكسة التى لم نر لها مثيل فى تاريخ الحروب ، لانها كانت عبارة عن أن القيادة العليا قدمت جيش مصر قربانا لاسرائيل .

بعد هذا ايقنت اسرائيل وايقن العالم كله ان مصر اصبحت جثة هامدة ، وانها قد خضعت للامر الواقع .

وسعت امريكا الى خدمة اسرائيل بأن تتفاوض مع مصر فى الوقت الذى تعتبر مصر نفسها مهزومة هذه الهزيمة الساحقة حتى تأخذ اسرائيل من مصر كل شىء عن طريق شرعى لا عن طريق القوة ، ورغم هذا فان اسرائيل أنبت روجرز وزير خارجية أمريكا على سعيه هذا وقالت له (ان هذه مسائل تخصنا لا شأن لك بها ، ثم قالت لكيسنجر انك لا تعرف العرب نحن أدرى

بهم منذ انهم جثة هامدة لا قوة لهم ولا بعد مائة سنة وروسيا من ناحيتها كانت ترى ان مصر لو ظلت على هذا الحال فانها على مر الزمن ستصبغها ان عاجلا أو آجلا باللون الاحمر وسوف يتغلغل عملاؤها في كل مكان من اماكن القيادة او الاعلام ، وان القنوات التي تصب في عبد الناصر كانت نابعة أصلا من روسيا فلا خوف عليها ، وعلى نظامها من القيادة العليا ، ولا من وسائل الاعلام ، ووجود عبد الناصر كانت تعتبره روسيا سورة فقط أوروبا اما الشعب الذى تعلق به في مواجهة هذه الدعاية الضخمة التي ملأت الارض والسماء من يوم ان قامت الثورة فكان وجوده لا يضيرها في شيء بل بالعكس كان يطمئنها من هزات الشعب وثوراته .

كيف واجه السادات هذا الاخطبوط ؟

لما تغير الوضع بعد وفاة عبد الناصر وتكشفت الحقائق لخلفه وكشف الروس النقاب الذى كان يستر نواياهم ، لم يستطع السادات ان يسير على نهج هذا السلف بل غير البطانة كلها ، وغير الاسلوب كله بل واجه الروس بالحقائق ، وكشف ما تبين له أمام الشعب فكانت الجفوة التي حصلت بينه وبين هذا الصديق الناتج في بيتنا . استطاع السادات ابعاد الخبراء الروس واستطاع ان يتصل بالجبهة الكبرى الثانية التي في يدها الحل ــ وقد أعانه

الموالي لان وجهته الحقيقية ليست التظاهر وانما انقاذ الوطن من تلك الهوة السحيقة التي تردى فيها بعد ان اقر جميع الخبراء العسكريين والسياسيين بان هذه النكسة ستظل ملازمة لنا مهما كر الملوان وتعاقب الجديدان وكانت هذه المعجزة فعلا التي انقذتنا هي حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وكانت هذه الحرب بمثابة بوتقة صهرت فيها معادن الرجال الذين يختفون وراء شعارات زائفة فأبى الله الا ان يعريهم ويكشفهم حتى يراهم الناس على حقيقتهم عندما أرادوا أن يقلبوا الحق باطلا والباطل حقا فرفضوا هذا النصر ، اذا كنا قد وضعنا اقدامنا في أرضنا ، واستولينا على بترولنا ومطاراتنا فأين تكون الهزيمة ؟ ثم فتحنا القناة وأعدنا المهجرين الى وطنهم ، واستطعنا ان نبنى وطننا وجيشنا من جديد ، واذا كان الرافضون يرفضون مجرد المفاوضة مع اسرائيل فان اسرائيل يهمها ان يكون هذا المبدأ قائما مدى الحياة حتى تظل ارض العرب في قبضة اسرائيل مدى الحياة ، واذا كانوا يرون ان ثمن ذلك هو اعترافنا باسرائيل فهذا الاعتراف لا يقدم ولا يؤخر لان الدولتين الكبيرتين أول من اعترفتا بها .

(التــــــزام أمريكـا وروسيا باسرائيل)

فلقد أعلن كارتر رئيس الولايات المتحدة في ١٨/ ١٠/ ١٩٧٧ امام الجمعية العامة للامم المتحدة ان التزام امريكا نحو اسرائيل غـــير قابل للمناقشة ... وقال جروميكو وزير خارجية روسيا ضمن حديث لـــه في ١٧ ديسمبر قبل هذا التاريخ " انه اذا كان هناك داع للتأكيد مـــرة اخرى ان لاسرائيل الحق في الوجود كدولة مستقلة ذات سيادة فـــي الشرق الاوسط فاني بالنيابة عن القيادة السوفييتية اقول مرة اخرى" اننــا نلتزم وسنستمر بدقة بهذا الخط .

ان جبهات الرفض عندما ترمى العبء على مصر فانها لا تــرى بديلا للسلام غير الحرب ، وليس هناك من يحارب غير مصر ، فهل من المعقول ان يرموا العبء عليها ثم يكبلوها بالاغلال ليكونوا اوصياء عليها بحيــــث لا تتحرك في المجال الذى يرسمانه ـ ان هؤلاء الذين يضجون بالاصوات ضدها ولم يمدوا ايديهم لنا الا بالشر هل آن لهم ان يراقبوا الله فــــي ضمائرهم ، وان يتركوا هذا البلد آمنا يحقق لهم وللامة العربيـــــــــــة كل خير وفلاح ؟!

تلهـــم الرئيس السادات

عندما نلهم زعيما لا يصح ان نلومه وهو وسط (الزفة) لانه بهـذه الصفة نخلط بينه وبين غيره ، ولا نعرف ان كان هو الذى فعل هذا الفعـــل

او ان غيره هو الذى دفعه الى فعله .

لا نلومه الا اذا كان منفردا بالحكم يصدر الامر غير مجبر على اصداره ، ولا بد عند هذا التقييم ان نرجع خطوة واحدة الى الوراء لنعرف كيف تسلم التركة من سلفه ، وهل فرش له سلفه الارض بالورود والرياحين ، ام انه وضع فى طريقه القنابل والمتفجرات والاشواك ؟

كيف كان يسير سلفه ؟

ان سلفه جمال عبد الناصر عاش سنى حكمه كلها ثمانية عشر عاما يتربص بزملائه اعضاء مجلس الثورة ويتربصون به .

كان يجيد اللف والدوران ويقرأ ما يدور فى رؤوسهم ، فاذا رأى رأسا تعلو أمامه ازاحها من طريقه ، واذا عرف ان زميلا تأخر عن تمجيده بكتاب يضعه خصيصا لهذا الشأن عرف انه يسعى الى تمجيد نفسه ، وازاحه الطريق لكى يبعده عنه .

ولقد رأيناه بعد ان انتخبه زملاؤه رئيسا عليهم سألهم عن طريقة الحكم فأقروا جميعا الطريق الدكتاتورى فى مواجهة الاحزاب المتسلطة على الشعب ولكنه وجده انفرد بالرأى القائل بالديمقراطية ولما لم يوافقوه ذهب غاضبا الى منزله فذهب اليه السادات وصالحه على زملائه الذين خضعوا لرأيه ، ولم يلبث هذا القرار بالديمقراطية ان يسرى

النور حتى انقلب تلميذا ناجحا من تلاميذ (ماكيافيللى) وسبق زملاؤه هتلر وموسولينى وستالين .

لقد عرفنا اخيرا ان الثورة يوم قامت قام القايد يوسف صديق بمبادرة فردية على مسئوليته بالزحف على القيادة قبل ساعة الصفر التى اصبح واضحا انه لو انتظرها لانتهت جهودهم وحساباتهم الى اضخم صفر فى التاريخ ، وفى الطريق الى القيادة لفت انتباه احدى وحداته وجود شخصين بملابس مدنية يتصرفان بطريقة مريبة فقامت باعتقالهما فلما اطمأن الرجلان المدنيان الدان الدوريات ليست موالية للملك طلبا اخذهما للقائد . وقد كان والتى عندما يوسف صديق بل واصطحبهما معه وهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واقتحم يوسف صديق مقر القيادة .

(من الذى قام بالمبادرة الاولى للثورة)

واحتل القيادة الملكية ، وسقط النظام ثم يأتى انور السادات من السينما فيمنعه جنود يوسف صديق من الدخول حتى يلمح عبد الحكيم عامر منصرفا فيناديه ويقول انا أنور .

وهناك رواية عجيبة منسوبه للزعيم عبد الناصر تقول : "انه عندما رأى يوسف صديق جالسا فى مقعد رئيس الاركان كان فى الساعات الاولى من الانقلاب قال : "صممت يومها على ضرورة ابعاده الجيش عن السياسة .)

والعبارة تصحيح مفهومه اكثر لو استبدل يوسف صديق بكلمة الجيش! والذى حدث هو ابعاد (يوسف صديق) من الجيش والسياسة ليقوم الحكم العسكرى الثنائى لناصر وعامر .

(كيف اختير محمد نجيب واجهة للثورة ؟)

لا نريد ان نعلق هذه الرواية وانما نريد ان نذكرها هنا ليعرف القارئ مدى انانية عبد الناصر فى لغه ودورانه فى موضوع الحكم الدكتاتورى الذى تحدث عنه فى الرواية الاولى ، وانانيته فى ابعاد يوسف صديق الذى كان له الفضل فى انقاذ رجال الثورة جميعا وابعاده نهائيا عن مجال الثورة وعدم ذكر اسمه .

اما الرواية الثالثة : فهو موضوع محمد نجيب ـ هذا الرجل اتت به الثورة أو رضى ان يأتى به جمال ليكون واجهة يطمئن لها الشعب ولما نجحت الثورة واستنفذت الواجهة اغراضها حيكت المؤامرات حول محمد نجيب حتى اعتقل فى بلده بمحافظة القليوبية وبقى فيها حتى مات جمال وأخرجه الرئيس السادات .

صفقة الاسلحة التشيكية

اعتقد جمال ان الامور قد دانت له الا ان الغرب كان يسعى للتوقيع (وثيقة الامن المتبادل) ولما لم ينته الى نتيجة اعتدت اسرائيل على

مصر لتذكرها بانها لا تستطيع بحالتها الراهنة ان تحمي مصره ولما يئست مصر من احضار السلاح من الغرب اتجهت الى روسيا وكانت صفقة الاسلحة التشيكية لهياج الغرب لذلك لان هذه كانت اول مرة تلجأ فيها مصر الى روسيا لشراء اسلحة من الشرق ـ دخلت المسألة في صراع بين الشرق والغرب والقاسم المشترك الاعظم هو مصر وكانت هذه هي التجربة الاولى التي ظهر فيها عبد الناصر وارتفعت أسهمه ـ عندما سحبت امريكا وانجلترا قرار تمويل السد العالي ـ وذلك قاد اشياء كثيرة في ان روسيا لم توجه نظر عبد الناصر الى تأميم القناة لانه اشترى صفقة الاسلحة التشيكية ليواجه بها اسرائيل فكيف به اذا واجه فرنسا وانجلترا ومعهما اسرائيل ؟

وروسيا طبعا تريد ان تتفرغ مشاكل مصر من هذه الدول لامع اسرائيل وحدها .

استطاعت روسيا ان تدخل عبد الناصر في مستنقع
ليس له شواطـــــــــئ .

لا شك ان روسيا اطمأنت كثيرا ان يضرب غريمه وهي من ورائه ووجد في هذه الضربة مظهرا كبيرا للاعلان عن نفسه ولذلك فان عبد الناصر كان مطمئنا الى حد كبير من ناحية روسيا لدرجة انه لم يدرس اي نتيجة تترتب على هذا ـ لدرجة ان مصر كان لها رصيد في انجلترا حوالى ١٢ مليون

جنيه استرليني وفي امريكا ٦٠ مليونا من الدولارات وكان في استطاعتها ان تسحبها ولم تفعل — ولما قامت انجلترا وفرنسا بغزو بورسعيد — والاسماعيلية ترك الجيش سيناء لاسرائيل واصدر الاوامر بالانسحاب لينسحب كل فرد على مسئوليته وذلك في حرب ١٩٥٦ او العدوان الثلاثي — وكان عبد الناصر يبكي في شوارع الاسماعيلية ويقول (هزمني جيشي)(١) الى ان كان الانذار الروسي .

ولقد كتبت في هذا الكتاب حول الانذار الروسي ما فيه الكفاية وأبنت بصريح القول ان وعد روسيا لعبد الناصر كانت وعود بزالته وخاضعة ، ولكن الشعب تسامى فوق احزانه ومآسيه واخذ اربع سنوات وصمد حول عبد الناصر حتى حطم هذا الغزو ولم يكن هذا الانذار الا ما شبهته به (كجندي الآتة) كما يقول الفلاحون عندنا .

ان هذا القرار بالتأميم لم يكن واردا بل كان مفاجئا لم تسبقه دراسات ، وانما القت به العواطف في طريق العلاقات بين مصر والغرب بدافع من روسيا لان عبد الناصر وقع اتفاقية جديدة مع شركة قناة السويس قبل شهر واحد من التأميم — كذلك كان يمكن سحب جانب مهم من الارصدة المصرية في بريطانيا وأمريكا .

والواقع ان هذا القرار كان وطنيا لا شك في ذلك ، وكانت الآمال كلها تتجه اليه ولكن كانت له سلبيات ذكرتها — وان معظم قرارات عبد الناصر

---

(١) كان دخل القناة قبل التأميم ثلاثين مليونا من الدولارات تأخذ منها مصر مليونا واحدا

كانت عبارة عن انفعالات لا تحسب حسابا لما يجيء بعدها وربما كان قرار التأميم هذا كان اول القرارات خطرا لان المولى لطف بمصر بانسحاب المعتدى لظروف لا يتسع المجال لها هنا ٠

جاء بعد ذلك قرار حرب ١٩٦٧ وكان هذا القرار هو القشة التى قصمت ظهر البعير فلقد اعادت مصر الى ما كانت عليه فى عهد الاحتلال فهى محتله ٠

حرب ١٩٦٧ كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ٠

فهى محتله فى الداخل ومحتله فى الخارج — محتله بروسيا فى الداخل وباسرائيل فى سيناء كلها — والقناة التى اعتبرناها ربحا اضافته مصرا ليها اغلقت — وهجرها اهلها الى داخل مصره بل اصبح هؤلاء المهاجرون عبئا على الدولة ، وساءت الاحوال وعطلت مرافق الدولة طيلة هذه السنين ، ونضبت الخزينة ، وجف معينها وا سند الى الروس ان يتحدثوا باسمنا مع امريكا بل طلب اليهم ان يقوموا هم بواجب الدفاع عنا ، وطبعا الذى يدافع عن البلد هو صاحبها ٠

كان ذلك كله راجع الى القيادة الفاشلة التى رماها الرئيس عبد الناصر على المشير عامر ورماها المشير عامر على الرئيس عبد الناصر ٠ ولكن مهما يكن من شيء فان رئيس الجمهورية هو المسئول الاول ٠

وكان من فضائح حرب ١٩٦٧ المخزية ان قائد كبيرا قابل الفريق مرتجى فى سيناء وقال له (ماذا تعمل هنا ؟ قد عش الفريق مرتجى لانه كان

قائدا عاما للقوات البرية فى سيناء وقال له انت لا تعرف ماذا أعمل هنا؟ قال له فعلا لان الاوامر صدرت بانسحاب الجيش وانت هنا لاتدرى شيئا عن هذا الانسحاب وقيل ان الانسحاب كان يصدر تارة من شمس بدران وتارة من المشير ولا أحد يعرف المصدر الحقيقى .

هل شعب ثورة ٢٣ يوليه يعرف شيئا عنها أوعما قبلها ؟

عندما نضع هذا التاريخ أمامنا نندهش عندما نرى الشعب لا يعى منه شيئا حتى من تخرج منه فى الجامعة لا يعرف سوى السادات — ولا يناقشك الا فى الديمقراطية والحرية ، ولو اخترق الحجب ووصل الى ما وراء السادات لعرف ان هذه الحريه والديمقراطية كلمات شطبت من قاموس السياسة — هو يعيب على النتائج التى أظهرها السادات فى الانتخابات ٩ر٩٩ ولكنه لو عرف ان الدوائر كانت تغلق على اصحابها تماما وان الدولة فى ايام عبد الناصر كانت تعطى التأمينات لاصحابها حتى تصبح الدائرة خاليه من كل غش أو تزوير وينفرد بها شخص واحد هو من رسا عليه العطاء لما فكر مرة ان يسأل عن فكرة الديمقراطية ، هل كان هناك أحد يسأل عن الحرية ويطرحها فى المناقشة حتى على الهواء ولهدف صحيفة من الصحف ؟ — الويل كل الويل له ولاهله — ان خازن النار حمزة البسيونى يكون فى انتظاره دائما ، ولا يتأخر عن تأدية واجبه لحظة

وعند ذلك أهله يبحثون عنه لا يعثرون عليه ، كان التعذيب مستمرا ليلا ونهارا .

لقد عاصرت كل هذه العصور ، ولكنى وجدت الناس قد انشغلوا بشئ واحد هو عصر السادات ، والديمقراطية والحرية ، وتكوين الاحزاب والانتخابات ، واختفى المطلب الرئيسى وهو تحرير الارض ، واختفى بالتالى التنكيل بالاخوان المسلمين والاقطاعيين والحكم الدكتاتورى الناصرى .

نحن نعرف ان السادات لم يدعم هذه القسوة من جانبه ، وانما كان يعمل على ان ينتقل من هذه الدكتاتورية الى الديمقراطيه ولكن بعد ان يعيد الارض لما لتكون معده لاستقبالها فسمح بالمنابر وتكوين الاحزاب ، واصدرت المعارضة صحفا لا تذكر للدولة اى حسنة من حسناتها ، بل كانت تبدل تلك الحسنات بسيئات ، وبهذه الطريقة كانت صحف المعارضة تجد سوقا رائجة لان الشعب كان يرى فى هذه الصحف التى تهاجم الدولة انما تعبر عن شجاعة لا يدانيها شجاعة علما بان الدولة كانت لا تسائل اية صحيفة مهما انحدرت ونزل مستواها .

ونحن لا ندرى ان كان ذلك راجع الى سياسة التهاون والصبر التى اتبعها السادات مع الشعب ام راجع الى سياسة الوفاء والاخلاص مع زملائه لان الناس عندما كانوا يتحدثون عن عهد الناصر وجرائمه كان يقول لهم انا كنت شريكا له فى الحكم وكنت مسئولا ويعلم الله

بانه لم يكن مسئولا ولا شريكا لان عبد الناصر كانت الحساسية التى عنده من ناحية زملائه ومن ناحية السادات بالذات تجعله بعيدا لدرجة انه عندما رأى هذه الحساسية من عبد الناصر قال له خذ خوجه صوتى معك فى جيبك ولا داعى لكى تنتظرنى حتى أكون حاضرا للتصويت وهذا ليفوت عليه فرصة الحساسية ، وهذا ايضا كان عاملا من العوامل التى جعلته يبقى عليه ويسند اليه النيابة .

ولذلك عندما رآه الناس يسند ما يتحدثون به عن جرائم عبد الناصر الى شخصه قالوا مالنا نتحدث عن عبد الناصر وقد مات وامامنا رجل يقول ، انه كان شريكه فى كل شىء ؟

اذن فليكن حسابنا للسادات متضمنا حساب عبد الناصر ايضا ، وساعدهم على ذلك حقد الحاقدين ورفض الرافضين .

وعليـــه

فعندما نقيم السادات نقول ، انه اعطى الشعب كل شىء ولم يعطه الشعب شيئا أو الشعب اخذ من حسناته ليضيفها الى غيره ومن سيئات غيره ليضيفها اليه .

لو طرحنا انجازات الرئيس السادات من حصيلة الثورة فماذا يكون الناتــج ؟

لو اننا طرحنا من الثورة منجزات الرئيس السادات ماذا كان يتبقى لنـــا ؟

١ـ روسيا كان لها سبعة عشر الف خبير فى مصر ـ ٢ـ عملاؤها يملأون كل الاماكن الاستراتيجية من اعلام الى صحف الى غيرها ـ ٣ـ لهـا قواعد فى مصر لا يدخلها أى مسئول مصرى ـ ٤ـ سيناء كلها محتلـة وهى ثلث مساحتها وبها بترولنا ومرافئنا ومطاراتنا ـ ٥ـ القنـاة مغلقة وهى التى كانت تسعفنا بدخل للخزينة لا بأس به ـ ٦ـ أهـل هذه المحافظة مشردون بعيدا عن ديارهم ومهجرون الى داخل مصـر ٧ـ الديون المستحقة علينا ألتا علينا تدفع أو تستحق الدفع فى ١٩٧٠ كما اعلنتها مصر بذلك ـ ٨ـ بيع ثلث الغطاء الذهبى (١) ـ ٩ـ الخزينـة ينعق البوم فى ربوعها ـ على صبرى الرجل الاول لروسيا يعد نفسـه ليتسلم زمام الامور ٠

اذن لو طرحنا منجزات الرئيس السادات لوجدنا أننا رجعنـا الى عهد الاحتلال الانجليزى الذى كان المحتل له الهيمنة فى كـل شىء بكلمة منه يرفع وزارة ٥ ويخفض وزارة بل وصل به الامران يهدد مليك البلاد بالعزل ٥ ولو ان الامور استقامت لعلى صبرى لاصبحت مصر هـى افغانستان رقم ٢ ٥ وبدل ان كنا نسعى الى تخليص ارضنا المحتلـة

---

(١) فى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٦ اعترف البنك المركزى المصرى فى نشرته الدوليـة بان مصر باعت ٧٥ر٦ مليون جنيه استرلينى من الذهب فى اوائل شهـر اكتوبر من عام ١٩٦٦

نسعى الى تخليص افلى مانحرص عليه ، وهو الحفاظ على عقيدتنا الدينية المهددة بالضياع .

لو دانت الامور لعلى صبرى فماذا يكون مصير البلد ؟

لقد كون على صبرى لنفسه حزبا يدعى حزب الطليعة يتدبير من روسيا وزوده بالسلاح ، وأنشىء عبد الناصر ليكون فى مواجهة الجيش الذى هو فى قبضة عبد الحكيم عامر الذى لم يستطع عبد الناصر ان يزحزحه عن القيادة العامة للقوات المسلحة ، وروسيا ان كانت تهاونت بعد وفاة عبد الناصر فى انها لم تخلص الحكم لعلى صبرى عن طريق القوة وهذا لم يكن محتاجا الا لعمل يسير لان الامور كلها كانت فى قبضة اللجنة المركزية العليا التى هى خاضعة لعلى صبرى ــ الا ان روسيا بالنسبة لانها لم تعرف السادات على حقيقته ، واعتقدت انه رجل لا يمكن ان يكون مكانه الا بين الدراويش ، وانه لا يخفى وراءه خلفية ماكرة ــ لذلك رأت ان تسير الامور فى طريقها الدستورى الشرعى ، حتى لا تنكشف امام الشعب بانها تتصرف تصرفا يتنافى مع رغبة الشعب .

وانى عندما أقوم بهذا التحليل لا أدعى انى كنت ضابطا من ضباط الثورة ، أو حصلت على وثيقة من أحد هؤلاء الضباط .

وانما كنت أقرأ المؤيدين والمعارضين ، وانتحى ناحية بعيدة عنهم لاسجل رأيى بعيدا عن كل تأثير مجردا من كل غرض .

وان من رأى ان من نلومه لا يصح ان نحاسبه الا على عمله وحده ، وليس من الجماعة — أما مبادرة جمال لتأميم القناة فلقد دفعه الى ذلك تشجيع السوفييت له ، وتبين ان قراراته كانت للمظهر اكثر منها للشعب ، ولقد ذكرت ما أحاط بقرار التأميم هذا من سلبيات ، وبكاء عبد الناصر في الاسماعيلية عندما قال (هزمني جيشي) لان الجيش اصدر أمر الانسحاب من اول وهلة كل على مسئوليته اما اننا نرى البعض يتمسح بالثورة ويقول : (انه كان يوم قيامها مع العضو فلان المعروف وانه اشترك في كتابة المسودة التي اذيعت ليلفت نظر الناس الى انه كان شيئا ولكنه لم يكن او ان التاريخ أهمله لانه لم يسجل له هذا اللقاء ماذا يعنينا انه التقى بفلان او علان انما يعنينا في هذا المجال ان الشخص فعلا قرر قرارات وهذه القرارات اصبحت موضع دراسة التاريخ فان كانت قراراته خدمت البلد فلنسجلها له على العين والرأس اما اذا كانت قرارات او احاديث عابرة لا تقدم ولا تؤخر فليكن مكانها سلة المهملات .

تسلم السادات زمام الامور وسط هذه الاوضاع المتدهورة التي رجعت بنا الى عهد يتضاءل امامه عهد الاحتلال الانجليزي ، واصبح القابض على وطنيته كالقابض على جمرة من النار ووجد السادات حوله ذئابا كاسرة تريد ان تفترسه . هؤلاء هم مراكز القوى الذين يعتقدون انهم الورثة الاصليون لعبد الناصر .

والدولة التى جاءت الينا لتنقذنا من الغرب هى التى تمسك بأطراف هذه الذئاب لتوجهها كيف شاءت ـ وتحاق السادات من هويــــة هذه الدولة لوجد انها تسعى لصبغ هذا البلد بلونها ، وكلما تحدثنا اليها فى امر تحرير الارض التى احتلتها اسرائيل فى ١٩٦٧ سخـــرت منا وقالت لنا مشيرة الى تحصينات اسرائيل وماذا تفعلون فى هــــــذه البلوى ؟

(هل تخطيط السادات لحرب اكتوبر كان مدروسا أم كان ارتجاليـــــــــــا)

خطط السادات لحرب اكتوبر سرا دون ان يأخذ رأى روسيا سيما بعد ان طلب اليهم ان يمنحوه ببطاريات يتاقى بها عن قناطرإسنا ونجع حمادى ولم يستجيبوا واخبرهم بان قنبلة واحدة لو اصابت قنطـرة من هذه القناطر لغرق نصف مليون فدان ـ ثم بعد ذلك طلب اليهــــم ان يكون عام ١٩٧١ عام الحسم وكتب اليهم قائمة بالسلاح الذى يريده لتنفيذ وعده ، ولكنهم ماطلوه ثم خذلوه ليبينوا للعالم انه رجل قوال لافعال ولم يرحم السادات اولئك الذين يدورون فى فلك هذه الدولة اذ أشاعوا نكتة سخيفة بان السادات الغى رقم ٧١ اطلاقا ولم يرد ان يمحى هــذا الرقم وبدلا من ان يمحو هؤلاء بالقائمة على السادات كان اولى بذلــك الدولة التى خذلته .

ولقد شاء القدر ان يجعل من هذه الهزيمة انتصارا اذ ان اسرائيل اعتقدت بان كل ما يقوله السادات هو لغو لا يلتفت اليه ، ولذلك عندما اقتربت المعركة كان السادات يقول (المعركة آتية لا ريب فيها) لكن اسرائيل كانت تعتبران اى كلام من هذا القبيل انما هو للاستهلاك المحلى وكلما يرون الحقيقة ماثلة امامهم يغمضون اعينهم عنها حتى جاء اليوم الموعود وهو يوم النصر — ولقد اوضحت كيف موه على اسرائيل وكيف خدعهم ، وكيف دخل الحرب ، وكيف استغاثت اسرائيل بامريكا وكيف كان موقف روسيا ، وموقف الحليف السورى الذى حرضته روسيا على ان يكون فى جانبها وليس فى جانب مصره وكيف انتهى بفك الاشتباك الاول والثانى؟ وكيف اثارت روسيا منظمة التحرير والعرب وجعلتهم يلقون من مصر موقفا عدائيا لا لشئ الا لان مصر انتصرت وحررت ارضها .

لم يكن دفاع السادات عن مصر مظهرا من المظاهر التى يتباهى بها ، ولكنها وطنية متأصلة فى نفسه ، وممتزجة بلحمه ودمه .

هل كان السادات يستطيع ان يناور مدة حكمة ليرضى الرافضين؟

كان السادات يستطيع ان يحاور ويناور ويرضى الرافضين والخارجين عليه من العرب حتى تمضى مدة رياسته ، ولا يعرض نفسه لمشقة او صعوبة او لحرب غير محسوبة او كما طلب منه مجلس الشعب

مضمونه ١٠٠٪ وهذه لا تكون الا فى يد الله وحده ، ولكن الرجل لم يرضه ان تظل بلده تحت اعباء الاحتلال فتوكل على الله ، والتجأ اليه جل شأنه ان يحقق له النصر وقد كان له ما طلب من الله .

لكن اسرائيل عندما عرض عليها كيسنجر السلام كانت لا تريده ، لانها عرفت ان العرب قد خرجوا على مصر وانتهزوا فرصة احتياج مصر للسلاح لتجديد سلاحها الذى فقدته وغلوا ايديهم عنها .

هل كان العرب يريدون احراج مصر عقب النصر ؟

ان الدول العربية وجدت الفرصة سانحة لاحراج مصر وهى خارجة من حرب انهكت قواها ، واستنزفت اموالها لان تنفض يدها عنها ولا تساعدها — واسرائيل من ناحيتها رأت انها فرصة لا تعوض لان تثأر لنفسها من مصر — لكن السادات تكشفت امامه كل هذه الظواهر ورأى بان المولى الذى اخرجه من مبادرة روجرز سالما ، وانتصر على مراكز القوى ، واخرجه من حرب اكتوبر منتصرا فانه لاشك سيتم هذا النصر ويكلله بالسلام ولذلك سار فى طريق السلام الذى رسمه كيسنجر وعندما اتفق على الذهاب الى جنيف عملت روسيا على اغلاق هذا الباب بالضبة والمفتاح واستطاعت روسيا ان تتخذ العرب فى جانبها .

وقد سمعنا ان جولدا مائير تحدث امريكا بان العرب لا يستطيع اى واحد منهم ان يعطى لنفسه الحق فى مفاوضة اسرائيل لان قانون المنظمة

يمنعه من ذلك لأن قانون المنظمة لا يقر الاغلبية وانما يقر الاجماع ـ ولان الدول العربية تأخذ كل فريق من هذه المنظمة فى جانبهـــا وكل منهم له اتجاه خاص يعنى من المستحيل ان يتفقوا جميعا علــى رأى واحد ، ولذلك فان روسيا جعلت بين العرب وبين مصر ســـدا منيعا واستقطبتهم ضدها حتى لا طعوها واستخدموا أموالهـــــم واعلامهم فى الهجوم عليها ـ ولو قلنا ان المصريين نزح منهم الــى هذه البلاد العربية ما يزيد على خمسة أو ستة ملايين وان الشخـــص الواحد له اسرة تتألف من ثلاثة أو أربعة أفراد وان هذه الاسر تفطر يوميا وتتغذى وتتعشى على الدعاية المضادة لمصر ورئيس مصر لعرفنا كيف استطاع هؤلاء طمس الحقائق واظهار الحق باطلا والباطل حقا ٠

ان منجزات الرئيس السادات ليست فى حاجة الى توضيح أو شرح ؛

١ ـ فسيناء التى كانت محتلة ببترولها ومعادنها وموانيها ومطاراتها سلمت لمصر فى الموعد الذى حددته معاهدة (كامب د يفيد)

٢ ـ والقناة التى كانت مغلقة فتحت بمساعدة امريكا ، وأصبحنا نحصل من دخلها ما يزيد على الف وخمسمائة مليون دولار ٠

٣ ـ ومحافظات القناة رجع اليها اهلها الذين هجروهـــا

٤ ـ والهزيمة التى نكست رؤوسنا ومرمغت كرامتنا فى الوحل والطين أعادها الينا نصر اكتوبر المجيد ٠

هل اطمئناننا من ناحية اسرائيل له دخل فى اصلاح بيتنا من الداخل

ه‍ ـ ذهب عنا الخوف الذى كان يجعلنا فى حذر دائم من هجوم مفاجئ لاسرائيل وهذا الحذر يعطلنا عن اصلاح مرافقنا ، وبناء بيتنا من الداخل ـ أصبح السلام وقد جعلنا فى مأمن مما نخشاه فوفرنا المال والسلاح ، وحقننا دماء أبنائنا .

٦ ـ وامريكا بعد ما عرفت الحقيقة وان روسيا لا تملك زمامنا وعرفت ان مصر اصبحت حائطا كبيرا لمنع المد الشيوعى فى هذه المنطقة أصبحت تعدل بيننا وبين اسرائيل ، وتعاوننا كما تعاونهم ، ولا تكتفى بقرضنا قرضا حسنا وعلى آماد طويلة ، وانما تعطينا منحا تبلغ فى كثير من الاحيان أزيد من الالف مليون دولار .

٧ ـ واذا كانت الاسعار قد ارتفعت بسبب حرب اكتوبر الذى اطلق ايدى الدول العربية فى بترولهم ، فأصبحوا يتصرفون فى هذا البترول بعد ان كانت الشركات الاجنبية هى صاحبة الامر والنهى فيه ولما ارتفع سعر هذا البترول رفعت بالتالى الدول الصناعية اسعار بضاعتها ، ونحن بالتالى الذين تحملنا هذا السعر المرتفع ، ولم تعترف لنا هذه الدول باننا كنا العامل الاول ، واصحاب الفضل فى رفع هذه الاسعار واننا الذين حققنا نصر اكتوبر بدمائنا وأموالنا فيدفعهما ذلك الى ان تتنازل لنا عن شئ من هذا الفيض الذى أفاضه الله عليهم .

ولكن موقفهم منا كان كموقف (قارون) من موسى الذى قال (انما اوتيته على علم .) .

٨ـ كان هؤلاء العرب يرسمون السادات فى جرائدهم ومجلاتهم بانه الرجل الذى جاء اليهم متسولا مع انه هو الذى رفع رأسهم، واعلى مكانتهم ، وكلما ازداد السادات نصرا ازدادوا عليه حقدا وغلا .

٩ـ ان السادات لم يقل لشعبه شدوا الاحزمة على البطون بعد هذا النصر الذى انهك قواه واضاع ماله ، واصبح فى حاجة الى تجديد سلاحه ، وتعويض اسر الشهداء فى الوقت الذى تضيق عليه روسيا الخناق وتطالبه بديون تزيد على ستة عشر الف مليون دولار حسابى الديون العسكرية لم تستح روسيا ان تطالب بفوائدها والسادات يطلب منهم جدولة هذه الديون ولكنهم لم يستجيبوا ــ لم يقل لشعبه (شدوا الاحزمة على البطون وكان فى وسعه ان يوقف العلاوات والترقيات والمكافآت لمدة خمس سنوات على الاقل ولا احد يستطيع ان يلومه على ذلك ولكنه بالعكس زاد على العلاوات علاوات لدرجة ان الموظف فى سنة من سنى حكمه اخذ خمس علاوات فى سنة واحدة ورفع بداية الحد الادنى للعامل حتى اقترب ما يتقاضاه العامل من مرتب خريجى الجامعة ، وكلمة الكادح أصبح لاوجود لها فى قاموس السياسة المصرية .

١٠ـ ولقد سمعت من كثير من أهالى القرية والمدينة بأن الناصر كانت تبحث عن مستحقى الزكاة فى عهد الفطر وفى غيره لكن الذين يخرجون هذه الزكاة لم يجدوا من يمد يده ليأخذها .

١١ـ واعطى الشعب منحا ومكافآت لهذا النصر حتى زاد راتب كل موظف فى ايام حكم السادات الى اكثر من ثلاثة امثال راتبه واربعة امثال فى سنى حكم السادات وحده ولم ينس ارباب المعاشات التى لم تكن الدولة مسئولة عنهم بعد خروجهم من الوظيفة رحم ضعفهم فطبق عليهم الزيادات التى تصرف لموظفى الدولة حتى ارتفع معاشهم الى هذا القدر الذى ارتفع فيه راتب غيرهم . ورأى السادات طبقة من الشعب من المسنين والارامل التى لم تكن لها صلة بالدولة حتى تأخذ معاشات او راتبا . وان هؤلاء الناس عندما يموتون يصير جيرانهم على الناس ليمنوا عليهم بثمن اكفانهم التى يتدثرون بها فى قبورهم فعمل مظلة تأمينات لاخراج معاشات لهؤلاء الناس اطلق عليه معاش السادات . وبذلك اصبحت الدولة ليس فيها فقير ولا محروم .

هل ثراء الناس فى عهد السادات يكون اسوأ من فقرهم فى عهد غيره ؟

عابوا على السادات ان الدولة فى ايامه اصبح المال يجرى فى ايدى الناس جميعا حتى قالوا ان المليونيرات كانوا قبل عهده

لا يزيد عددهم على اصابع اليد الواحدة بل ان خزينة الدولة فى اول حكمه عجزت عن الوفاء بمليون دولار لان مديرالبنك الدولى طلبهم من السادات مليون دولار لان العرب قد رفعوا ضد مصر قضية وطالبوا فيها اشهار افلاسها حتى لا تستطيع ان تقترض شيئا من اى دولة اخرى ـ وقالوا ان مصر اصبح فيها الان ملايين الارانب والعجول السمان ومعنى الارنب فى لغة السياسة الاقتصادية يعنى المليونيرات ومعنى العجول السمان (البليونيرات) وقالوا ان هذا راجع الى الانفتاح الذى عمله السادات فاذا كان الانفتاح هو الذى قلب الحال من فقر مدقع الى هذا الثراء الفاحش فأنعم بهذا الانفتـــــــاح ٠

١٢ـ ان هؤلاء الرافضين والمعارضين تركوا القضية الاصلية التى هى قضية الارض المحتلة لان الاحتلال قد انتهى الى غير رجعة، واصبحوا يرددون الغلاء وارتفاع الاسعار وان الذين يواجهون هذا الغلاء هم الحرامية فمن اين اتى هؤلاء الحرامية ، ومن اين جاءوا بالمال الذى سرقوه اذا كان السادات فى اول حكمه رأى الخزانة خاوية على عروشها بشهادة العالم كله فمن اين جاء هؤلاء الحرامية بالمال المسروق ـ هل السادات جاء بالمال من هنا وهناك ثم فتح الخزائن لهؤلاء الحرامية وقال لهم احملـــــــوا ما تستطيعون حمله ٠

الانفتاح المفترى عليــه

الانفتاح هو دعوة الى الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة مهما كان مصدرها شرقا أو غربا ـ بعد خروجنا من الحرب متعبيـن لم نجد عونا من اخواننا العرب ، وكان لابد لنا ان نتحرك ولا تستمـر الابواب مغلقة فى وجوهنا فوضعنا أيدينا فى يد أمريكا وسعينا الـى الانفتاح الاقتصادى بتشجيع استيراد رؤوس الاموال الاجنبية واباحـة استغلال رأس المال الخاص ـ ثم اصدار القانون فى نهاية عام ١٩٧١ ، كما تم انشاء البنك المصرى الدولى ، واعطته الدولة حق التعامل بالنقد الاجنبى دون رقابة من هيئة النقد ، ثم تم انشاء الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والاجنبى لكى تتلقى مشروعات الاستثمار . كان المنطلـق الاساسى لسياسة الانفتاح الاقتصادى اننا ينبغى لنا الا نخاف مـن الاستثمارات الاجنبية مادامت لا تسيطر على اى مركز من مراكز التحكم فـى الاقتصاد القومى ـ وكان من أهداف سياسة الانفتاح الاقتصادى أيضـا انها تتيح للدولة موردا جديدا من النقد الاجنبى فى وقت تعانى فيـه مصر نقص امكانياتها من العملات الصعبة .

الطيـور المهاجرة عـادت

بعد سياسة الانفتاح عاد الاجانب الذين تركوا مصر بعد حركة التأميمات فى اوائل الستينات بدأ نشاطهم يعود للقاهرة مرة أخرى ـ

يونانيون وايطاليون ، وأرمن ، وسوريون ، ولبنانيون . كانت بدايــة العودة عند اعلان سياسة الانفتاح عام ١٩٧١ ولكن معظم الذيـن عادوا جاءوا بعد معارك أكتوبر .

وكان من بين الطيور المهاجرة التى عادت الى مصر رجـل الاعمال الايطالى (ديكاسترو) الذى اممت املاكه فى عام ١٩٦١ ـ ورجـل الاعمال الكندى الشهير (باتا) وقد عرض على الحكومة فى عام ٧٤ انشاء مشروع مشترك لانتاج الاحذية فى مصر .

وجاء ايضا اليعفر رجل الاعمال (سباهى) صاحب مصانـع النسيج وهو يمتلك الآن عدة مصانع لانتاج المنسوجات فى ايطاليا ـ وقـد عرض ان ينقل الى مصر عددا من مصانعه .

كذلك عاد لمصر مستر (جاك هودرتش الذى كان مديرا لبنـك (فرست ناشونال ستى) كذلك وافقت الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والاجنبى على انشاء مشروع مشترك بين عدد من الاجانب من بينهـم المليونير المصرى (عبد اللطيف أبو رجيله) .

وقد عاد للقاهرة أخيرا رجل الاعمال اليهودى المصرى (ارماندو سالوم) الخبير فى صناعة الملابس الداخلية .

كيف نشأ التضخـم

ان روسيا عندما دخلت مصر استحدثت عملاء لها وهؤلاء العملاء

كانوا واسطة بينها وبين مصر فى التعامل الاقتصادى والتجارى ولا تريب المسألة الى ذهن القارىء أقول ان القطاع العام عندما كان يحتـاج الى اى بضاعة من مصانع أو اسلحة او غيرها كان هؤلاء العملاء واسطة بيننا وبين روسيا وكانوا يأخذون عمولة ٥٠٪ هم يأخذون النصـف وروسيا تأخذ النصف وربما كان نصيب الفرد فى ساعة واحدة مليونـا او مليونين من الجنيهات ومن هنا نشأت طبقة ما كانت تحلم بهـذه النشأة هذه الطبقة خافت على اموالها من الظهور ان تؤمم فوضعتها تحت البلاطة فى ايام الانغلاق ـ وبعد الانفتاح مع الحرية خرجـت الاموال من تحت البلاطة ومن سياسة الانفتاح الاقتصادى خرجت القطط السمان من جحورها لتمارس نشاطها الاقتصادى ـ ان الذين سرقوا القطاع العام فى عهد الانغلاق وكانوا واسطة بين مصر وروسيا أصبحوا هم الآن مليونيرات مصر وكانت المعارضة تعير السادات بهم مع انه لا شأن له بهم على الاطلاق وليس له دخل فى اى ربح من ارباحهم ، بل ان هذه الطبقة هى التى حاربت عهد السادات حربا لا هوادة فيه لانها عندما طرحت أموالها فى السوق كانت تشترى بها جميع البضائع وعندما تقل البضائع ترتفع الاسعار لتواجه ضغطا من الموظفين والشعب يشكون قلة حيلتهم فى مواجهة هذا الغلاء الذى سببته هذه الاموال التى كانت مستترة ثم ظهرت فجأة لتضطر الحكومة الى رفع الدرجـات ومنح العلاوات ويضطر العامل الذى يتوقف دخله على ساعده ان يرفـع

أجر نفسه والحلقة عندما نرجع الى أولها نجد ان السبب فيها هم هؤلاء العملاء الذين كانوا حربا على عهد السادات من طريق غير مباشر .

ان سياسة الانغلاق الاقتصادى فى مصر أفرزت عددا ضخما من المليونيرات من تجار السوق السوداء .. والمصريين .. ولصوص القطاع العام .. والمسئولين الذين اخذوا العمولات .. والذين اشرفوا على تمويل الانقلابات .

ورأيى الان انه تعذر على شركات القطاع العام التجارية والصناعية ان تقوم بعمليات تصديرية الى هذه الدول من غير طريق هؤلاء الوسطاء ما الذى يجعل الاتحاد السوفييتى يفرض على مصر اشخاصا الا اذا كان صاحب مصلحة .. هل يورد الجزء الاكبر من هذه المبالغ لمكتب المستشار الثقافى فى القاهرة كما تردد اكثر من مرة .

لقد كان هذا جانب من الجوانب التى يمول بها السوفييت نشاطهم فى القاهرة ..

قيل فى كتاب الاستاذ فاروق جويدة (كيف ضاعت اموال مصر) . عندما تم القبض على مجموعة من الوسطاء فى عام ١٩٦٩ لم يستمر حبسهم اياما وتم الافراج عنهم لاسباب سياسية لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم اكثر من هذا ان احد الوسطاء وقع صفقة كبيرة مع الاتحاد السوفييتى وهو فى السجن فى عهد عبد الناصر ــ وهناك ارقام تشير الى ان الوسطاء

حصلوا على مبالغ تزيد على ٢٠ عشرين مليونا من الجنيهات فــــى السنوات الاخيرة فأين ذهبت هذه الاموال .

هل انجازات السادات فى حاجة الى توضيح ؟

هذه اعمال السادات لا يتمارى فيها اثنان وحقيقـــة لا يرقى اليها الشك ولا يصعد اليها الريب وهذه الانجـازات لم تكن عفو الخاطر وانما هى انجازات جاءت نتيجة افكار مدروســـة وآراء صريحة وواضحة كان هذا الانجاز عبارة عن انجاز تحــــدى العصر وتحدى العالم الحضارى والتكنولوجيا الحديثة دولة تفتقر الى مال يساعدها على تجهيز لقمة العيش فاذا بالقدر يساعدها على تجهيز الجيش ــ دولة تتربص بها الذئاب من كل ناحية حتى من كانوا فى حمايتها وتحت رعايتها ــ دولة لا تجد حائطا ترتكز عليه ســوى المولى جل شأنه لان امريكا كانت ركيزة اسرائيل وسندها الوحيـــد وروسيا كانت الدولة المتآمرة التى تنتهز الفرص للانقضاض علينا ولقد تهيئ روسيا الدول العربية فجعلتها تلف فى جانبها ضد مصر .

ولقد شاء القدر ان يتم صهر هذا الرجل فى بوتقة محكمـــة فخرج عليه فى احلك الاوقات ثلاثة من اخطر وزرائه وشاء القدر ان يكون خروجهم تتويجا لنصره وتأكيدا لانجازه .

ماذا كان تأثير خروج وزرائه عليه ؟

خرج الفريق صادق وزير الحربية لانه لم ينفذ قرار الرئيس السادات بالتعلية مائتين . واضطر الرئيس السادات بتغييره مسرعا بالمشير أحمد اسماعيل ـ كذلك خرج وزير الخارجية اسماعيل فهمى على السادات فى الوقت الذى اراد الرئيس ان يقوم بمبادرة السلام فلم يوافق وزير الخارجية اسماعيل فهمى على هذه المبادرة ولذلك لم يرد الرئيس ان يستمر معه والشعب لا يعلم برفضه للمبادرة فقبل استقالته وكان ذلك فى وقت اشتد فيه رفض الرافضين واشفقنا على الرئيس السادات من تأثير الرفض عليهما ولكن خروج هذا الوزير كان له تأثير مردود عليه فبدلا من ان يفهم الناس بان وزير الخارجية هذه مبادرة السلام من افكاره ومن صنعه عرفوا ان الفكر نابع من رئيس الجمهورية نفسه فاسند الفضل الى صاحبه وكذلك وزير الخارجية التالى محمد كامل ابراهيم فى الوقت الذى كان العالم يتابع المفاوضات الدائرة لحظة بلحظة اذ بهذا الوزير يقدم استقالته فوافق الرئيس السادات عليهما وهو يعلم ان الرافضين ينتظرون مثل هذا الاسفين بفارغ الصبر ولكن تبين انه دق آخر مسمار فى نعش هذا الوزير الخارج .

هل كان الرئيس السادات يرى ان الحرب
وسيلة أم غاية ؟

لقد رأى السادات ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد وضعت أمام العالم كله ، وامام العالم الحضارى بالذات مبدأ هاما هو ان الحرب لم تكن ابدا الوسيلة التى تنهى النزاع بين المتحاربين ، وعرفت اسرائيل ، وعرفت امريكا ، وعرفت مصر السادات ان مصر واسرائيل كلاهما قادر على امتصاص الهزيمة ، والاستعداد لحرب أخرى ، واسرائيل اذا كانت دولة صغيرة الا ان وراءها ترسانة معينها لا ينضب ، ومصر اثبتت بعد هذه الهزيمة الساحقة التى لم يفكر احد من السياسيين او العسكريين انها تستطيع ان تتخطاها ، أو تنتصر عليها سيما أنها كانت تعتمد على نفسها فقط . وتنظر الى الدولة العظمى التى كانت تعتمد عليها او يرى الغير انها تعتمد عليها كانت تنظر اليها نظرة خوف وحذر خشية ان تطعنها من الخلف فاعفت خبراءها من التعاون معها قبل الدخول فى الحرب ، اثبتت مصر بعد كل هذا انها قادرة على تحطيم كل الحواجز التى كان تحطيمها يكاد يكون فى حكم المستحيل . ولكن هذا الانتصار لا يعنى ان تضمن مصر ان اسرائيل تستمر عاجزة عن ان تفكر فى يوم ما ان ترد اعتبارها فتعلن حربا اخرى بعد ان تكون قد جهزت نفسها تجهيزا يسمح لها بذلك سيما وان روسيا قد فقدت يدها

منا نهائيا الا اذا كانت تتفاوض باسمنا وتتكلم بلساننا — والنتيجة ان مصر واسرائيل احدهما او كلاهما غير قادر على كسر شوكة الآخـــره ومعنى هذا ان الصراع سيبقى الى الابد ، وان الدماء ستظل تستنزف والاشلاء تتناثر ، وتيتم الاطفال ، وترمل النساء ، وتخرب البيـــوت ومن خلال هذا المبدأ الذى اظهرته هذه الحرب قام الرئيس السادات بمبادرته الشجاعة ، وهو يعلم تماما انها ستلاقى رفضا ممن يسعى من اجلهم ، لانهم يتخذونها وسيلة للتسول ، فهذه القضية كما صورتهـــا فى يدهم بانها كالطفل الذى يحمله متسول ليجمع له المال — حتى اذا ما اراد احد ان يعطف على الطفل ويأخذه عنده لتربيته صرخ فيـــه المتسول وبكى ، وجمع الناس حوله ٠

اما المحتل فانه يرى ان هذه الارض التى اصبحت تحـــت يده قد زادت من رقعة ارضه ، واستثمرها فى الزراعة والصناعــــة والاسكان ، واستخراج البترول فكانت بمثابة دائرة واسعة ابعدت عنــه عدوه ، اما اذا تركها فانه سيفقد ذلك كله وسينحسر فى دائرة ضيقـــة يكون فيها هدفا مباشرا لعدوه ٠ ولذلك فان اسرائيل يهمها ألف مرة ان تحافظ المنظمة والعرب الذين لهم ارض تحت يدها على مبـــدأ الخصام وعدم المفاوضة مع اسرائيل او التكلم معها او السلام عليهـــا حتى يظلوا بعيدين عن استلام أرضهم لان الارض لا تؤخذ الا بأحـــد حالين اما الحرب والمنظمة والعرب لا يستطيعون ان يفكروا مجرد تفكير

فى هذا واما المفاوضة وما داموا يرفضون هذا المبدأ فالارض اذن باقية تحت يد اسرائيل •

ان مصر وحدها او بمعنى اصح السادات لهم ان الصراع سيبقى ما بقى النزاع واننا من وراثنا تلك الدولة الحاقدة وقد تبنت دولا فى المنطقة لتتخذ منهم سهاما يطعنوننا بها من الخلف — وان هذه الدول التى تزهق ارواح شبابنا من اجلهم ، ونبعثر مالنا فى سبيلهم اصبحوا يمنون علينا ، ويعتبرون ان هذا الدم التافه صدقة تطهيرهم وتزكيهم ، وكانت اسرائيل تتخذ من هذه الوسائل المحيطة بنا تكأة لتجميد الموقف حتى اذا ما طال الزمن يصبح امرا واقعا وتصبح المطالبة بتحرير الارض نشازا يرفضه السمع ، وتمجه النفس •

لماذا قام الرئيس السادات بمبادرة السلام؟

عندما قام الرئيس السادات بمبادرة السلام كان يريد ان يضرب عصفورين بحجر •

الاول — يريد السلام ليحقن تلك الدماء التى تنزف ، ويريح الناس من شرور الحرب وويلاتها •

ثانيا — يضع العالم امام حقيقة واضحة وهى ان العرب اذا انتصروا فى تلك الحرب التى اعتبرها العالم كله بانها معجزة المعجزات تمد يدها للسلام ، ولم يغرها ذلك النصر حتى تمد نفسها لحرب اخرى ، واسرائيل

لا تتفادى فى صراعها الدموى الا بمساعدة امريكا ، وكل ما ترجوه مصر من مساعدتها هو ان تكسر شوكة اسرائيل حتى لا تتعرض لنا بسأذى وامريكا لم ترد الهزيمة لمصر الا عندما كانت مصر تحت رحمة الاتحاد السوفييتى يعتبر نفسه قيما عليها ، ويتكلم باسمها لان مصر هى الميزان الوحيد فى الشرق الاوسط ، ولكن بعد ما تبين لامريكا ان مصر قد نفضت يدها نهائيا من موسكو وان موسكو لعلاقدا بتعدت عنها ، لذلك اصبح من مصلحة امريكا ان توفق بين مصر واسرائيل لان هزيمة مصر سيلجئها حتما الى الارتماء فى احضان روسيا ، ولقد ثبت ان اسرائيل تتعاون مع روسيا فى الضرب تحت الحزام الامريكى ، وان روسيا تبحث باريحين الفا من رجالها شهريا من الاتحاد السوفييتى الى اسرائيل وان العرب اذا اختلفوا الآن فانه سيأتى يوم ويتغير الحكام ويتلون ، وعندها يتعاونون معا ضد اسرائيل اى ان الموقف سيظل بالنسبة لامريكا غير مستقر ، ولذلك لان امريكا رأت من مصلحتها ان تتبنى مشروع السلام وان ترغم اسرائيل على ذلك .

والآن فانى ارى ان اتحدث عن مبادرة السلام ولماذا فكر فيها الرئيس السادات؟ وما هو المجهود الذى بذله ؟ ولماذا اخلصت امريكا لنا العون ؟ وما الذى استفدناه من وراء هذه الاتفاقية ؟ وكيف

علا صوت الرفض بعد وصول مصر الى هذا المستوى من النجاح ؟

لماذا فكر السادات فى مبادرة السلام؟

كان السادات يعرف يقينا ان الحرب وسيلة لا غاية، ولم يفكر فى هذه الحرب (حرب اكتوبر) الا بعد ان عجم عود امريكا وهى المحرك الاول لاسرائيل، ورأى أن اسرائيل توجه اللوم الشديد الى كل من يقوم بدور الوسيط، وعرف الوسطاء ان اسرائيل لا تقبل الوساطة بهذا الوضع الراهن الا اذا كانت هناك تنازلات رهيبة من جانب مصر فخطط لحرب اكتوبر على ان تكون هذه الحرب وسيلة لا غاية وان تكون سببا من الاسباب التى تقربنا الى الصلح والسلام، ولذلك لم يبدأ مبادرته الا بعد ان حارب — واعترف دايان بأن هذه الحرب كانت كزلزال شديد، وكيسنجر وزير خارجية امريكا هو الذى فاتح السادات فى امر السلام وهذه الفكرة وجدت صدى مقبولا، ورغبة اكيدة .

مبادرة السلام

وعندما نتكلم عن مبادرة السلام نقول : —

لقد كانت هذه المبادرة هى معجزة العصر لان الرئيس السادات لم يقم بها فى الظلام وانما قام بها فى رائعة النهار، لم يتسلل الى اسرائيل فى الخفاء ليقول لهم سرا لا يذاع، وانما بدأ باعلان فكرته من فوق منبر

مجلس الشعب المصرى ، وقد تلقف بعض السامعين الذين لـــم تساعدهم معدتهم على هضم هذه الفكرة بانها لن على سبيـــل المجازه واعتقدت اسرائيل انها كذلك ، وان ما يعلنه الرئيس السادات انما هو بالونة اختباره ولذلك ارادت ان توقف الرئيس الســـادات امام الامر الواقع ، فوجهت اليه دعوة رسمية لتحقيق ما يقول ، ولمــا كان الرئيس السادات يعرف كل كلمة يقولها ، ولا يدخل السياسة من ابواب الخداع والكذب والتضليل والمناورة ولم يعلن هذه الفكــرة الا من قلب مفتوح ، وفكر صادق فقد اعلن موافقته على الدعـــــوة، وحدد الموعد لذهابه الى القدس ، والقاء خطابه (فى الكنيـــــست الاسرائيلى) وكانت انظار العالم كله متجهة الى شاشة التلفزيـون لان الاقمار الصناعية نقلت هذه الرحلة الى العالم، وخلت الشـــــوارع فى جميع عواصم العالم الامريكى والاوربى والعربى من المارة ليشاهدوا بأنفسهم هذه الرحلة الجريئة الشجاعة التى اصبحت حديث العصـــره ورغم ان اسرائيل اعدت العدة لما يتناسب مع هذه الرحلة من جـــلال ووقار لتظهر امام العالم بانها الدولة التى تقدر لكل شيء قدره الا ان سوء الظن الذى كان يسيطر عليها جعلها تعتقد انها مناورة بارعة عملها الرئيس السادات ليقضى بها على جميع زعماء اسرائيل، لان الطائرة المفروض انها تقله ستكون بداخلها فرقة من الصاعقة تكون مزودة بالصواريخ والاسلحة لتضرب كل المستقبلين ، ولذلك اعدوا ألف الناس لاستقبال هذه

الفرقة المزعومة ، كما زودوا فرقة الموسيقى بالمدافع الرشاشه ـ لم تصدق اسرائيل هذه الرؤية التى امامها ، والمفاجأة المثيرة التى فاجأهم بها الرئيس السادات لانهم يعرفون كما يعرف العرب ، وكما يعرف العالم اجمع بان هذه جرأة لم يستطع ان يقدم عليها اى زعيم عربى ، لان الفلسطينيين انفسهم الذين يطالب السادات بحقهم ، ويدافع عنهم يريدون ان يظل هذا الحق متميعا ، وأقصد الفلسطينيين الذين غادروا الاراضى المحتلة ، وارتموا فى احضان بعض الدول ليبتزوا الاموال من دول البترول تحت شعار حمايتهم فكانوا كالبلطجية الذين يسيرون وراء (الزفة) هؤلاء كانوا يعلنون فى كل مناسبة ان من يتعرض لقضيتهم بالحق سوف يكون مصيره على ايديهم ، وفعلا فى يوم الرحلة بالذات اعلن هؤلاء واعلنت الدول المنتفعة من ورائهم الحداد فى هذا اليوم وظلت صحفهم تهدد وتتوعد ، وتنذر بالويل والثبور ، وعظائم الامور .

وفى الواقع كان هذا الموقف منهم ومن الدول التى تأويهم مخففا بعض الشىء للارتباك والذهول الذى اصاب اسرائيل ، وربما كان سببا فى ان رئيس وزراء اسرائيل فى رده على الرئيس السادات لم يرق الى مستوى هذه المبادرة بل وكان سببا ايضا فى تعثر المحادثات بين مصر واسرائيل .

لماذا قال السادات ، أنا مستعد ان اذهب الى اى جهة فى العالم والى الكنيست الاسرائيلى نفسه من اجل الســـلام ؟

وجد الرئيس السادات ان التقرير الذى أعده الدكتور (احمد ابو اسماعيل رئيس لجنة الخطة بمجلس الشعب عن المنح والدعـــم والاعانات والدعم التى قدمتها الدول العربية لمصر منذ عام ١٩٦٧ — ان نفقات الدفاع فى مصر كان لها الاولوية المطلقة فى الانفاق الحكومى ، وقد تحمل شعب مصر هذه النفقات بنفس راضية — وقد قدرت النفقات العسكرية لمصر منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٥ بحوالى ١٦ ألف مليون جنيه ، وان حقيقة ما خسرته مصر حسب الاسعار الحالية العالمية تقدر بأسعار اليوم اى فى اوائل تولية الرئيس السادات بحوالى ٢٥ ألف مليون جنيه هذا بالاضافة الى ما تحمله شعب مصر خلال الـ ٣٠ سنة الاخيرة منذ ان نذر نفسه للدفاع عن اشقائه فى فلسطين وخاض من اجلهم حرب ٤٨ ثم خاض بعدها ٣ حروب قد تصل بالخسائر ٤٠ ألف مليون جنيـــه اخرى فضلا عن ارواح شهداء الذين أربوا على ١٠٠٠ ألف قتيل وهـــى ارواح لا تقدر بثمن .

وجد الرئيس السادات اننا ندور حول الطريق الى جنيف فى غير طائل لاننا كلما اقتربنا من هذا الطريق وجدنا بابه موصدا فـــى وجوهنا ، واذا كنا نضيع الوقت فى فتح هذا الباب فما هو الوقت الـــذى سنقضيه فى المباحثات سيما وان هذه المباحثات ستكون عن طريـــق

وسطاء وهؤلاء الوسطاء ان امنا جانبا منهما فلن تأمن الجانب الاخر.

فكر الرئيس السادات جديا فوجد أن الهدف الاسمى بهذه الطريقة لا يمكن الاقتراب منه ، وان السير اليه يدور فى حلقة مفرغة ، وان العواطف التى كانوا يبنون عليها حساباتهم وعلاقاتهم كانت حسابات منهارة ، وان الحديث المباشر الى اسرائيل هو أقرب المستلزمات الى الهدف ، وعلى فرض ان الوسيط اعتقد فيه الصدق والامانة والاخلاص فهو مضيعة للوقت هذا لو ان هذه الصفات موجودة فعلا فما بالنا وان هذه الصفات ليس لها وجود .

من اجل هذا كانت مبادرة الرئيس السادات التاريخية ومن اجل هذا اقدم عليها بصدق وعزيمة من اجل الوطن، ومن اجل الامة العربية ، ومن اجل الانسانية كلها اقدم على اعلانها دون نظر الى ما يتعرض له من هجوم .

ولذلك اعلن عنها فى خطبة القاها امام مجلس الشعب بانه على استعداد لان يذهب الى اى جهة فى العالم من اجل السلام وان يذهب الى الكنيست الاسرائيلى نفسه ، وكان هذا الاعلان بمثابة قنبلة شديدة الانفجار ، لان هذه الفكرة التى اعلنها لم يستطع غيره ان يهمس بها .

ومما يدل على تلهف اسرائيل لهذه المبادرة ولصاحبها ان بيجين عندما وقف يخطب امام الكنيست ليعلن امامهم دعوته

للرئيس السادات قاطعه عدة مرات رئيس حزب راكاح الشيوعى فقال له بيجين : "انا لا يعنينى تقاطعنى ولكنى افضل عندما يتحدث الرئيس السادات ان تكون مهذبا أكثر من ذلك وهذا يدل دلالة قاطعة على تقديرهم للرئيس السادات واعتباره فى نظرهم خصم شريف وقد اعلن رسميا أن وزارة الخارجية الامريكية تسلمت الساعة السابعة مساء ١٥ نوفمبر ١٩٧٧ دعوة موجهة للرئيس السادات من الحكومة الاسرائيلية لزيارة اسرائيل وذكر كارتر بانه سيتم ارسال هذه الدعوة الى السفارة الامريكية بالقاهرة لتقديمها الى الرئيس السادات كما اعلن مساء ١٧ نوفمبر بان الرئيس السادات سيصلى يوم العيد فى المسجد الاقصى حيث تبدأ الزيارة مساء التاسع من ذى الحجة .

وانا هنا ننشر خطاب الرئيس السادات ورد بيجين عليه .

نص خطاب الرئيس السادات

بسم الله

السيد / رئيس الكنيست ـ ايها السيدات والسادة .. اسمحوا لى أن أتوجه الى السيد رئيس الكنيست بالشكر الخاص لاتاحة هذه الفرصة لى لكى اتحدث اليكم ، وحين أبدأ حديثى أقول (السلام عليكم ورحمة الله والسلام لنا جميعا على الارض العربية ، وفى اسرائيل ، وفى كل مكان من ارض هذا العالم الكبيرة ـ هذا العالم المعقد بصراعاته الدامية المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين بالحروب

المدمرة ـ تلك التي يصنعها الانسان ليقضى بها على اخيه الانسان وفى النهاية وبين انقاضها بنى الانسان، وبين اشلاء الضحايا من بنى الانسان الانسان أرقى ما خلق الله .. الانسان الذى خلقه الله كما يقول غاندى قديس السلام . ولكى يسعى على قدميه يبنى الحياة ويعبد الله .. وقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكى نبنى حياة جديدة وكلنا على هذه الارض أرض الله كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود كلنا نعبد الله ولا نشرك به أحدا .. وتعاليم الله ووصاياه هى حب وصدق وطهارة وسلام واننى التمس العذر لكل من استقبل قرارى بالدهشة بل بالذهول، بل ان البعض صورت له المفاجأة العنيفة ان قرارى ليس اكثر من مناورة كلامية للاستهلاك المحلى أمام الرأى العام العالمى، ووصفه البعض الآخر بانه تكتيك سياسى لكى اخفى به نواياى فى شن حرب أخرى جديدة .

ولا أخفى عليكم ان احد مساعدى فى مجلس الرياسة الجمهورى اتصل بى فى ساعة متأخرة من الليل بعد عودتى الى بيتى فى مجلس الشعب ليسألنى فى قلق، وماذا تفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت اليك اسرائيل الدعوة فعلا؟ فأجبته بكل هدوء سأقبلها على الفور . لقد اعلنت اننى مستعد أن أذهب الى آخر العالم .. سأذهب الى اسرائيل لاننى أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب اسرائيل . اننى التمس العذر لكل

من أن هذه القرار . . او تشكك فى سلامة النوايا وراء اعلان القرار .

العبء الاكبر والمسئولية الاولى

فلم يكن أحد يتصور ان رئيس أكبر دولة عربية تتحمل العبء الاكبر والمسئولية الاولى فى قضية الحرب والسلام فى منطقة الشرق الاوسط يمكن ان يتخذ قراره بالاستعداد للذهاب الى ارض الخصم بينما لا تزال فى حالة حرب ، ولا نزال نحن وانتم نعانى من آثار أربع حروب قاسية خلال ٣٠ عاما كل ذلك فى الوقت الذى لا تزال فيه اسر ضحايا حرب اكتوبر ٧٣ لا تزال تعيش مآسى الترمل ، وفقد الابناء ، واستشهاد الاباء والاخوات كما سبق ان اعلنت من قبل لم أتداول فى هذا القرار مع أحد من زملائى واخوتى رؤساء الدول العربية . . او دول المواجهة . ولقد اعترض من اتصل بى منهم بعد اعلان القرار لان حالة الشك الكاملة وفقدان الثقة الكاملة بين الدول العربية بما فيها الشعب الفلسطينى من جهة اخرى لا تزال قائمة فى كل النفوس ويكفى ان اشهرا طويلة كان يمكن ان يحل فيها السلام قد ضاعت سدى فى خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف . . وكلها تعبير عن الشك الكامل وفقدان الثقة .

قدري ومسئوليتي لمصر والعرب • (السادات)

ولكنني اصارحكم القول بكل صدق انني اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل ، وانا اعلم انه مخاطرة كبيرة لانه اذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب لي قدري ان أتولى المسئولية عن شعب مصره وان اشارك في مسئولية المصير بالنسبة للشعب العربي كله فان اول واجبات هـــذه المسئولية في نظري ان استنفذ كل السبل لكي اجنب شعبي المصـــري العربي ، وكل الشعب العربي ويلات حروب اخرى مفجعة ومحطمة ومدمرة لا يعلم مداها الا الله ، ولقد اقتنعت بعد تفكير ان امانة المسئوليـــة امام الله وأمام الشعب تفرض علي ان أصل المستحيل واحضر الى هنـــا لاخاطب أعضاء الكنيست ممثلي شعب اسرائيل بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي وأتركلكم بعد ذلك لكي تقرروا لانفسكم وليفعل الله سبحانه بعد ذلك ما يشاء •

ايها السيدات والسادة : ان في حياة الامم والشعـــــوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة ، والرؤية الثاقبـــة ان ينظروا الى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من اجل انطلاقة جسورة نحو افاق جديدة •• وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية الملقاة على عاتقنا هم أول من يجب ان تتوفر لديهم الشجاعة في اتخـــاذ القرارات المصيرية التي تتناسب مع جلال المواقف •

ويجب ان نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب، وفوق خداع النفس ، وفوق نظريات التفوق البالية فمن المهم الا ننسى أن العصمة لله وحده .

وبلات حروب جديدة مفجعة

واذا قلت انني اريد ان اجنب كل الشعب العربي وبلات حروب جديدة مفجعة فانني اعلن امامكم بكل الصدق انني احمل نفس المشاعر واحمل نفس المسئولية لكل انسان في العالم، وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلي .

ان الروح التي تزهق في الحرب هي روح انسان سواء كان عربيا او اسرائيليا ، ان الزوجة التي تترمل هي انسانة من حقها ان تعيش في اسرة سعيدة سواء كانت عربية او اسرائيلية .

ان الاطفال الابرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم اطفالنا جميعا ـ اطفالنا جميعا على ارض العرب او في اسرائيل لهم علينا المسئولية الكبرى في ان نوفر لهم الحاضر الهانىء والغد الجميل .

من اجل كل هذا .. ومن اجل ان نحمي حياة ابنائنا واخوتنا جميعا . . من اجل ان تظل مجتمعاتنا آمنه مطمئنة، من اجل تطور الانسان واسعاده ، واعطائه حقه في الحياة الكريمة، من اجل مسئولياتنا امام الاجيال المقبلة .. من اجل بسمة كل طفل يولد على ارضنا

من اجل كل هذا اتخذت قراري ان احضر اليكم رغم كل المحاذير لكي اقول لكم مباشرة كلمتي .

دوافع تفرضها مسئولية القيادة

ولقد تحملنا وأتحمل متطلبات المسئولية التاريخية .. من اجل ذلك اعلنت من قبل ومنذ اعوام وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١ انني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل - وكان هذا اول اعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع الاسرائيلي ، وبكل هذه الدوافع التي تفرضها مسئولية القيادة .. اعلنت في السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب المصري الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل والدائم . ولم اكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام ، او يطلب وقف اطلاق النار وبهذه الدوافع كلها التي يلتزم بها الواجب التاريخي والقيادي وقعنا فك الاشتباك الاول . ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني في سيناء ، ثم سعينا نطرق الابواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو سلام دائم وعادل ، وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا وأهدافنا ، ولكي تقتنع فعلا باننا دعاة عدل ، وصناع سلام ...

وبهذه الدوافع كلها قررت ان احضر اليكم بعقل مفتوح ، وقلب مفتوح ، وارادة واعية لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل .

كيف يحقق السلام العادل؟

وشاءت الاقدار ان تجيء رحلتي اليكم .. رحلة السلام ..

في يوم العيد الاسلامي الكبير عيد الاضحى المبارك . عيد التضحية والفداء حين اسلم ابراهيم عليه السلام امره لله ، وتوجه اليه بكل جوارحه لا من ضعف بل عن قوة روحية هائلة ، وعن اختيار للتضحية بفلذة كبده ، بدافع من ايمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل عليا تعطى الحياة مغزى عميقا .. ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا في نفوسنا جميعا لعله يصبح املا حقيقيا في ان نباشر الامن والامان والسلام ..

أيها السيدات والسادة

دعونا نتصارح في الكلمة المستقيمة والفكرة الواضحة التي لا تحمل اى التواء ودعونا نتصارح اليوم والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة ، هذه اللحظات التي يمكن ان تكون نقطة تحول جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم ان لم يكن في العالم كله دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير كيف يمكن ان نحقق السلام الدائم العادل؟ ولقد جئت اليكم أحمل جوابي الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير لكي يسمعه الشعب في اسرائيل ولكي يسمعه العالم أجمع ولكي يسمعنا ايضا كل اولئك الذين تصل اصوات دعواتهم

المخلصة الى اذنى املا فى ان تحقق فى النهاية النتائج التى ترجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى، وقبل ان اعلن لكم جوابى ارجو ان أؤكد لكم اننى اعتمد فى هذا الجواب الواضح الصريح على عدة حقائق لا مهرب لاحد من الاعتراف بها .

الحقيقة الاولى: انه لا سعادة لاحد على حساب شقاء الاخرين .

الحقيقة الثانية : اننى لم اتحدث ولن اتحدث بلغتين، ولم اتعامل ولن اتعامل بسياستين، ولست اتعامل مع احد الا بلغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد .

الحقيقة الثالثة : أن المواجهة المباشرة، وان الخط المستقيم هما اقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح .

الحقيقة الرابعة : ان دعوة السلام الدائم العادل المبنى على احترام قرارات الامم المتحدة اصبحت اليوم دعوة العالم كله، واصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولى سواء فى العواصم الرسمية التى تصنع السياسة أو القرار على مستوى الرأى العام العالمى الشعبى .. ذلك الرأى العام يؤثر فى صنع السياسة والقرار .

الحقيقة الخامسة : ولعلها ابرز الحقائق واوضحها ان الامة العربية لا تتحرك فى سعيها من اجل السلام الدائم العادل من موقف ضعف او اهتزاز بل انها على العكس تماما من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ـ صادرة عن ادراك حضارى لكى نتجنب كارثة محققة علينا وعليكم وعلى العالم فانه لا بديل عن اقرار السلام الدائم العادل الذى لا تزعزعه الانواء، ولا تعبث به الشكوك ،

ولا يهمه سوء المقاصد او التواء النوايا من وراء هذه الحقائق التي اردت أن اضعكم في صورتها كما أراها .. ارجو أيضا ان احذركم بكل الصدق .. احذركم من بعض الخواطر التي يمكن ان تطرأ على اذهانكم .. ان واجب المصارحة يقتضيني ان اقول لكم ما يلي :

أولا — انني لم اجيء اليكم لكي اعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل ليس هذا واردا في سياسة مصر — فليست المشكلة هي مصر واسرائيل او بين اية دولة من دول المواجهة واسرائيل .. فانه لن يقوم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها اكثر من ذلك .. فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فان ذلك لن يحقق ابدا قيام السلام الدائم العادل الذي يلح العالم كله اليوم عليه .

ثانيا — انني لم اجيء اليكم لا سعى الى سلام جزئي بمعنى ان ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة ثم نرجيء المشكلة برمتها الى مرحلة ثانية فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا الى السلام الدائم .

تؤجل فقط اشتعال الفتيل

ويرتبط بهذا انني لم اجيء اليكم لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء أو في سيناء والجولان والضفة الغربية فان هذا يعني اننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى اي وقت مقبل . بل هو يعني اننا نفتقد

شجاعة مواجهة السلام ... واننا اضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل .

لقد جئت اليكم لكى نبنى معا السلام الدائم العادل حتى لا تراق نقطة دم واحدة من دم اى من الطرفين .

الاجابة على السؤال الكبير

وهنا أعود الى الاجابة على السؤال الكبير كيف نحقق السلام الدائم العادل؟ فى رأيى واعلنها من هذا المنبر – اعلنها للعالم كلــه ان الاجابة ليست مستحيلة، وما هى بالعسيرة على الرغم من مرور أعـــوام طويلة من ثأر الدم والاحقاد والكراهية ، وتنشئة اجيال على القطيعـــة الكاملة ، والعداء المستحكم .. الاجابة ليست عسيرة ولا مستحيلة اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والايمان .

انكم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم .. وأنــا اقول لكم بكل اخلاص اننا نرحب بكم بيننا بكل الامن والامان .. ان هــذا فى حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة من علامات تاريخى جاد .

لقد كنا نرفضكم ، وكانت لنا اسبابنا ودعاوانا .

نعم ، لقد كنا نرفض الاجتماع فى اى مكان .

نعم ، لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة .

نعم . لقد كانت تجمعنا المؤتمرات والمنظمات الدولية وكـــانا ممثلونا ولا يزالون لا يتبادلون التحية والسلام معكم .

نعم هكذا تمت مباحثات فك الاشتباك الاول والثانى كما ان ممثلينا التقوا فى مؤتمر جنيف دون تبادل كلمة مباشرة ٠

نعم ٠ هذا حدث ـ ولكنى اقول لكم اليوم واعلن للعالم كله اننا نقبل العيش معكم فى سلام دائم وعادل، ولا نريد ان نحيطكم او تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو القذائف الاحقاد والكراهية

ولقد اعلنت اكثر من مرة ان اسرائيل اصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم، وحملت القوتان الاعظم مسئولية امنها وحماية وجودها ، ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا نرحب بان تعيشوا بيننا فى امن وسلام فعلا وحقا ، لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم ان تبنونه على مدى ربع قرن من الزمان ولكنه تحطم فى عام ١٩٧٣٠

كان هذا الجدار جدارا من الحرب النفسية المستمرة فى التهابها وتصاعدها ، كان هذا الجدار جدارا من الترويج باننا امة تحولت الى جثة بلا حراك ، بل ان منكم من قال انه حتى بعد خمسين عاما مقبله فلن تقوم للعرب قائمة من جديد ٠

الجدار تحطم عام ١٩٧٣

كان جدارا دائما يهدد بالذراع الطويلة القادرة على الوصول الى اى موقع أو اى بعد ـ كان جدارا يحذرنا من الابادة والفناء ٠ اذا

نحن حاولنا ان نستخدم حقنا المشروع فى تحرير ارضنا المحتلة، وعلينا ان نعترف معا ان هذا الجدار قد وقع وتحطم فى عام ١٩٧٣ . ولكن بقى جدار آخر هذا الجدار الآخر يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننـا وبينكم حاجزا من الشكوك، حاجزا من النفور .. حاجزا من خشيـة الخداع .. حاجزا من الاوهام حول اى تصرف، او فعل، او قرار .. حاجزا من التفسير الحذر الخاطئ، لكل حدث أو حديث ـ وهـذا الحاجز النفسي هو الذى عبرت فى تصريحات رسمية انه يشكل فى نظرى ٧٠٪ من المشكلة .

واننى اسألكم اليوم بزيارتى لكم .. لماذا لا تمتد أيدينـا بصدق وايمان واخلاص لكى نحطم هذا الحاجز معا .

لماذا لا تتفق ارادتنا بصدق وايمان واخلاص لكى نزيل معا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد واخفاء حقائق النوايا ؟

لماذا لا نتحلى معا بشجاعة الرجال وجسارة الابطـال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى ؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال، وتلك الجسارة لكى نقيم صرحا شامخا للسلام يبنى ولا يهدم . يشع لاجيالنا القادمة اضواء الرسالة الانسانية نحو البناء والتطور ورفعة الانسان ؟

لماذا نورث هذه الاجيال نتائج سفك الدماء وازهاق الارواح وتيتيم الاطفال ـ وترمل الزوجات، وهدم الاسر وانين الضحايا ؟

لماذا لا نؤمن بحكم الخالق التي اوردها في امثال سليمان الحكيم (الغش في قلب الذين يفكرون في الشر .. اما المشيرون في سلام فلهم فرح لقمة يابسة ومعها سلام .. خير من بيت ملىء بالذبائح مع الخصام ؟

لماذا لا نردد معا من مزامير داود النبي "اليك يارب اصرخ .. اسمعت صوت تضرعي اذا استغثت بك .. وارفع يدى الى محراب قدسك .. لا تجذبني مع الاشرار ومع فعلة الاثم المخاطبين اصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم اعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم .. اطلب السلامة واسعى وراءها .

سلام بدون احتلال الارض

ايها السيدات والسادة ، الحق اقول لكم "ان السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال ارض الغير .. ولا يسوغ ان تطلبوا لانفسكم ما تنكرونه على غيركم .. وبكل صراحة وبالروح التي حدت بي الى القدوم اليكم اليوم فاني اقول لكم .

ان عليكم ان تتخلوا نهائيا عن احلام الغزو .. وان تتخلوا ايضا عن الاعتقاد بان القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب .

ان عليكم ان تستوعبوا جيدا ظروف المواجهة بيننا وبينكم فلن

بجدبكم ا لتوسع شيئا ، ولكن نتكلم بوضوح فان ارضنا لا تقبل المساومة وليست عرضة للجدل . ان التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا في منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم الله فيه موسى عليه السلام، ولا يقبل اى منا ان يتنازل عن شبرواحد منها او ان يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه — والحق اقول لكم ايضا ان امامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام وهى فرصة لا يمكن ان يجود بمثلها الزمان اذا كنا جادين حقا فــى النضال من اجل السلام ، وهى فرصة لو اضعناها أو بددناها لسوف تحل بالتآمر عليها لعنة الانسانية ولعنة التاريخ .

ثم انتقل الرئيس السادات الى تعريف السلام بالنسبــة لاسرائيل بمعنى ان تعيش مع جيرانها العرب فى امن واطمئنان .

وبين بأن الوصول الى هذه الحقيقة يمكن ان يكون عن طريــق السلام القائم على العدل .

اما بالنسبة للقضية الفلسطينية فقال : " انها جوهر المشكلة كلها وتساءل ليس هناك فى العالم كله من يقبل تلك الشعارات التى رفعت فــى اسرائيل والتى تتجاهل شعب فلسطين ، وتساءل اين هو هذا الشعب؟ واسترسل فى تبيان حقوق هذا الشعب الفلسطينى .

وبعد ذلك طالب اسرائيل بمواجهة الواقع بشجاعة كمــا واجهه هو . ثم ختم الرئيس السادات وانهى خطابه برسالة (السلام من مصر) وفسر هذا السلام بانه ليس توقيعا على سطور مكتوبة ، بل هــو

كتابة جديدة للتاريخ ، وهو ليس مباراة فى المناداة به ، وانما هو فى جوهره نضال جبار ضد كل الاطماع والشهوات ثم توجه بندائه الى شعب اسرائيل قائلا لهم :ـ

اتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة الى كل رجل وامرأة وطفل فى اسرائيل اقول لكم اننى احمل اليكم من شعب مصر الذى يبارك هذه الرسالة المقدسة من اجل السلام .. احمل اليكم رسالة السلام .. رسالة شعب مصر الذى لا يعرف التعصب ، والذى يعيش ابناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود ... بروح المودة والحب والتسامح .

وهذه هى مصر التى حملنى شعبها أمانة الرسالة المقدسة اليكم ..

بشروا ابناءكم ان ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام ، وان ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة ..

وأخيرا اختتم خطابه بقوله :

اللهم انى اردد مع زكريا قوله (احب الحق والسلام ....

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال " قل آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون .)

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله ..

كلمة بيجين رئيس وزراء اسرائيـــل

ثم القى مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل كلمته التى رحــب فى بدايتها بالرئيس السادات وقال : " اننا نحن اليهود نقدر شجاعـــة الرئيس السادات باتخاذ هذه المبادرة ، واشار الى تضحية العــــرب واسرائيل بالكثير من ابنائهم فى الحروب السابقة ، واكد رغبة اسرائيل فى السلام ـ وقال : " ان يدنا ممدودة بالسلام ـ وقال مناحم بيجين ، " اننا لا نؤمن بالقوة .. ولكن بالحق ولذلك فان رسالتنا هى السلام .

واشار الى ان الكنيست الاسرائيلى يضم احزابا عديدة ولكنها تتفق جميعا فى السلام رغم تباين ارائها .. وقال انهم جميعا متطلعون الى عهد من الازدهار والتطور والنمو الاقتصادى والتعاون مع العـــرب" وقال بيجين ، " اننا نطالب بسلام شامل وحقيقى مع تصالح كامل بـــين اليهود والعربيه ولا نريد ان ندخل فى ذكريات الماضى .

ثم اشار الى دعوة الاسد والملك حسين ملك الاردن لزيارة اسرائيل وخاطب الرئيس السادات قائلا، اننا لم ندهش يا سيادة الرئيـــس لدق اسفين بينك وبين الشعوب العربية فاسرائيل لاتريد التفرقة وانمـا تريد السلام مع كافة جيرانها .

ثم اضاف بيجين " ان كل شىء قابل للتفاوضه ولكن من الصعب ان يقول اى منا ان هناك اشياء يجب ان نخرجها من دائرة المفاوضات

وقال " ان اذاننا مفتوحة لكل اقتراح .

وتحدث عن وضع مدينة القدس فقال : ان الاماكن المقدسة مفتوحة للجميع وسيكون الطريق مفتوحا امام الجميع من كل الشعوب .

واختتم بيجين كلمته بقوله : " هذا يوم مشهود فى تاريخنا واعرب عن امله فى تحقيق اليوم الذى تتطلع اليه اسرائيل .. وهو يوم السلام — وبعد ان انتهى مناحم بيجين من القاء كلمته توجه الى حيث يجلس الرئيس السادات على المنصة وصافحه بحرارة بينما دوت القاعة بعاصفة من التصفيق .

كلمة بيريز زعيم المعارضة فى الكنيست الاسرائيلى

اكد فى كلمته ان المعارضة ستؤيد بلاتردد التسوية ، واشار الى اتفاقيتى الفصل بين القوات على الجبهة المصرية .

وانتقد الاتحاد السوفييتى وقال : " انه يجب عليه ان يؤيد السلام ، ولكنه ايد الحرب واشار الى حزب العمل — المعارضة — يؤيد اقامة علاقة جيدة بين العاملين فى اسرائيل والشعوب العربية .

ودعا الى علاقات طبيعية واقتصادية وودية بين العرب واسرائيل وقال ، اننا لن نطالب اى طرف من الاطراف بتسويات من جانب واحد كما قال رئيس المعارضة بان الكيان الفلسطينى لا يصح ان يضر بأمن اسرائيل .

اجتماع حاسم في تاريخ مصر
والامة العربيــــة

لقد اجتمع الرئيس أنور السادات والوفد المصرى مع بيجين رئيس وزراء اسرائيل ومعه الوفد الاسرائيلي في ١٥ ديسمبر ١٩٧٧ وذلك لبحث قضية الشرق الاوسط وكان هذا اللقاء اشبه بفرقتين نزلا الــى الملعب وحاول كل منهما ان يهجم عود الآخر ولكن الرئيس السادات قبل ان ينزل الى الملعب طرح اوراقه على المتفرجين قبل اللاعبين حتى يروا هذه الاوراق فى وضح النهار الا ان اللاعب الاسرائيلي كان يحاور ويداور عله يستطيع ان يكسب شيئا فى الظلام .

انتهى الاجتماع دون ان يعلن بيان من الطرفين ، ولمـــا سئل السادات عن سبب ذلك قال ، " لان هناك خلافا على المسألـــة الفلسطينية ولم يشأ أن يقول لهم انهم متمسكون بالمستوطنات لانه كـــان يعتقد انهم يتكلمون عن المستوطنات من باب الاستهلاك المحلـــى " ولكن هكذا كان المفاوض اليهودى مساوما الى حد كبير وأراد المفـــاوض الاسرائيلي ان يشعر المفاوض المصرى بان التسليم بما يريدون ليس امرا سهلا ، وان مصر اذا تمسكت بالمسألة الفلسطينية فان هناك المستوطنات والمطارات وغيرها .

وقد قالت المصادر الفرنسية المطلعة فى باريس" ان الازمة فى مباحثات السلام كان فى لقاء الاسماعيلية ، وقالت هذه المصادر ان المعلومات

تؤكد أن بيجين كان قد وافق على الانسحاب الشامل من سيناء، وحق تقرير المصير للفلسطينيين ولكنه رجع وحاول ان يساوم فيما قاله وصرح بيجين بتصريحات تدل على الصلف والتحدث .

ولذلك فان الرئيس السادات طالب امريكا ان تؤمن مصر من ناحية التسليح كما تؤمن اسرائيل، وبغير هذا فان اسرائيل ستظل في تعنتها .

دعا الرئيس الامريكي كارتر الرئيس السادات لزيارة امريكا .

وكان موقف امريكا واضحا في نقطتين .

الرئيس الامريكي طمأن الرئيس السادات على ان امريكا مازالت تحتفظ بقوة الضغط على اسرائيل .

ان امريكا تتفهم موقف السادات وانها مازالت تسعى بحماس الى :

استئناف محادثات الشرق الاوسط وان امريكا مازالت تساند نا بقوة ، وكانت اسرائيل فعلا قلقة من رحلة السادات الى امريكا .

قطع المباحثات

في الثامن عشر من يناير ١٩٧٨ اصدر الرئيس السادات تعليماته الى السيد / وزير الخارجية المصرية بقطع المفاوضات والعودة فورا الى القاهرة ، وقد اتخذ الرئيس السادات هذا القرار الحاسم حتى لا تستمر المفاوضات في حلقة مفرغة . وعاد وفد المحادثات المصري الى القاهرة

اتصال الرئيس الامريكى بالرئيس السادات تليفونيا .

اتصل الرئيس كارتر بالرئيس السادات من امريكا لمدة عشر دقائق وطلب منه فتح باب المفاوضات من جديد ، وصرح الرئيس كارتر ان الخلاف بين الطرفين خلاف مؤلت وحث الرئيس السادات على الاستمرار والتقدم فى اتجاه السلام ، ومما زاد فى تأزم الموقف ان وزير الخارجية محمد كامل ابراهيم جلس دون ان يرفع كأسه بعد ان رد على بيجين بكلمات ملتهبة .

مشروع أمريكى

اعلن هودنج كارتر المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية عن مشروع يقرب وجهات النظر كما اعلن عن مشروع مصرى يتلخص فى اربع نقاط .

أزمة دبلوماسية

بدأت هذه الازمة عندما اعلن بيجين كلمته التى قال فيها "ان السلام لا يمكن ان يتحقق اذا كان على اسرائيل ان تعود الى خطوط ٥ يونيه ١٩٦٧ .

لقاء كارتر والرئيس السادات بأسوان

لقد عرفنا ان اسرائيل بعد ما استقبلت تصريح الرئيس كارتر من

ناحية عدم اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية ، وابلغ الرئيس السادات بذلك صرح الرئيس السادات ردا على هذا التصريح بانه يرفض هذا التصريح رفضا باتا — بعد ذلك عدل الرئيس كارتر مسار رحلته على ان تكون مصر ضمن دول هذه الرحلة ، وشاهدت مصر والعالم هذا اللقاء الودى العظيم وعلقت الصحيفة الالمانية الغربية على نتائج قمة اسوان فقالت فرانكفورت : —

انه مما يثير الدهشة أن الرئيس كارتر لم يكرر كلمة (لا) التى اعترف بها فى الاسبوع الماضى على قيام دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية لنهر الاردن — واضافت الصحيفة ان السادات نجح فيما يبدو فى اقناع الولايات المتحدة بانه ينبغى اولا الاتفاق على مبادىء سلام شامل وليس على تفاصيل خطة الانسحاب التى قدمها بيجين فى الاسماعيلية .

الجولة الثانية من مباحثات السلام

لقد انتهت الجولة الاولى بايقاف المباحثات (قطعها من جانب مصر واختلفت الناس فى تأويلها — والواقع ان اسرائيل هى المسئولة اولا واخيرا عن قطع المباحثات .

رحلة السادات العامة تبدأ يوم ٢ فبراير ١٩٧٨

يبدأ الرئيس السادات رحلته العامه الى ٨ دول فى ثلاث قارات امريكا وافريقيا واوربا والمغرب والولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وألمانيا

ورومانيا والنمسا وايطاليا ٠

رحلة نائب رئيس الجمهورية السيد حسنى مبارك

لم يعد نائب رئيس الجمهورية اشبه بما ستير يوضع فى المخزن ، ويغلق عليه ، ثم لا يفتح له الا بعد ان تتعطل السيارة ويطالب الرجال باصلاحها كما كان فى عهد عبد الناصر وانما وجدنا أن نائب رئيس الجمهورية يشارك رئيس الجمهورية فى الجهود ٠

تأثر الكونجرس الامريكى بزيارة السادات

اشارت الصحف الى تأثر اعضاء الكونجرس بمواقف السادات القائلة "ان النوايا الطيبة التى ابداها الزعيم المصرى من اجل السلام قد جعله طرفا رئيسيا واننا مضطرون لمساعدته باية طريقة ٠

بيان مشترك بين كارتر والسادات

صدر البيان المشترك يوم ٥ فبراير ١٩٧٨ لمحادثات السادات وكارتر وقد اكد الرئيس الامريكى فى البيان المشترك التزام الولايات المتحدة ببذل جهود مضاعفة لتحقيق التقدم نحو السلام فى الاسابيع القادمة ٠

مباحثات السادات وكالاهان صباح الخميس

الموافق ٩ فبراير ١٩٧٨

اكدت رياسة الوزارة البريطانية ان الرئيس أنور السادات وجيمس كالاهان رئيس الوزارة البريطانية سيتباحثان فى المؤتمر الذى ذكرآنفا ٠

روسيا تخلق مشاكل اثناء زيارة الرئيس لامريكا

ولذلك اصدر الرئيسان كارتر والسادات بيانا قيل فيه انهما اتفقا على ان يظلا على اتصال وثيق تماما ٠

مباحثات الرئيس السادات مع كالاهان وشميت

اكد فيها كالاهان وشميت تأييدهما الكامل للرئيس السادات ٠

الفاتيكان يؤيد جهود السادات من اجل السلام

كرايسكى يقول : لا سلام بدون تضحيات من جانب اسرائيل ويهاجم بيجين يدافع عن المستوطنات الاسرائيلية ٠

الرئيس السادات يجرى محادثات مع شاوشيسكو٠

الرئيس الرومانى

محادثات السادات وديستان رئيس فرنســـــا

تمت هذه المحادثات فى ١١ فبراير ١٩٧٨ بين الرئيس السادات وديستان رئيس فرنسا ٠

الرئيس السادات يعقد مؤتمرا صحفيا فى باريس

عقد الرئيس السادات مؤتمرا صحفيا فى باريس فى ١٢ فبراير ١٩٧٨ وذلك بعد انتهاء مباحثاته ٠

ثلاث اجتماعات للرئيس فى ايطاليا

البابا يخرج من خلوته الدينية ليقابل الرئيس السادات ٠

الموقف بعد انتهاء الرحلة

نستطيع ان نقول : "ان الرحلة نجحت ١٠٠٪ وان امريكا قد استجابت لتحقيق هذه المبادرة ٠

الفريق اثرتون وقدومه الى منطقة الشرق الاوسط لاعلان المبادرة

بعد زيارة الرئيس السادات لامريكا ودول الغرب اقتنعت امريكا بانها ليست وسيطا فقط ، وانما أصبحت بالفعل طرفا ، وان من واجبها ان تلقى بكل ثقلها فى دفع عجلة السلام الى الامام ٠

الفريد اثرتون قام برحلاته من مصر الى اسرائيل ليحصل على نتائج حاسمة الآن بيجين الذى بتصريحات من شأنها نسف السلام ٠

بعد ذلك عقدت مؤتمرات عديدة اشتركت فيها امريكا بحزم وقوة ثم انتقلت

المحادثات الى كامب ديفيد ، ولئن فشل هذا المؤتمر فان الفشل لا يكون للسادات وانما سيكون لامريكا التى التزمت بنجاحه لان الرئيس كارتر رمى القفاز فى وجه بيجين وبيجين التلطه ٠

اهتمام عالمى كبير بمؤتمر كامب ديفيد

ففى لندن قالت الجارديان بان ، "على امريكا ان تقنع اسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية وغزة ٠

الرئيس كارتر يقدم الى المؤتمر افكارا وبدائل
والرئيس السادات يبحثها

المؤتمر عقد جلستين لبحث مستقبل الضفة الغربية ، والقضية الفلسطينيون دخلت محادثات مؤتمر القمة فى كامب ديفيد مرحلة هامة اليوم حيث قدم الرئيس كارتر افكارا جديدة احاط بها كلامن الرئيس السادات ومناحم بيجين على ان يتقدم بعد ذلك كل جانب برأيه لتحديد صياغتها فى ضوء التعديلات ٠

المؤتمر عقد جلستين لبحث مستقبل الضفة
الغربية والقضية فلسطين

عقد المؤتمر جلسته الثانية من الرابعة والنصف مساء ، واقتصر على الرئيس كارتر والرئيس السادات ومناحم بيجين واستمر الاجتماع لمدة ٣ ساعات وتركزت المباحثات على مستقبل الضفة وغزة والقضية الفلسطينية ، ولم يمض الاسبوع حتى ظهرت المفاجأة التى جعلت العالم يتنفس الصعداء ظهرت الاتفاقات الكبيرة بهذه العناوين ٠

الانسحاب الاسرائيلي من سيناء . الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية . الانسحاب الاسرائيلي من غزة . انهاء الحكم العسكري في الضفة الغربية وغزة . تصفية القواعد العسكرية في سيناء . تسليم المطارات الاسرائيلية الحربية في سيناء لمصر وقف بناء أي مستوطنات جديدة فورا في الاراضي المحتلة . انسحاب اسرائيلي كامل من سيناء على مرحلتين . الانسحاب الى الحدود الدولية يبدأ خلال ٣ أشهر . هذه العناوين فوجئ بها العالم كله بعد ان كان يحاصر (كامب ديفيد) اكثر من خمسمائة صحفي ولم يستطيعوا ان يحصلوا على خبر واحد يرجح كفة التفاؤل - بل كانت الاخبار التي يطلع بها المسئولون ترجح كفة التشاؤم ، واصبح الكل بين لحظة واخرى يستعدون لتشييع جنازة (كامب ديفيد) .

اتفاق السلام

بعد جهود مضنية استمرت ثلاثة عشر يوما ، وحوار لم تنخفض درجة حرارته لحظة واحدة ، وبعد ان كادت الانواء تعصف بالمؤتمر استطاع الرئيس كارتر ان ينقذ المؤتمر في الوقت الاضافي ، وتم اعلان وثائق المؤتمر في حفل كبير في البيت الابيض بقاعة الشرق ، واذيع على جميع محطات التلفزيون بامريكا في الساعة العاشرة والنصف من مساء الاحد اي الرابعة والنصف بتوقيت القاهرة .

الوثيقـــة الاولـــــى

اتفقوا فيها على الاطار العام للسلام في الشرق الاوسط وهو يدعو الاطراف الاخرى للنزاع العربي الاسرائيلي الى الانضمام اليه .

وان الاطراف اذ تضع عوامل السلام في الاعتبار تصبح مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة لصراع الشرق الاوسط عن طريق معاهدات سلام تقوم على قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ بكل فقراته .

الضفة الغربية وغــزة

ينبغي ان تشترك مصر واسرائيل والاردن وممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها والحليلــة

ان الرئيس السادات في الاجتماع الذي عقد في مصر فى مينا هاوس أعد مكانا للفلسطينيين معه والاردن وللاطراف المتنازعة كلها ، ووضع علما على كل مقعد يدل على الدول التي تجلس تحته ، ومع ذلك فلقد رفضت هذه الاطراف دعوة السادات ولم يحضروا وحضر السادات والوفد المصري وحده ، وسارت المحادثات وتحمل السادات مراركتها وحده وحصل فيها مد وجزر وشد وجذب كثيرا والواقع ان امريكا كانت جادة مخلصة ، وكانت المفاوضات لا تتقدم الا لتتأخر .

وفى يوم من أيام كامب د يفيد جمع الرئيس الوفد المصرى وقال لهم ان الرئيس كارتر طلب منى مهلة يومين فقط وقد وافقت على ذلك وذهب الرئيس السادات فى رفقة الرئيس الامريكى حتى اوصله الى مسكنه كما هى العادة .

(استقالة وزير الخارجية محمد كامل ابراهيم)

وعند الظهر تقريبا كانت حالة وزير الخارجية محمد كامل ابراهيم سيئة ولم يطق صبرا على هذا الحوار المتوتر المشحون فذهب الى الرئيس السادات قائلا :

(انى استأذ نك فى اعفائى من العمل كوزير للخارجية لانـــــنى لا أستطيع البقاء فوافق الرئيس على استقالته وقال له الرئيس الســـادات حاول ان تهدأ .

تعليقى على هذه الاستقالة

لقد أراد الله ان ينسب الفضل الى صاحبه فقط وهو الرئيـــس السادات واذا كان وزير الخارجية الجديد محمد كامل ابراهيم اعتقد ـــن الحوار الذى دار ونسوته ان المؤتمر سينتهى بالفشل فلقد خيب الله ظنه وبقى السادات وحده يتحمل المسئولية ومرارة الحوار ويتحمل هجـــوم المعارضين من الفلسطينيين ودول الرفض وكان السادات فى كل اطــــواره معتمدا على الله ولا ننسى ان هذه الاستقالة كانت مشجعة لهجوم أكثـر

على السادات كما كانت استقالة اسماعيل فهمى وزير الخارجية السابق له لان هذه الاستقالات جاءت فى اوقات حساسة — ومع ذلك فان السادات قابل استقالتهما بكل هدوء واستمر مبتسما فى الحديث كأن شيئا لم يحصل. فقال للاول عندما أراد ان يخفف من وقع استقالته من الممكن عدم اعلان الاستقالة الا بعد تمام الرحلة حتى لا يستغلها المعارضون فقال له السادات لا لابد ان تعلنها على الشعب حتى يكون كل شىء واضحا لاننا لا نعمل فى الظلام — وكذلك قابل استقالة الوزير الثانى بان نصحه وقال له بعد قبول استقالته حاول أن تهدأ مع ان هذه الاستقالات اخذها المعارضون والرافضون كأنها الحجة الدامغة التى طوقت عنق السادات ، وانضم فعلا هذان الوزيران الى المعارضة وكان موضوع المستوطنات هو الموضوع المثير لان بيجين قال : أنه لا يمكنه ان ينص عليها لانه ليس مفوضا بمناقشتها اذ لابد من عرضها على الكنيست الاسرائيلى اولا .

واعلن الرئيس السادات ان كل شىء متوقفا على موافقة الكنيست او عدم موافقته .

مفاجأة يسرها وزير الدفاع الاسرائيلى للرئيس السادات

فى الساعة العاشرة من مساء هذا اليوم كان الرئيس السادات يتفرج على التلفزيون اذ حضر اليه عيزرا فايتسمان وزير الدفاع

الاسرائيلى فبادره الرئيس السادات: خير ياعيزرا ، قال عيزرا انى ارى الامور قد قاربت نهايتها على النحو الذى يرضيك ـ قال السادات لقد جاء ديان أمس وكان واضحا تماما انه ذا اسل فى شىء . قال فايتسمان : (ولكنى) أوكل أنه سوف ينتهى غدا كل شىء كما تريد تماما قال الرئيس السادات ((خير)). وفى الليل اصبحت الصيغة قريبة ومقبولة من الطرفين يوم الاحد اصبح معروفا أن الاتفاقية وشيكة وان هناك بعض الرتوش او اللمسات الاخيرة فى الصياغة وعند الظهر مر الرئيس كارتر بالسادات وقال له : " اليوم سوف توقع الاتفاقيات فى القاعة الشرقية بالبيت الابيض فلنلتقى يوم الاثنين

وبعث الرئيس كارتر برسالة الى كل من الرئيس السادات ومناحم بيجين يرجو الا تصدر اية بيانات او احاديث قبل ظهر يوم الاثنين .

جربت السيف واللين فوجدت اللين انجح

تلقى الرئيس السادات ان السيد / مناحم بيجين يريد مقابلته وكانت الامطار غزيرة وجلس الاثنان يتحدثان بعض الوقت وقال السادات سوف ارد لك هذه الزيارة وذهب اليه الرئيس السادات فى الكشك الذى يقيم فيه واستأنفا الحديث من جديد ، واستغرقت الصياغة للنصوص كل الوقت بعد الظهر وفى الساعة السابعة مساء انتقل ثلاثتهم فى طائرة هليوكبتر متجهين الى البيت الابيض ، ثم كانت لفتة طريفة

من الرئيس كارتر تدل على أخلاقياته فلقد اتصل بالرئيس السابق (فورد) وقال له " اكملت الطريق الذى بدأته انت معى ومعى فى الطائرة الآن الرئيس السادات والسيد / مناحم بيجين وتحدث اليه الرئيس السادات ، وتحدث السيد / مناحم بيجين وهنأ الرئيس فورد الزعماء الثلاثة على هذا التوفيق العظيم من اجل السلام .

يوم الاثنين القى الرئيس كارتر بيانا فى الاجتماع المشترك بالكونجرس مجلس الشيوخ وكان البيان بليغا وقويا ، وصفق له الاعضاء طويلا وهم وقوف وقاطعوه ثمانى عشرة مرة ، وصفقوا للرئيس السادات والسيد / مناحم بيجين ، وارتفعت اسهم الرئيس كارتر فى اعين الشعب الامريكى .

أهسوعون من القدر

لقد واجه الرئيس السادات وهو فى قمة النصر سواء كان ذلك فى الحرب او السلام مشاكل داخلية وخارجية كانت جديرة بنسف ملومسات كل هذا النصر لولا قوة صلابته ، وان الله سبحانه وتعالى اراد ان يتم ما بدأ ، ولقد كان الناس يتابلون هذه الانباء وكانها اخبار عاديه ، ولكن لو ان كل انسان تدبرها بعمق لرأى تدخل القدر لصالح الرئيس السادات وصالح مصر .

هل المنطق يسمح بان نترك ارضنا للمحتـــــل
لان اسرائيل متفوقة علينا فى التعامل التجارى والاقتصادى والثقافى؟

لقد أثار الرافضون أو الحاقدون فى اللجنة البرلمانية التى وافقت على نتائج " كامب ديفيد " ان السلام مع اسرائيل سيمثل بالنسبة للامة العربية تحديا حضاريا ، وان هذا التحدى الحضارى سيشكل خطورة عليها بدعوى ان التعامل التجارى والاقتصادى والثقافى مع اسرائيل قد يؤدى الى ابتلاعها للمنطقة والواقع اننا لو سلمنا بهذا المنطق لا يصح ان يكون لنا مكان على ظهر الارض ، ولا نستحق البقاء ، ولا يصح ان تسند لنا سيادة او حرية لان مصر التى اثبتت فى حرب اكتوبر تحديا للعالم كله من ناحيــة استيعاب كل وسائل التكنولوجيا الحديثة ، والعلم والفن يستولى عليهـــا الشك فى مقدرة ابنائها على تقدمهم فى فن الاقتصاد والثقافة والتجارة ، وانها لا تستطيع الوقوف بجانب اسرائيل فى هذا المضمار - يكون مـــن الواجب اذا كان الامر كذلك الا نطالب باى حق من حقوقنا وان نـــرد الأرض السليبة الى المحتل ، ونقول له : " اننا نخاف ان يقام بيننا وبينــك حسن جوار فلتهنأ بما وضعت يدك عليه ، ولتبق هذه الحواجز بيننا وبينك هذا فعلا منطق مقلوب لا يقره الا نزلاء مستشفى الامراض العقلية .

مناورة بارعة من المفاوضـــــين

اعلنت الصحف للرئيس كارتر بيانا بانه لم يحقق تقدما مع بيجين وهكذا كان المفاوضون الثلاثة يخفون مانوا أعمالهم عن الصحافة .

وقالت وكالة الانباء عقد الرئيس كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل فى ٩ مارس ١٩٧٩ رابع جلسة مباحثات بينهما فيما وصف بانه مواجهة حاسمة فى اعقاب المحادثات التى ادلى بهما الرئيس كارتر وبيجين واعلنا انهما فشلا فى تحقيق اى تقدم . كما عقد هذا الاجتماع وسط انباء تشير الى ان بيجين يعتزم مغادرة — واشنطن مساء غد الى نيويورك للقيام بحملة كبيرة لشرح المواقف الاسرائيلية .

تغيير خارجى

لم تمض ساعات على هذه الانباء التى صمت الاذان حتى اعلن البيت الابيض الامريكى ان الرئيس كارتر سيتوجه الى القاهرة يوم الخميس الموافق ٨/ ٤/ ١٩٧٩ واصيب العالم بدهشة كبيرة اذ كان من المتوقع ان يطلب الرئيس كارتر من الرئيس السادات ان يسافر هو الى امريكا للاجتماع ببيجين هناك وفى نفس الوقت الذى اعلن فيه ذلك جاءت تصريحات من البيت الابيض بان هناك قضايا صعبة تحتاج الى حل .

وقد صرح الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء بان مصر تنتظر تفسيرا من الرئيس كارتر وانه لا تغيير فى مواقفنا ولازلنا مع السلام .

وصول الرئيس كارتر الى القاهرة واستقبال الشعب المصرى له

لقد اكد المسئولون المصريون انه ليس هناك اى ضغط على مصر ، وان الرئيس كارتر هو الرئيس كارتر بما عرف عنه من اخلاق وصدق ، وان الذى حدث ان المباحثات الاخيرة لم يلتق فيها بيجين مع الرئيس كارتر • خرج بيجين ليجتمع بمؤيديه فى امريكا من اليهود الصهاينه ، واعتقد انه ربح الجولة الاخيرة •

ولكن الرئيس كارتر اجتمع بمستشاريه العسكريين واستدعى زعماء الكونجرس •

بيجين يوافق على المشروع الامريكى

وافق بيجين فى الحال وطبعا لم يوافق الا بعد ان رأى زعماء الكونجرس الذين كانوا يؤيدونه قد انفضوا من حوله •

وقد وضع الرئيس كارتر فى برنامجه زيارة مجلس الشعب والقى كلمة ورد عليه الرئيس السادات بكلمة حيا بها الضيف الكريم •

ومن بين ما قاله الرئيس كارتر " لقد اظهر رئيسكم لونا للشجاعة الانسانية والرؤية الانسانية لتحقيق الامل حيث لم يكن هناك سوى اليأس •

سفر الرئيس كارتر الى اسرائيل

غادر الرئيس كارتر القاهرة الى اسرائيل فى ١٠/ ٣/ ١٩٧٩ حاملا وجهة نظر مصر فى الخلاف المصرى الاسرائيلى •

تصرفات منافية للذوق السليم أثناء القاء كارتر كلمته في الكنيست الاسرائيلي

عندما القى الرئيس كارتر كلمته في الكنيست الاسرائيلي قابلته العضو (جيولا كوهين) أمسكت بالمعاهدة وقالت له هذه هي المعاهدة التي ستولعها وبزلتها ، وقد اكتشف البوليس الاسرائيلي مؤامرة لالقاء طارات محترقة على موكب الرئيس الامريكي لدى عودته الى تل ابيب ، وقد اضطر رئيس الكنيست ان يستعمل اللائحة فطرد العضو (جيولا كوهين) وكان مما قاله الرئيس كارتر (السلام في الشرق الاوسط ضرورة عاجلة - حان وقت القرارات الصعبة التاريخية .

اتصال الرئيس كارتر تليفونيا بالرئيس السادات

عندما كان الرئيس السادات يشاهد التلفزيون في الليل اتصل به الرئيس كارتر تليفونيا فقال له الرئيس السادات اني اراك الان على الشاشة فقال له الرئيس كارتر - فدا تشاهدني شخصيا ولم يشأ الرئيس كارتر ان يفصح عن شيء ولكن الرئيس السادات قال في نفسه لابد ان يكون الرئيس الامريكي التزم الحذر في الحديث في هذه الخطوط التليفونية المفتوحة .

فرد على الرئيس الامريكي وقال له - اهلا وسهلا تفضل .

قال الرئيس كارتر - الا تشا بلك هذه الزيارة ؟

قال الرئيس السادات بالعكس اهلا وسهلا .

سأل الرئيس كارتر واين تكون غدا ؟

اجاب الرئيس السادات هنا فى القاهرة فى انتظارك .

قال الرئيس الامريكى : اذن تكون لنا جلسة فى المطار .

قال الرئيس السادات : موافق تماما انا فى انتظارك .

وصول الرئيس كارتر الى القاهرة

وصلت الطائرة ثانى يوم تقل الرئيس الامريكى الى القاهـــرة وحاول المستقبلون والصحفيون ووكالات الانباء والتلفزيون ان يقرأوا شيئا فى تعابير وجهه الذى عندما يبتسم ابتسامة بسيطة يصبــــح وجهه كله ضاحكا ولكنهم لم ينجحوا لان الارهاق له اعطاه لونا حزينا فحجب عن الصحفيين كل ما كان يخفيه .

عرض المشروع الذى وافق عليه بيجين

تقابل الرئيسان ولم يدر بينهما اى كلام حتى تجاوزا حرس الشرف ودخلا الاستراحة والتفت الرئيس كارتر الى الرئيس الســـادات قائلا : " انتهى ياسيدى كل شئ " فسأل الرئيس السادات ـ ماذا ؟ اجاب الرئيس كارتر لقد تم الاتفاق فقال الرئيس السادات " ولمــاذا اخفيت عنى ذلك أمس ؟

لقد ظللت ليلى ونهارى استعرض كل ماتم وما سوف يتم وهيأت نفسى لاسوأ الاحتمالات.

وحتى عندما قابل الرئيس كارتر للرئيس السادات لم يبتسم لان ابتسامته تشترك جبهته كلها فيها وهو كان يريد ان تكون هذه مفاجأة.

تحديد يوم توقيع المعاهدة فى واشنطن

لقد سافر الرئيس كارتر الى امريكا بعد الاتفاق على توقيع المعاهدة على ان يحدد لذلك موعدا فى القريب العاجل وفعلا تحدد يوم الاثنين الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ فى الساعة التاسعة مساء بتوقيت القاهرة وبينما كانت تجرى الاستعدادات لاقامة هذا الاحتفال كانت هناك عقبات مازالت تعترض الطريق، وتحتاج الى الجهود الشخصية للرئيس السادات وبيجين لحلها، واجتمع الرئيس السادات مع مناحم بيجين يوم الاحد الموافق ٢٥ من مارس ١٩٧٩ للتغلب على هذه العقبات وتمت عدة اجتماعات بين الوفد المصرى والامريكى والاسرائيلى للاتفاق على الصيغة النهائية للوثائق. اما نقط الخلاف فكانت تتلخص فى ان:

١) توقيت الانسحاب الاسرائيلى من آبار البترول فى سيناء حيث ان مصر ترغب فى الانسحاب بعد اربعة اشهر واسرائيل ترغب فى ان يتم ذلك بعد ٩ أشهر.

٢) مصر توقف عملية تبادل السفراء حتى يتم الانسحاب من

آبار البترول •

٣) اسرائيل تصر على حقها فى شراء البترول من سينـــاء بالاسعار الدولية وتطلب من مصر الالتزام بذلك بدون مزايا لمنحها الافضلية •

كما عاد بيجين فى حديث اذيع فى محطة التلفزيون الامريكى الى فتح الحدود فورا مع مصر بعد توقيع معاهدة السلام •

وقال انه سيقترح فتح الحدود بين البلدين لانهاء حالة الحرب التى استمرت ٣٠ عاما ، وقال بيجين " ان اسرائيل ستتفاوض مع مصر اذا دعت الضرورة حول المسألة الفلسطينية يعنى اذا رفـــض الفلسطينيون التفاوض معهم •

توقيع المعاهـــدة

واخيرا تم فعلا توقيع اتفاقية السلام ، واتفاقية الحكم الذاتى وتم الاتفاق على معاهدة السلام بعد جهود مضنية وشاقة حمل مرارتها الرئيس انور السادات من العرب الرافضين الذين حاربوه بكل ما يملكون من مال وضمائر فاسدة واقلام مريضة ، ووسائل اعلام لا تلتزم بشـــرف ولا منطق •

المبادىء التى حققتها المعاهدة

١) الانسحاب من العريش بعد شهرين ومن آبار البترول بعد ٧ أشهر

٢) المفاوضات تبدأ فورا حول صلاحيات وسلطات الحكم الذاتى •

٣) لا امتيازات ولا أفضلية لاسرائيل تحت اى ظرف من الظروف

٤) مصر تصمم على اختصاصات واسعة للحكم الذاتى الفلسطينى •

٦) الافراج عن الفلسطينين ورفع الحظر عن النشاط السياسي فـــى الارض المحتلة •

٧) الحكومة الفلسطينية تحل محل الحكم العسكرى الاسرائيلى وتحـل محل ادارته •

٨) الحكم الذاتى ينبع من الاتفاقية وليس من الادارة الاسرائيلية •

٩) لابد من انتقال حقيقى للسلطة الى الشعب الفلسطينى •

١٠) امريكا تتعهد بالمشاركة الكاملة فى مفاوضات الحكم الذاتى •

١١) تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واقامة دولته علـى ارضه •

١٢) الانتخابات تجرى فى غزه والضفة الغربية بعد عام من بدء ــ المفاوضات التى تبدأ بعد ٦ أسابيع من الآن •

١٣) مستقبل القدس يبحث خلال مفاوضات الحكم الذاتى •

١٤) الانسحاب الاسرائيلى من سيناء يبدأ هذا الاسبوع •

١٥) لا وجود اسرائيلى على الارض المصرية بعد الانسحاب •

١٦) مصر تؤكد تمسكها بجميع التزاماتها العربية •

١٧) الحكومة الاسرائيلية تنسحب من غزة •

١٨) الاتفاقيتان (كامب ديفيد الاولى والثانية) تشكلان دعما للمصالح العربية والاستراتيجية •

١٩) لا قيود على ممارسة السيادة المصرية على سيناء •

٢٠) ترتيبات الامن قابلة للتعديل فى اى وقت بطلب من احد الطرفين.

٢١) لجنة لبحث التعويضات التى تطالب بها مصر.

٢٢) لجنة لبحث التعويضات التى تطالب بها مصر.

وأخيرا تبادل الرؤساء الثلاثة الكلمات بعد التوقيع .

هذه هى المعاهدة التى اراد الحاقدون ان يهيلوا عليها التراب حتى لا يكون هناك انجازات للسادات الذى خدم مصر اجل خدمة فى عصرها الحديث . هذه هى المعاهدة التى اعادت لمصر أرضها وبترولها ومعادنها بعد ان اعادت اليها عزتها وكرامتها .

هذه هى المعاهدة التى فتحت قناتنا واعادت الى محافظات القناة رجالها الذين هجروها .

هذه هى المعاهدة التى رفعتنا من مفر الرقام الى مدار الاجرام

هذه هى المعاهدة التى يبعث الممولون من العرب سماسرتهم ومعهم شيكات على بياض ليشتروا الاقلام المريضة تهاجمها وتهاجم من اتى بها وهو الرئيس محمد أنور السادات .

ماذا عمل الرجل ضد هذا الوطن حتى يستحق عليه ان يتخذ منه هؤلاء الافاقون مادة للتشهير به . والنيل منه ومن طلعته وشرفه ؟.

قالوا انه انسلخ من العرب بهذه المعاهدة (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) .

اليسوا هم الذين قالوا لماذا تتكلم باسمنا ونحن لم نوكلك عنا ؟

ولكنه رغم هذا لم يتركهم ومهد لهم الطريق ليتفاوضوا مع اسرائيل فى الحكم الذاتى وغزة والقدس .

لكنهم ابوا واتخذوا طريق العصابات التى تفرقهم ولاتنفعهم واتفقوا مع سوريا وكانت مصر فى ذلك بعيدة من هذا المخطط الذى رسموه مع دول التصدى • ولكن الله يمهل ولا يهمل فحصل صدام بين صدام وايران صبغ ارضهما بالدماء وأضاع ثرواتهم وخرب بيوتهم •

اختلف الفلسطينيون مع حاميهم ومحتضنهم من دول الصمود والتصدى فذبحوهم فى تل الزعتر وسهل البقاع وطرابلس بلبنان ، ولما هاجموا اسرائيل اعتدت اسرائيل عليهم ولم ينقذهم الا مصر التى التجأوا اليها لتوسط امريكا فى ان ترحمهم •

هذا هو الطريق الذى أرادوه لانفسهم ان يهاجموا اسرائيل عن طريق لبنان واذا دافعت اسرائيل عن نفسها يشقون الجيوب ويلطمون الخدود ويعلقون اخطاءهم على شماعة المعاهدة ان المعاهدة طالبتهم بان ينضموا الينا فى مفاوضاتنا مع اسرائيل ولكنهم أبوا •

قلت لهم ان مصر رأت طريق السلام فى تحرير ارضها فاذا كنتم تريدون بديلا منه فلا بديل عن السلام الا الحرب فاذا كنتم تريدون الحرب فلا نمنعكم من رغبتكم ولكن مصر ليس عندها استعداد لهذا الحرب •

ان السادات اعظم زعيم سياسى فى التاريخ كما شهد بذلك جميع

الدول الحضارية ، وقد خدم بلده خدمة لم يستطع ان يقدمها أي زعيم لبلده من قبل وستظل هذه الخدمات يذكرها التاريخ أبد الآبدين ودهر الداهرين رغم أنف الافاقين والحاقدين والمضللين .

تعليق المؤلف على هذا الجزء

ان التاريخ اذا ضل طريقه فى فترة من الفترات فلا بد من يوم يستيقظ فيه ليصحح مساره ، وانه عندما يحين هذا الوقت فى هدأة الليل ، وسكون العاصفة ، وعندما يخلو الشارع السياسى من عـــواء الذئاب ، ونباح الكلاب يجلس هذا التاريخ الى نفسه ليقلب بين أوراقـه وليضع الارقام فى وضعها الصحيح فيجد ان الرئيس السادات هـــو الزعيم الوحيد من بين جميع زعماء مصر الذى لم يتخذ شعارا يرفعـــه ليردده الناس بعده ، وانما نراه قد اتم انجازات سجلها له التاريخ بمداد من النور ، هو الزعيم الوحيد التى ظلت انجازاته ناطقة باسمه الى يوم القيامة ، هو الزعيم الذى اعطى ولم يأخذ .

ان الناس عندما يختلفون فى أمر زعيمهم من الزعماء لا يضعون انجازات هذا فى كفة وانجازات ذاك فى كفة اخرى ليروا أى الكفتـــين ارجح ، وانما يفاضلون بين الشعارات والاحاسيس التى تترجمها العواطف وربما ذهبت بهم الى الطبل والعرض ونبرات الصوت وقوة المنطــــق ،

هذا المنطق المقلوب

والا سلوب البلاغى ، وحتى انتهينا الى هذه النواحى فان التقدير فى هذه الحاله يصبح جزافيا ليس له ضابط .

معدن السادات

لكنا هنا عندما نضع الرئيس السادات فى بوتقة لنصهره نرى معدنه براقا لامعا لا يتحدى زعماء مصر فحسب ، وانما يتحدى زعمــاء العالم أجمع .

انتى لا اريد ان اتحدث عن السادات فى فترة ما قبـــل تسلمه الحكم لان هذه الفترة كانت محكومة لدكتاتور لا يجب ان ترتفع رأس بجوار رأسه فهو فعلا لا يسأل الا عن قرار صادر منه من غــير ضغط أو اجبار .

لقد أبنت فى أول هذا الكتاب الجو العاصف الذى أحاط به وكيف نجا من هذه العواصف ، وكيف خطط لحرب اكتوبره وكيف انتصر فى هذه الحربه وكيف كان هذا الانتصار ركيزة من ركائز السلام الـــذى جعل كيسنجر يفاتحه بشأنه وكيف دخل من باب هذا السلام الـــذى كان يهدد اى عربى بالاعدام لو حاول دخوله ، ولذلك كنا نرى كلمـــن دخل هذا الباب يدخله من الباب الخلفى حتى لا يراه احد ومع ذلــك فقد دخله ، ولقى ربه بعد ان اتم رسالته .

انتى قلت فى هذا الكتاب فى تقديم الرئيس السادات اننا لو طرحنا

انجازاته من حصيلة الثورة بعد ماتركها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لوجدنا اننا رجعنا بمصر الى عهد الاحتلال الانجليزى بل وأسوأ من هذا العهد فالانجليز كانوا يحكموننا فعلا اى اشارة تقيم وزارة وتسقط وزارة بل الملك نفسه وهذا حصل فعلا وعند وفاة عبد الناصر كان قد سلم الامور للروس يدافعون عنا ويتحدثون باسمنا والمعنى واحد قناة السويس كنا نأخذ منها فى عهد الاحتلال الانجليزى مليونا من الجنيهات لان حصيلتها كانت ثلاثين مليونا فقط يخص مصر منها هذا المليون، أما بعد وفاة عبد الناصر فكانت القناة مغلقة لم نأخذ منها شيئا .

فى عهد الاحتلال الانجليزى كانت محافظات القناة يسكنها أهلها اما عند وفاة عبد الناصر هجرها أهلها . فى عهد الاحتلال الانجليزى كانت سيناء بمعادنها وبترولها وموانيها ملكا لمصر اما عند وفاة عبد الناصر كانت سيناء ملكا لاسرائيل وحصنا من الحصون المنيعة ضد مصر فى عهد الاحتلال الانجليزى كانت مصر لها عند الانجليز اى مائة مليون جنيه استرلينى اما عند وفاة عبد الناصر فقد كانت مصر مدينة للروس فقط بستة عشر الف مليون دولار فى عهد الاحتلال الانجليزى كانت هناك حرية ومنافسة وطنية على المقاعد البرلمانية اما عند وفاة عبد الناصر فقد كان الحكم شموليا ولم تكن هناك احزاب ولم تكن هناك منافسة وطنية .

لقد اختار الرئيس السادات الطريق الصعب فسمح بالمنافسة

الحزبية التى انبثقت عن انشقاق داخلى ومؤسسات نيابية تعبر عن مصالح متنافسة ، مما جعل الثورة المضادة تنمو بمعلها ، وتفسرب الثورة القائمة ، وتعرض الحاكم لهذه الرياح الكريهة تهب عليه فى ليله ونهاره فى نومه ويقظته . والحقيقة ان اكبر اخطائه هو تفكيره فى اعادة الديمقراطية وكان فى استطاعته ان يستريح من كل هذا لان الحزب الشمولى الذى ولد فى مرحلة الكفاح ضد الاستعمار ينتقل الى الحكم كقوة منظمة لا تسمح بالحريات او المنافسة ولكن نشاطه يوجه عادة الى اهداف أخرى مثل الوحدة الوطنية ، والتنمية الاقتصادية ، والقضاء على عناصر الانشقاق الداخلى ، ولوى الثورة المضادة واخضاع الاغلبيات سواء كانت دينية او لغوية او قبلية او اقتصادية التى قد تعترض المسيرة ـ كان سلفه هادئا آمنا مطمئنا لانه استغل كل هذا فى حكمه فلم يؤذ سمعه كلمة نابية ولم تهزه ريح عاتية ، وظل محصنا نفسه حتى مات وكأنه اعلم رجل الشارع لم يحمل سيئة فى حياته لانه كان يطبق الحكم الماكيافيللى بحذافيره الذى يقول الغاية تبرر الوسيلة .

ولذلك فانا نقول لمن يؤلفون الكتب ضد السادات ويصمون لانفسهم بالتطاول عليه وتشويه اعماله معتمدين فى ذلك على انه تسلط عليهم واعتبروا ذلك التسلط سببا انتصرهن له رغم نقولهم " ان الذى يسمح له بان يشرب من مياه نيلنا السعدنية وان ياكل من يه طباخه

لا من يد طباخ السجن وان يسمح له بدخول المائدة من بيتــه كل يوم وعليها وردة حمراء هل يصح ان يطلق عليه سجن كسجـــن حمزة البسيونى المزود بالجلد والكلاب المتوحشه ؟

وانا لنسأل الاستاذ التلمسانى الذى جعل من السادات تجارة يؤلف عنه الكتب ويبيعها للاخوان المسلمين نقول له من الذى اخرجك من سجنك ، ومن الذى منحك الحرية حتى تنشىء مجلـــة لتناقش فيها الحرية وتطالب بالديمقراطية ؟ اليس هو الســـادات ؟ نقول له كم كتابا الفته عن جمال عبد الناصر عندما اعدم جهـــاز الاخوان كله وتبخر على ارجحين الفا فى يوم واحد اعدم منهم من اعـدم وسجن من سجن ، وهل اظهرت هذه الكتب فى وقت كان جمـــال موجودا أم انك اخفيتها حتى لا تختفى انت من الوجود ؟ ـ ومـــاذا قلت فى كتاب الصامتون يتكلمون ، وهل كان السادات عاجزا عــــن ان يظل نظام الحزب الشمولى قائما حتى لا يتعرض للمتاعب منك او من غيرك ؟ يلهنى انك اغضبت ضميرك ، واغضبت ربك لانك لم تكن عنـد ك الشجاعة التى تعلن بها ان السادات هو الرجل الذى حرر البلـــد من احتلال داخلى ، واحتلال خارجى ، واحتلال سياسى ، واحتـــلال عسكرى ، واحتلال اقتصادى كذلك كان الواجب عليك ان تذكر ان مرتبات العاملين بالدولة وارباب المعاشات ارتفعت الى ثلاثة اضعاف فمن كان راتبه فى اول حكمه خمسين جنيها ارتفع الى مائة وخمسين جنيها ووصـــل

مظلة تأمينات للعجزة والارامل ممن لم تكن لهم سابقة عمل بالدولة حتى اصبحنا لا نجد فى الدولة فقيرا ولا معدما والذين يوزعون الزكاة اصبحوا يجدون صعوبة فى معرفة عنوان اى فقير او معدم .

اما ما يقال عن السادات واستغلال اخيه لاسمه وانه اثرى من وراء ذلك ثراء فاحشا فنحن نقول ان الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه العزيز (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولكن اننا هنا نضع امام القراء نص الحكم الذى سجله قاضى الاستئناف فى هذا الموضوع وهذا الحكم لم يكن وقت ان كان السادات موجودا وانما فى الوقت الذى قدمت الدولة اخاه الى المحاكمة واننا نريد ان ننبه بأن زوج بنت عبد الناصر قيل انه انه ساهم فى جريدة انجليزية بأحد عشر مليونا من الجنيهات ومع ذلك لم يذكر اسمه أحد .

نص الحكم لمحكمة القيم العليا

اهتمت محكمة القيم العليا بان افردت فقرة خاصة بحكمها جاء فيها بالحرف الواحد :

" حيث يتعين التنويه ان الافعال التى اتاها الطاعنون لاتنال من طهارة ونقاء رئيس الجمهورية السابق أنور السادات ذلك ان اوراق الدعوى قد خلت من كل ما يفيد انه قد وصل الى علمه اى من وقائع القضية . وان ما علم به من أفعال اتخذ ضده من الاجراءات الرادعة ما ينفى عنه مظنة التسامح . ولا يسوغ القول بانه كان يجب عليه بحكم

منصبه ان يعلم بكل ما يفعله اهله ــ ذلك انه كان في تلك الحقبة يتنوء كاهله بمسئوليات جسام من بعضها قضية الانسان المصري وتحرير الارض المحتلة ، ثم قضية الحرب والسلام ، وبعض من كثير كان يحمله يكفي واحد منها لتحول بينه وبين ما يفعله اهله في تلك المجالات المتعددة والاماكن المتفرقة ، انه الآن بين يدي ربه مما يجعل هذه الحقائق وقاء لاشبهة فيها ولا مظنة ، وبالقول ان الدعوى الماثلة محاكمة لعهد ، افتئات على الحق والوفاء .

كلمـــة أخـــــــيرة

لا أعتقد ان من يريد مناقشة عهد السادات يستطيع ان يواجه هذه المناقشة بطريقة علمية صحيحة وانما يستطيع ان ــ يواجهها اذا اتخذ رصيفا من الارصفة وعليه فئة من بائعي البطاطا وماسحي الاحذية يجعل منهم (كومبارس) يهتفون له ، ويهللون لافكاره وارائه .

ان كاميد ديفيد التي هي مفخرة العصر وستظل على مدى الايام كالاهرام تتحدى الزمن ، وان الذين هاجموها انما هاجموا عقولهم ـ اننا نرى الان دول الصمود والتصدي تضرب الفلسطينيين في تل الزعتر وسهل البقاع وتحاصرهم في طرابلس لبنان والفلسطينيون يستغيثون بمصر ومصر تتحدث الى امريكا لحمايتهم ، وبعد نجاتهم هم

ورجالهم يذهبون الى مصر ويؤدون واجب الاحترام نحوها ـ ولكنهم بعد ان يطمئنوا على انفسهم يرجعون الى سوريا من جديد ويحنون لها رؤوسهم ويتحدث مسئول باسمهم ويقول :

" نحن لا نقترب من مصر الا بقدر ما تقترب مصر من الصف العربي "

ونحن نقول : "واين هذا الصف الذى يتحدثون عنه هل هو موجود فى الارض ام فى السماء ؟ هل الصف الذى يمثل ايران والعراق ام هو الذى يمثل سوريا والعراق؟ ام هو القذافى وتونس؟ ام هو السعودية والقذافى؟ ام هو الجزائر والمغرب؟ ارحمونا ياعرب يرحمكم الله .

لقد مضى على المعاهدة اكثر من ست سنوات ومع ذلك مازال العرب مختلفين لم يتفقوا على وقت يحددونه لمفاوضة اسرائيل لان الرئيس ريجان قال لهم اما الحرب واما المفاوضة ؟ وقال لهم الرئيس السادات من اول يوم لا بديل للسلام غير الحرب ومصر عرفت طريق السلام فاذا كنتم تختارون طريقا آخر فانتم وشأنكم، ومصر لم تغير طريقها ولم تختر أحدا وصيا عليها . اما ما يقوله عرفات رئيس المنظمة بان علاقته ممتازة بالرئيس مبارك وانه مستعد للتفاوض فخلنا لصيحة ناصر فانى اقول انه يريد ان يزيل صفرة الخجل وحمرة الوجل التى لحقت به وبمنظمته ولم يقصد بهذا التصريح الا ان يضع بعض المساحيق على وجهه ليستطيع ان يقابل العالم الذى مع رؤيتهم

واما القول بانه على استعداد للتفاوض وفقا لصيغة فارقان صيغة فانس ومبادرة ريجان او فهد كل هذه صيغ انبثقت من معاهدة (كامب دیفید) وكذلك طمس الله على ابصارهم واضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

لقد كنا نود ان يدور الزمن دورته وتطل التصبره وتسطع على تلك الاركان المظلمة التي يختبىء فيها الرافضون والحاقدون لتكشف ما كانوا يسترونه عن اعين الناس ليروا ما لم يسروه ويبصروا ما لم يبصروه . انكر الرافضون ان اسرائيل لا يمكن ان تسلم في حبة رمل واحدة من سيناء وقالوا انها نظرية الامن التي تتخذها حجة في دفاعها - تسلمت مصر من اسرائيل سيناء كلها وقالوا ان السادات يقوم في رحلة السلام على اساس حل منفرد لمصر فقط ولو كان هذا صحيحا كما يقولون لما وجه للسادات اي لوم لانه يعمل على انقاذ بلده من الهوة التي تردت فيها ولكن الواقع كما هو ظاهر في خطاب الرئيس السادات امام الكنيست الاسرائيلي بان قال في خطابه "ان القضية الفلسطينية هي جوهر المشكلة وان قضية الشرق الاوسط لا تحل الا بحل هذه القضية وبرغم هذا فقد ابعدوا السادات عن قضيتهم وقالوا له لست وصيا علينا ولكن كان رد السادات عليهم سأحرركم رغم انوفكم واستمر في مفاوضة اسرائيل حتى حصل منها على معاهدة (كامب دیفید) الاولى والثانية اما الاولى

فهى الخاصة بمصر واما الثانية فهى الخاصة بالقضية الفلسطينية وكل حل يتعرض له بحجان أو فيه او مؤتمر فا ن فهو منبثة من (كامب ديفيد) ولكنهم برغم مانالوا من العذاب والتنكيل على يد الاسد والقذافى وبعد ماعرفوا ان هاتين الدولتين هما الترجمان الوحيد لروسيا فانهم مازالوا يطلبون ود هم ولا يعترفون بالفضل لمخلصهم ومحررهم .

كنا نود عندما يأتى هذا اليوم الذى تظهر فيه هذه الحقائق واضحة جلية ان يرفع هؤلاء الظالمون أيديهم ويقولون آمنا بان الرئيس السادات هو اول رئيس عربى حرر بلده وحرر مصر والعرب جميعا ورفع رأسهم واعاد لهم كرامتهم .

وليس من المعقول ان يظل الاسد الذى يحتل لبنان وكل يوم تشتعل فيها الحرائق بسبب وجوده ولا يريد ان يرفع يده عنها ثم يحززه فى ذلك القذافى الذى فاقت جرائمه كل مجرمى العالم من يوم ان خلق الله هذا الوجود الى يومنا هذا ثم نرى ان ميزان مصر معلق فى يد هؤلاء ان شاءوا اخرجوها من زمرة العرب وان شاءوا اعادوها الى زمرة العرب .

اظن اننا بهذا نحمل المنطق فوق ما يحتمل ونستصغر للعمر هذا الى من هذاله ـ الى الآن لم احد كاتبا عنده الشجاعة التى تجعله يقول للاعور انت أعور لان الكتاب والصحفيين يجدون

اللوم كل اللوم الى اسرائيل مع ان العرب هم السبب في كل ما تفعله اسرائيل لاننا عندما ننظر الى الساحة العربية نجد ان كل عربي مشتبك مع أخيه العربي ونرى ان الحرب دائرة بينهما ومع ذلك يغمض (أي كاتب) عينه عن كل هذا ويفتري عيبه على اسرائيل — ايها الناس قليل من الشجاعة فان التاريخ يسجل بأقلامه ليحكم عليكم . وان هذه المحكمة هي المحكمة التي لن يرفعها نقض ولا ابرام .

فهرس لمحات عن أنور الســـــادات

تابع فهرس لمحات عن أنور السادات

تابع فهرس لمحاسبات عن الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات عن الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات عن الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات من الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات عن الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات عن الرئيس انور السادات

تابـــع فهرس لحديث عن الرئيـــس السادات

تابع فهرس لمحات من الرئيس السادات

تابع فهرس لمحات عن الرئيس السادات



